١٧٩ - ١٨٠

الاشتراك السنوي
٨٠ ريالاً للأفراد و ٢٠٠ ريال للهيئات
الإعلانات يتفق عليها مع الإدارة
ثمن العدد : ٨ ريالات

العرب

مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري

صاحبها ومنشئها ورئيس تحريرها : حمد الجاسر

العنوان
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل - هاتف ٢٦٩١٥
الرياض - المملكة العربية السعودية

الجزءان ١١ و١٢ س ١٥ جماديان ١٤٠١ — آذار — نيسان (مارس ، ابريل) ١٩٨١ م

« دكتور » ولكن ...

تَرَدَّدْتُ في إكمال الجملة ، فكان أن نَبَّهني أحد الأخوة إلى أن عدم إكمالها أبلغ وأنسب في هذا المقام .

لقد سألني سائلٌ طلعةٌ عما ذكرته في مجلة « العرب » س ١٥ ص ٣٢٩ — من أن الدكتور سعيد عاشور — رئيس إحدى إجتماعات مؤتمر تاريخ بلاد الشام — لم يَسْمح لي بإبداء ملاحظاتي حول مُحاضرة الصديق الدكتور محمود الغُول ، وحاول أن يصرفه عن الحديث معي ، ورام السائل الكريم تعليل ذلك . وماكنت ذا رغبة في الحديث حول هذا الأمر ، لو لم يكن ذا صلةٍ قَويَّة بحياتنا الثقافية ، وبالوسط العلمي ، فشهادة (الدكتوراه) في هذا العصر تُعتبر أقوى وسيلة تُمكِّنُ المرء — مهما بلغ من العلم — أن يَتسنَّم أرقى المراتب العلمية ، دُون أن يوصم بنقصٍ في علمه أو كفاءته أو في خُلُقه ! !

والدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور بلغ من تلك المراتب ما لم يبلغه إلا القليل من أنداده ، فهو أستاذ تاريخ العصور الوسطى في كلية الآداب في جامعة القاهرة منذ أكثر من عشر سنوات ، وهو الآن رئيس قسم في جامعة الكويت ، وله سمعة حسنة ، ومواقف محمودة لدى بعض من تَعثَّروا في مواصلة الدراسة في كليات انتقلوا منها إلى غيرها ، فنالوا — بإشراف الدكتور سعيد عاشور — شهاداتٍ عالية .

ولقد تحدثت هذه المجلة في سنتها الرابعة (ج جُمادى الآخرة سنة ١٣٩٠ هـ ص ١١٢٤

إلى ١١٣٦) عن أثر من آثاره في مجال تحقيق كتاب من كتب التُّراث ، هو كتاب «غاية الأماني ، في أخبار القُطر اليماني» وهو عمل شورك فيه ، فقد راجعه — على ما جاء في طُرَّته الدكتور محمد مصطفىٰ زيادة — رحمه الله — إن صح هذا .

ومما جاء في مقدمة ذلك الحديث — بعد عبارات تفيض بالتّقدير للدكتور سعيد عاشور ومحاولة إضفاء العُذْر عما وقع في ذلك العمل من قُصُور بنفيه عنه : إن ما بُذِلَ في سبيل تحقيق «غاية الأماني» لا يُشرِّف عالمين أجلُّها ويُجِلُّها غيري أن يُنْسَبَ اليهما تحقيق ذلك الكتاب ، بالصُّورة التي بَرَزت من خِلاَل صفحاته) .

ولقد تأثَّر الدكتور سعيد من ذلك الحديث ، وبعث إليَّ كتاباً هدَّدَ وتوعَّد — بل أرغى وأزبد — فأجبته بأدب واحترام ، وطلبت منه أن يبعث إليَّ ما توعَّد بنشره في (صحف أخرى) ! ووعدته بنشره كاملاً ، وأكبرتُهُ عن نشر كتابه ، ولكنه لم يبعث إليَّ شيئاً .

وماذا تُراه باعثاً ، أو مُعتذراً بهِ عن تلك السيِّئات التي شوَّهَتْ ذلك الكتاب تَشْوِيهاً لم يقلِّلْ من قيمة الاعتماد عليه والاستفادة منه فحسب ، بل أنزله إلى مستوى الكتب التي لا يصحُّ الرجوع إليها — في طبعته تلك — لأنها تُضَلِّلُ القارىء ؟!

بم يعتذر عن إقحام لَعنِ صحابيٍّ جليل (في الصفحات ٩٢/ ٩٣/ ٩٤/ ٩٥/ ٩٦/ ٩٩/ ١٠٠ وغيرها) لأنَّ عابثاً جاهلاً مُتأخراً عن عهد المؤلف شوَّهَ جمال تلك المخطوطة التي اتخذها الدكتور عاشور أصلاً . فلم يُفَرِّق بين الأصل وبين ما أُلحِقَ به مما ليس منه حتى في الصفحات الخارجة عن الكتاب ؟!

وبِمَ يُعَلِّلُ عدم تفرقته بين أبي حاتم المُحدث المشهور ، وبين عَدِيٍّ بن حَاتم الصحابيِّ ولا بين طُلَيْحَةَ الأسديّ وطلحة بن عبيدالله الصحابي ، فأضفى على الأوَّلين ما للصحابيّين من صفات ؟!

و بماذا يُبَرِّرُ وصْفَهُ الرَّحبَة التي هي من محلات صنعاء بأنها تبعد عنها مسيرة ستة أيّام ، أو تحديده لمسجد صَنْعَاء بأن طَرَفَه على مسافة ليلتين من مكة ؟! وقِسْ على هذا كثيراً من الأمكنة التي تكرر ذكرها في الكتاب .

أما تصحيف أسماء المواضع مثل (رِمَع) و(بَيْش) و(بيشة) و(المهجم) و(المُشَلَّل) إلى زَمعَ وبَيْنَ وبَيْته والمهجر — والمسلك ثم شرح تلك الكلمات المحرفة في صفحات:٧١/ ١٠٣/ ١٤٣/ ٢٢٧ وأمثالها كثير؟!

وتعريف بعض القبائل تعريفاً خاطئاً — فغطفان من قحطان — ص ٨٦) وكلمة (التسع) اسم العدد هو (السبيع بطن من همدان) — ص ١٦٨ — وأشياء مضحكة من هذا النوع .

وتصحيف أسماء الاعلام مثل نجدة بن عامر الحنفيّ (حَدَّة) وتفسيرها بالمنزل الذي بين مكة والمدينة (ص ١٠٨) وجندب (حيدر) — ٨٩ — مُرَّةَ (مُزينة) ص ١١٤/ ١١٦ والحمار : (الجمار) — ١١٦ — ورُغال (دعال) — ١١٧ — والقَسري : (القُرى) — ١١٥ — وغيرها من الأسماء التي يصعب حصرها وتحريف كثير من عبارات الكتاب ، ثم تأويل ذالك التحريف بسبب جهل قراءة المخطوطة — فكل تلك الأمور ممّا أصبح مألوفاً في أعمال كثير ممن تَصَدَّوْا لتحقيق بعض المخطوطات ، والأستاذ الدكتور سعيد عاشور لَيْسَ بِدعاً من هاؤلا .

لقد أَرَدْتُ خَيْراً للدكتور فأوضَحْتُ جانباً يسيراً ممّا وقع في عمله من خَطإٍ ، لكي يتداركه ما دام في إمكانه تَدَارُكه ، حاولت أن أُلْقِيَ بالتبعة على غيره ، فذكرت أن كثيراً من العلماء قد تشغلهم كثرة أعمالهم ، فيكلون القيام ببعضها إلى من يتوسَّمُون فيه القُدْرَةَ على القيام بها من طلابهم فتدفعهم الثقة إلى عدم مراجعة ذالك العمل ، إذْ لم أَتَصَوَّر — ولا يمكن لأيِّ قارىء اطلع على مطبوعة ذلك الكتاب — أن يَقَع ما فيها من أَخْطاءٍ سَيِّئةٍ من أقَلِّ طلبة العلم إدراكاً وفَهْماً فَضْلاً عن (دكتور) يتولى منصباً علمياً رفيعاً في احدى كبريات الجامعات في العالم .

ولكنَّ الدكتور سعيد عاشور لم ينظر إلى عملي النظرة الصحيحة التي يجب أن يُنْظَرَ بها إليه ، نظرة العالِم التي تتسع اتساعاً يرتفع بها عن الصغائر إلى المجال الرحب ، حيث تتلاقى نظرات العلماء الذين يتخلَّقُونَ بأخلاق العلم ، وله وحده ، وفي سبيله يعملون .

وقُلْ لي — بِرَبِّك — أَيُمكِن حقاً لطُلاَّبٍ يُنشِّئهم مُدَرِّسُونَ ومُرَبُّونَ لا تتجاوز نظراتهم

أهواءهم ومآربهم الخاصَّة ، أن تسمو نظراتُهم إلى الأمور أيّاً كانت عن مستوى نظرات مُدرسيهم ؟!

قبل عشرين عاماً وصفت كتاباً مخطوطاً في « مجلة المجمع العلمي العربي » بدمشق ، أصله في مكتبة (جامعة أُبسَالا) في السُّويد ، وبعد ذلك بزمن وصل إليَّ الكتاب من « المجمع » مطبوعاً ، ومُترجماً إلى لغة أعجمية ، وطلب مني « المجمع » إبداء ملاحظاتي حوله ، وبعد نشر تلك الملاحظات ما شعرت وأنا في مكتبي في بيروت إلا بزائر يقدم لي نفسه باسم ليس بغريب على سمعي ، فلما استوضحت منه قال : أنا (كريستوفر تُلّ) أتيت إليك لأشكرك ، فقد قرأت ما نشرته « مجلة المجمع » حول كتاب « الجوهرتين » .

إنَّه (الدكتور) الذي نشر ذلك الكتاب وترجمه . وقد نقدت جوانب من عمله ، ولكن ذلك لم يَحُلْ بينه وبين المجيء إليَّ مُظهراً سروره وتقديره ، بحيث اتَّصَلَ التعارف والتواصل بيني وبينه .

و(دكتور) آخر هو (جورج لنشفسكي) فقد هَفَا هَفْوة أثناء ترحيبه بوفد صحفي كنت فيه ــ في حفل أقامه (اتحاد الطلبة العرب) في (جامعة بركلي) من ولاية (كليفورنيا) عام ١٩٦٠ م فكان مما قال ــ مُعَرَّباً ــ (وها أنتم الآن تشاهدون جامعاتنا مفتحة الأبواب للطلاب العرب ، من أي البلاد) قال ذلك بمعرض لا يخلو من الامتنان ، فلما تحدثت ــ بعده ــ أوضحت أنَّ العلم لا يَصحّ أن يُمتنَّ به لأنَّ لكل إنسان على ظهر البسيطة أن ينال نصيبه منه كاملاً غَيْر منقوص ، اذ هو تُراث جميع الأمم ، لا تختصُّ به أُمَّةٌ دون أخرى ، ولهذا فإنَّ لكل امريءِ من أيِّ أُمَّةٍ من أُمم العالم له فيه حَقٌّ .

فما كان من ذلك (الدكتور) إلاَّ أن طلب التَّعقيب على حديثي شاكراً ومُعْتَرفاً بهفوته ، وكان ذلك من الأسباب التي دفعته إلى أن يبعث إليَّ بعض مؤلفاته . وَلَن أُطيل ، بل أَدَع للقاريء المقارنة بين موقف هذين العالِمين الغربيين معي وبين موقف (الدكتور) سعيد عاشور ، راجياً من القاريء الكريم أن يُلقِي نظرة على عمله في كتاب « غاية الأماني في أخبار القطر اليماني » قبل أن يَصِمني بوَصْمةٍ أنا منها بريء .

وها هي صورة أخرى لـ (دكتور) آخر ، لم يبلغ من الشهرة والمكانة ما بلغه من قبله ، إنَّهُ

البقية ص ٨٠٥

التعليقات والنوادر

لأبي علي الهجري

(الجزء الأول)

بتحقيق د. حمود عبد الأمير الحمادي (مطبوعات وزارة الثقافة العراقية — بغداد ١٩٨٠)

يرجع الفضل الكبير إلى الأستاذ الجليل الشيخ حمد الجاسر في التعريف بهذا الكتاب النفيس، فهو أشهر من شارك في درس أبي عليّ الهجري وعرّف به وبهذا الكتاب.

ولا شك أن ما كتبه أستاذنا الجليل في هذا الأمر قد دفع السيد الحمادي بل أغراه لتحقيق «التعليقات والنوادر» كما حفزت كتاباته النافعة الفريدة أخاً له من قبل هو الدكتور خليل العطية الذي اضطلع باخراج «التقفية» لِلْبَندنيجي. وتلك يَدٌ نعرفها لشيخنا الجليل من عوارفه وكمالاته.

لقد اقتحم الدكتور الحماديّ هذا الأمر اقتحاماً لم يتهيأ له ولَمْ يَحْسِبْ له الحساب.

(الدكتور عبد الأمير[1] الحمَّادي) محقق كتاب «التعليقات والنوادر» للهجري، ولكنها صورة على درجة من البشاعة تستدعي إبرازها كاملة بعد أن أبْرز أستاذنا الجليل الدكتور ابراهيم السامرائي، جانباً من جوانبها، ولعله استبشع الجانب الآخر، فسَارَ على حدِّ المثل (يكفي من القلادة ما أحاط بالجيد).

حمد الجاسر

---

(١) التعبيد لغير الله لا يجيزه الدين الإسلامي.

التعليقات والنوادر
لأبي علي الهجري

(الجزء الأول)

بتحقيق د. حمود عبد الأمير الحمادي (مطبوعات وزارة الثقافة العراقية — بغداد ١٩٨٠)

يرجع الفضل الكبير إلى الأستاذ الجليل الشيخ حمد الجاسر في التعريف بهذا الكتاب النفيس ، فهو أشهر من شارك في درس أبي عليّ الهجري وعرّف به وبهذا الكتاب .

ولا شك أن ما كتبه أستاذنا الجليل في هذا الأمر قد دفع السيد الحمادي بل أغراه لتحقيق «التعليقات والنوادر» كما حفزت كتاباته النافعة الفريدة أخاً له من قبل هو الدكتور خليل العطية الذي اضطلع باخراج «التقفية» لِلْبندنيجي . وتلك يَدٌ نعرفها لشيخنا الجليل من عوارفه وكمالاته .

لقد اقتحم الدكتور الحماديّ هذا الأمر اقتحاماً لم يتهيأ له ولَمْ يَحْسِبْ له الحساب .

(الدكتور عبد الأمير[1] الحمَّادي) محقق كتاب «التعليقات والنوادر» للهجري ، ولكنها صورة على درجة من البشاعة تستدعي إبرازها كاملة بعد أن أبْرز أستاذنا الجليل الدكتور ابراهيم السامرائي ، جانباً من جوانبها ، ولعله استبشع الجانب الآخر ، فسَارَ على حدِّ المثل (يكفي من القلادة ما أحاط بالجيد) .

حمد الجاسر

---

(١) التعبيد لغير الله لا يجيزه الدين الإسلامي .

وذلك لأنَّ هذه «التعليقات والنوادر» نماذج من أدب قديم ، لم نجد أغلبه في أيِّ كتابٍ من مصادرنا الأدبية والتاريخية .

ثم إنَّ مَوَادَّ هذه التعليقات والنوادر تتجاوز الشعر القديم إلى شيء كثير يتَّصل بالأنساب والأعلام مع بسطة وافية تشتمل على المواضع من جبل ووادٍ وسهل وبقاع أخرى تتصل بهذا العلم «الجغرافي» القديم .

ثـم مـاذا ؟

لقد حفلت «النوادر» بطائفة لغوية ، لعلَّ شيئاً كثيراً مِنْها يصح أنْ يُستَدْرَكَ به على أُمَّات المعجمات .

قلتُ : إنَّ السيِّد الحمادِيَّ لم يُعِدّ نفسه إعداداً كافياً لخوض هذه الغمار ، على أنه بذل ما بذل من جهد كبير . قد نأخذ على السيد المحقق طائفة من المسائل ، وقد نجد له في الوقت نفسه فسحةً من عُذْرٍ .

إنَّ للكتاب الذي نعرض له في هذه الأثارة أصْلاً مخطوطاً فريداً هو نسخة دار الكتب المصرية ، وقد شاء السيد المحقق أن يَعُدَّ نُسْخَةً أخرى انتسخت من الأولى بعد القرن العاشر نسخة ثانية .

لقد قدّم المحقق لعمله هذا بمقدمة تكلم فيها على المصنف فأتى على سيرته التي لم يجد منها في المصادر الشيء الكثير إلا نبذة يسيرة ذكرها ياقوت في «الإرشاد» كما تكلم على الكتاب في النسختين الخطيّتين ، وعرض لمادته وطريقته .

وقد احتفل المحقق أيّما احتفال بهذا الكتاب ، وجعله موضوعاً لنيل درجة الدكتوراه . لقد أحسن صنعاً لو أنه استطاع أن يَجْلُو هذا الوجه المُتجهِّم العابس الذي بدا في صنيعه . ولو أن احتفاله وفرحته بالمخطوط رافقهما عنايةٌ وإفراغ الُوسع في التحقيق والعمل لكان له أنْ يَفْخَرَ بل يُزْهى على غيره من أهل التَّحقيق لنشره عملاً صعباً ليس له من الأصول ما يُعين على الإجادة ، وأنه ينشر أول مرة . وحسبك أن تَعلم أنَّ ناشر النَّصِّ القديم أوَّلَ مرة مُجَاهِدٌ في اقتحامه الصِّعَاب في أكثر الأحايين . ولو أنَّ المحقق خرج من

جهاده بشيء من النصر لكنت أحمد له جهاده ونضَاله . ولا أطيل عليك أيها القارىء فقد نشرت «التعليقات والنوادر» ، وهي دونك تقرؤها فتحس أنَّ في كل صفحة منها من المُصَحَّفِ أو النَّاقص أو المُزَال عن جهته وحقيقته شيئاً غير قليل . وأنك في كثير من صفحات الكتاب لا تفهم ما يُراد لما قَدْ عرض للنص من آفاتٍ أحالته وسَلَبَتْ رُواءه .

تقرأ التعليق اللغوي فتجده مُنْقطعاً عن مادّةٍ لا بُدَّ أنْ تكون قد سبقته هي أبيات في الغالب ، فهل لنا أن نتجاهل أنَّ الأبْيَاتَ سقطت لأننا لا نُدْرِكُ العلاقَةَ بين هذه المادَّة اللُّغَوِيَّةِ وهي التَّعليق وما يسبقها من مَوادَّ . ومثل هذا كثير لا حصر له .

ولو أنَّ شيئاً من هذا قد استرعى نظر السَّيِّد المحقق فأشار إليه في حواشيه لهان الأمر ولدفع عن نفسه ما ليس هو بمسؤولٍ عنه .

وقد تلمح كَثْرَة حواشي المحقق فتحملها على أنه بذل ما بذل من جُهْدٍ ، ولكنك تقرؤها فتجد أنَّ شيئاً كثيراً منها غير مفيد الفائدة اللازمة ، فهو لا يُشير الى ما يُحْمَلُ على أنه قد سقط من النَّصِّ ، وهو لا يشير إلى شيء كان ينبغي أن يُشار إليه كإيضاح غامض أو إقامة عِوج من مُصحَّفٍ أو مُزالٍ عن جهته أو التعريف بِعَلَمٍ يَشتبه فيه بآخر أو لم يذكر إلا في الكنية أو اللقب .

ولو أنَّ القارىء المعنيَّ بهذا الكتاب قد قرأه لأدرك أني لَمْ أجُر عليه ولم أَنَل في هذا النقد من المحقق ، فَقَدْ عَرَضْتُ لمسائل يسيرة وتجاوزتُ ما يَتَّصِلُ منها بالمواضع والجبال والمياه وغيرها مما عرض له الوهن والتصحيف إلى أهل هذا الفن من ذوي الاختصاص ، كما تجاوَزْتُ عما يَتصل بالأنساب والأعلام القديمة لغيري ليشاركوا في إقامة هذا البناء الذي لم يَسْتَقِرَّ على قواعده .

وها أنا أبدأ هذه الرحلة فأقِفُ على ما بدا لي انه غير مستقيم فأقول :

١ ـ جاء في الصفحة ٤٠ وهي الصفحة الثانية من أصل الكتاب قول الشاعر من جملة أبيات :

مَنَازل أُمِّ العَمْرِ حيْنَ تَحُلُّهُ وتجْتَابُ فيه الخلْيَّ المهتَّما

أقول : ليس في كتب اللغة وأمّات المعجمات (الخنليّ) ولا (الحَنْليّ) ولكنني أعرف أن فيها «الخنلة والحَنْلة» بمعنى السرعة ، فما معنى «الخنلي»؟ ولِمَ الوصف بـ(المهتَّم) وهو المكسّر الثنايا ، وكيف (تجناب الحَنْليّ المهتما) ؟ كل هذا أمر غامض أشدّ الغموض لا وجه إلى الفصل به .

أقول : إذا كان هذا على ما أشرت من الغموض فهلا كان على المحقق أن يشير إلى شيء من ذلك فيدفع عن نفسه طائلةَ إقْرار الخطإ والغُموض والتصحيف وما يتصل بهذا مما أحال النَّصَ وأبعده عن حقيقته ؟

والمحقق مُوْلَع بضبط الشكل ولكنه في كثير من الأحيان يسيء الضَّبْطَ فيولد خَطَأً أجدُ من الصعب عليَّ أنَّ أحمِله على ما يقترفه عامل المطبعة . ومن هذا (الخنلي) فقد شدّد اللام ولم يفطن إلى الوزن في الأقل ، ومثل هذا كثير لا حصر له .

وعلى هذا كنت أَمِيْلُ إلى أنَّ أُشارك المحقق في (احتفاله) وفرحته بالكتاب لو أنه شقي مثلي بهذه المادَّة المعوجة. ولو أنَّه فعل ذلك لكان لنا من الكتاب خير كثير.

٢ ــ وجاء في الصفحة نفسها البيت الذي يلي البيت الذي أشرنا إليه :

سَلاَلِيَ أمّ العَمْرِ فِيْمَ يَلُوْمُهَا   ولَمْ تَأْتِ مَكْرُوهاً ولم تَغْشَ مَأْتَمَا

أقول : والصواب : (مأثما) من الإثم ولا مكان للمأْتِمَ فهل لنا أن نحمل ذلك على سوء الطبع ؟

٣ ــ وجاء في الصفحة نفسها البيت :

دَعَوْتُ وَلبيَّ النَّاسِ فِيمَا دَعَوْتُهُ   يَلقّه (كذا) منْ شَيْبَان جَيْشاً عَرَمْرَمَا

أقول : إذا كُنَّا نَقْرأ ما في البيت (يلقّه) فلا نَهْتَدي إلى أيِّ مَعْنًى ، ولا يستقيم بذلك البيت وزناً ومعنىً . ولم يشر إلى شيء من ذلك المحقق في حاشيته التي اقتصرت على قوله :

.... بنو شيبـان بن ذهل بن ثعلبة ....

أنظر «نهاية الأرب» ... انتهت الحاشية .

فهل كان هذا هو (التحقيق) ؟ وماذا أفاد القارىء من أبيات لا نعرف من معناها ومبناها إلا القليل .

٤ ـــ وجاء في الصفحة ٤١ بيت سادس من هذه المقطوعة :

فأضحى صريعاً تحجلُ الطَّيْرُ حوله وتَبْقى زماناً بَعْدَه وتأيُّما (كذا)

أقول : لم أفهم كلمة (تأيُّم) بهذا الشكل وهي مصدر (تأيَّمَ) الفعل ، ولم يسأل المحقق نفسه لماذا نُصِبَتْ ، ثم ما معناها في المعنى العام للبيت .
أقول : لعلها (تتأيَّما) .

٥ ـــ وتنتهي هذه المقطوعة بأبياتها التسع ثم يأتي كلام على :
المُرضع والمرضعة والعاصف والعاصفة وكيف تختم بالهاء للتأنيث وتعرّى منها ومتى يكون كل وجه من الوجهين .

أقول : نقرأ هذه المادة اللغوية وهي منقطعة عما قبلها فليس في أبيات المقطوعة (مرضع) ولا (عاصف) ولا أي صفة من هذا النوع مما يقبل علامة التأنيث ويَعْرَى منها ، فهل لنا أن نقول إنَّ شيئاً قد سقط من مادة الكتاب أو أن خللاً عرض له ؟ سكت المحقق ولم يُشِرْ إلى شيء من ذلك .

٦ ـــ وجاء في الصفحة ٤٢ الرجز الآتي :

ثم تمنَّتْ والمُنى لا تَجدي (كذا)
بئرُ بني ضميرة بن سعد .
من بني زعب بن مالك بن خُفاف من مكافي الحرة المنجدة .
أقول : لم أفهم قوله (من مكافي الحرة المنجدة) .
لعلها : من مكان في الحرّة المنجدة .

٧ ـــ وجاء في الصفحة نفسها في الحاشية ٥ قول المحقق في التعريف بـ(المزني) الذي ورد في النص في الصفحة نفسها :

المزني : اعتقد هو عبدالله ذو البِجَادَيْن المزني .

أقول : قد يكون المزني هو عبدالله ذَو البِجَادَين الذي انقطع اعتقاد المحقق إليه ، وقد يكون آخر[1] ، ولم يشر المحقق إلى الدلائل التي استرجحها فبنى عليها اعتقاده .

٨ ـــ وجاء في حاشية أخرى للمحقق في الصفحة نفسها :

الرفد ـــ بالكسر ـــ العطاء والصلة . أنظر اللسان (رفد) ١٦٢/٤ .

أقول : هذا مثل من أمثال كثيرة للحواشي غير المفيدة ، ألا ترى أن (الرفد) مما يعرفه الشُّدَاة ، والذي يرجع الى كتاب «التعليقات» مُسْتَغنٍ عن هذه الفوائد المعروفة .

٩ ـــ وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف :

أنشدني المزنيّ لابن نعمة ولعزب (كذا) فقال :

على غِـــرَّةٍ والـــيهـــا وربّما   رمين على الغِرّات رَمْيَ الوقائف

أقول : وصدر البيت غير مستقيم وزناً ولا يتجه فيه شيء من المعنى .

١٠ ـــ وجاء في الصفحة ٤٣ قول المصنف :

أنشدني القشيري رحمة بن مفرج :   (الرجز) .

إذَا وَرَدْنَا آجناً جَهَرْنَاهُ
أَوْ خَالِياً من أَهْلِهِ عَمَرْنَاهُ

أقول : ضَبَطَ (الرجز) بضم الهاء في (جَهَرناه) و(عَمَرْناه) ، والوزن يقتضي السكون . ولم يفطن المحقق أنَّ البيتين من بحر السريع كما نبيّن :

إذا وَرَدْ	نا آجناً	جَهَرناهْ
مستفعِلن	مستفعلن	مفعولان

(١) «العرب» : وهو الصواب اذ ذو البجادين توفي في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، وقد كرر الحمادي هذا الخطا (ص ٥٩) والمُزَني المذكور ممن روى عنهم الـهَجريُّ أي من أهل القرن الثالث الهجري ، فلعلة المزني الذي ذكره في موضع آخر (الدرزي المزني) .

وقد خفي أمر (السريع) على المحقق مرات عدة فحمله على الرجز كما سنرى .

١١ — وجاء في الصفحة ٤٤ البيت :

لها أجهل من حَافَتيها كليهما طِوال الذُرَى تُرمى بهنَّ الوقائف

أقول : كأنَّ المحقق أدرك معنى (أجهل) وفهم المراد بالبيت جملة ، فلم يشر إلى شيء من ذلك ، فما (الأجهل) ؟ وما المراد بالبيت ؟

إنَّ هذه المواد الغامضة بسبب من التصحيف والتحريف وغيرهما جعلت النَّصَّ مُسْتغلقاً ، وكم لهذا من أمثال كثيرة في الكتاب تتجاوز الحصر ، ذلك أنَّ القارىء يُواجِهُ في كل صفحة بيتاً أو مقطوعَةً أو رَجَزاً بأكمله لا يمكن أن يتوجه إلى صواب واضح .

١٢ — وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف :

وأنشدني الأشجعي والرزّني (كذا) بطن من دَرْمَا لبعض طيء

وعلق المحقق على الأشجعي معرّفاً به ، وقد كفاه الأستاذ الجاسر مؤونة الخوض في المصادر فأشار في كتابه «أبو علي الهجري» إلى أن «الأشجعي» هو أطيط بن سعد .

ولم يكلف المحقق نفسه في التعريف بـ«الرزّني» ومن يكون ، أخو الرزّني أم شيء آخر ، لقد أغفله وكأنه مشهور معلوم .

ولم يهمز المحقق (درما) وهي ممدودة ، قالوا : دَرْمَاءُ طَيِّءٍ . وهذا الوهم يرجع إلى أن المحقق يرى الكلمة غير مهموزة في المخطوط فيثبتها على حالها . ومن المعلوم أنَّ النساخ كانوا يتخففون كثيراً من رسم الهمزة في أول الكلمة ، ووسطها وآخرها .

١٣ — وجاء في الصفحة ٤٥ قول المصنف :

المزنيّ (كذا) .

ثم ورد بعده رجَز وقبله رَجز وفي كل ذلك من الكلم المعدول عن جهته شيء لم يسترع انتباه المحقق .

وقد علق السيد المحقق على (المزني) فقال في حاشيته :

نسبة إلى مزينة بنت كلب .

أقول : وهل من فائدة في هذه الحاشية ، زادت النَّص وضوحاً ؟

١٤ ـــ وجاء في الصفحة ٤٦ قول المصنف :

والبُدْن والبُدون : الكثير مسان الأرْوَى يَحِكُّ قَرْنَيْه بأصل الساق .

أقول : كان على المحقّق أن يُشير إلى ما اختص به الهجريُّ من ذكر الفوائد اللغويَّة التي لا توجد في مُعْجمات اللغة ، ومنها ما تفرّد بذكره الهجري . ذكره في التعليق على رجز هو :

لكنّها من بُدُن زعّاق

ثم إنَّ في كلام المصنف الذي أثبته المحقق وأقرّه ولم يشك فيه شيئاً لا بُدَّ من الوقوف عليه وهو :

والبُـدُن والبُدُون الكثير مَسانّ الأروى ..

أقول : هو : البُدْن والبُدُن (بضمتين) الكبير من مَسانّ الأروى . وبذلك يتجه الكلام وذلك لأن (البدون) ليس جمعاً لـ (بَدْنة) الواحدة ، ولم تكن الواو إلا ضمة فوق الدال ربّما أزلّها النسّاخ عن مكانها الحقيقي فتولد الخطأ .

ثم لا معنى للكثير وإنما هو الكبير .

١٥ ـــ وجاء في الصفحة ٤٧ قول المصنف في بداية السطر :

(الغُرّ) وكأنّها بَدْءٌ لتعليق لغويٍّ على عادة المؤلف ، وليس في الرجز الذي يسبق هذه الكلمة شيء من هذا ولا يتصل بـ (الغر) من قريب أو بعيد .

فماذا نقول ؟ أسقط الشعر الذي وردت فيه كلمة (الغرّ) أم كانت هذه الكلمة مصحفة عن شيء آخر .

وما أظن أنّ المصنف يقف على (الغُرّ) جمع (الأغر) كما ذكر المحقق في حاشيته غير المفيدة .

١٦ ـــ وجاء في الصفحة ٥٠ قول المصنف :

وقال : هي المَشرِقة ـــ بجرّ الراء ـــ .

أقول : وقول المصنف في (المشرقة) لا يتصل بالمقطوعة التي قبله فليس فيها هذا اللفظ أو ما في معناه .

ألنا أن نفترض أنَّ شيئاً من النّصّ قد سقط ؟
لم يقل لنا المحقق شيئاً وكأن لا شيء يستحق التَّعْليْق .

١٧ ـــ وجاء في الصفحتين ٥١ ، ٥٢ من كلام المصنف على النُّوق وأصْنَافِهَا من الفرق والجَذَعة والحِقَّةِ وبَنَاتِ اللُّبْن (لا اللُّبن) كما أثبت المحقق ، والهُجْن . ثم أعقبه بكلام على اهتجان الشباب وتغيّر الشيخ ، ثم أعقبه بشيء يتَّصِلُ بـ(العَوار) في العين ، والطلوب (التي تحولت لدى المحقق الى الطلون) من البِئار بعيدة القعر وشيء آخر يتصل بالبئر كالعقاب والضرس .

أقول : كل ذلك مادة لغوية لا صلة لها بالنَّصِّ الذي يسبقها فليس فيه أيُّ شيء من ذلك . لم ينتبه المحقق إلى شيء من ذلك .

١٨ ـــ وجاء في الصفحتين ٥٤ ، ٥٥ كلام للمصنف على مواضع هي جبل وسيل وهضبة ونحو ذلك فقال :

وسألت الباهلي عن تَيْمَن فقال :

. . . .

وفي آخر قول الباهلي ورد : والبريض خسف في الأرض به ماءٌ وكلّ ماءٌ (كذا) أسمينا (كذا) بالشريف ، وجُذّته هضبة عن الكلاب بميلين تدفع في الكلاب .

فعلق المحقق على (ماءٌ) في الحاشية ٧ ص ٥٤ فقال :

في (أ ، ب) وكل ماء وهو تحريف .

أقول : لا أدري أين (التَّحْريف) أفي الأصلين (أ ، ب) أم في نصه (وكلّ ماءٌ) هذا هو العبث الذي يسمى تحقيقاً .

ولعل (أسمينا) : هي أسميناه ، وجُذّته : هي (حُذُنّةٌ)[1] .

١٩ ـــ وجاء في الصفحة ٥٥ قول المصنف :

وأنشدني المسلّم بن أحمد .... الحربي لمحمد بن القضِم (كنا) بن زيد البكايّ (كذا) .

أقول : هو البَكّائي والنسبة إلى ربيعة البكّاء بن عامر . أنظر جمهرة أنساب العرب ٦٤ ، وقد أشار المحقق إلى المصدر ولم يستفد منه .

٢٠ ـــ وجاء في الصفحة ٥٦ البيت :

وفاءتْ رجال المُصعبين وخيَّمت رجال وهابت صَيدُها وصقورها

وقد علق السيد المحقق على كلمة «فاءت» بقوله في الحاشية (٦) :

وتَفَيَّأتِ الشَّجَرَةُ وفاءت تفيئة كَثُرَ فيؤها . ويقال للحديدة اذا كلّت بعد حِدتها فاءت (اللسان) فتأ) .

أقول : وهل أفاد القاريء شيئاً من هذه التعليقة ؟ وأين هذا من البيت ؟ وهل الكلمة في البيت محتاجة إلى هذا الإثقال ؟

وصواب «صَيدها» بالفتح (صِيدها) بالكسر جمع أصيد ،

ثم أعقبه البيت كلام للمصنف في الغُفر ولد الأرويّة ، والطَليّ ولد الضَّأنِ والجؤة وغير ذلك ، وكله مما لا علاقة له بنص يسبقه ، ولم يُشِر المحقق إلى ذلك . ثم أعقب ذلك كلام آخر جديد فقال : رجل سَقُط وتكلم عَلى المعنى والدلالة وهو كسابقه كلام منقطع غير متصل . واستدل المصنف على السقط بقول الشاعر :

آي المضيمة ناءِ بالعظيمة مِ(كذا) ـتْلاَف ـ الكرِيمة لاسقط ولاوانِ

---

(1) «العرب» : النَصّ كما في ص ١١٦ «أبو علي الهَجري» وحُذُنّة هضبة ذات رءوس لا تزال معروفة وانظر عن تحديد موقعها كتاب «عالية نجد» أحد «أقسام المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .

أقول : لقد أثبتُّ البيتَ كما ضبطه المحقق ، وصوابه :

آبي المضيمة ناء بالعظيمة متـ ـلافُ الكريمة لاسِقْطٌ ولَاوَاني

والبيت من (البسيط) لا (الكامل) كما أثبت المحقق .
وللبيت رواية أخرى في اللسان (ودق) ..

٢١ — وجاء في الصفحة ٥٩ قول المصنف :

وساق بالنبي — صلى الله عليه — سانداً في الغائر .... في (مُهاجره) (كذا) وهو (أي عبدالله بن ذي البِجَادَيْن المزني) ينشد :

تَعَرَّضِ مدارجاً وَسُوْمِي
تَعَرُّضَ الْجَوزَاءِ للنُّجوم .

أقول : والصواب : تَعَرَّضي ، وبه يستقيم الرجز .

٢٢ — وجاء في الصفحة ٦٢ قول المصنف :

فصائل مالك بن جعفر : بنو سلمى والإضافة إليه سِلْميٌّ ، مثل عَمريّ .. أقول : والصواب سَلْميّ بفتح السين .

وكان من المفيد أن يشار إلى أن اللغويين يَسْتَعْملون (الإضافة) بمعنى النّسبة .

٢٣ — وجاء في الصفحة ٦٤ قول المصنف :

وخِضْيَل رهط بزيع ...
أقول : وكان الواجب أن يضبط «بَزيع» بفتح الباء مثل كريم ورحيم . وبَزيع غير واحد من المحدِّثين .

٢٤ — وجاء في الصفحة ٦٩ قول المصنف :

إذا خرجت من فَيد تريد بالس وحمص من الشَّام فأنت داخل تحت مهَبّ الشمال سلكتَ ناحية الصُحْر ..

أقول : والصواب .. وأنت داخل تحت مهبّ الشمال سلكت لأن جواب (اذا) هو (سلكت) .

وجاء في الصفحة ٧٣ قول المصنف :

وقال السُّلَيْمِيُّون : ..

أقول : والنسبة إلى «سُلَيْم» سُلَميّ (بحذف ياء التصغير) مثل قُرَيش وقُرَشي وغير ذلك ..

٢٥ — وجاء في الصفحة ٧٥ قول المصنف :

الأربعون هو أدنى ما يحتمي من العدو بالغور والنجد ، والقلة في الغور أولى بالاسم لاستيزائهم الى الأحجاء والأوزاء ..

وقد علق المحقق على كلمة (الاستيزاء) فقال :

التياز (بتشديد التاء والياء وفتحها) الرجل الذي يتيَّز لأنه يتقلع في الأرض تقلّعاً ، تاز يتوز توزاً ويتيز تيزاً !

أقول : وليس (الاستيزاء) من تاز يتوز ويتيز بل هو من (استوزى) من مادة (وزَى يَزِي) بمعنى انتصب .

٢٦ — وجاء في الصفحة ٧٦ قول المصنف في تعليقة لغوية لا تتصل بنَصٍّ شعري قبلها وقد أغفل المحقق كل ذلك :

.... وهو النِّمر (كذا) وجمعه نمُور ونُمرٌ ونَمرات ونِمار وأنمار وأفصحها النمور والنَمران (كذا) .

أقول : ولم يرد (النَمَران) جمعاً لـ(نَمِر) ولعله (نِمران) مثل ذئب وذِئبان بكسر النون لا فتحها ، أما (نَمرات) فهي مصحفة عن (نَمِرات) إلا أن تكون من لغة الأطفال أو جمعاً لـ(نَمِرة) مؤنثاً . هو (النمر) بفتح فكسر لا (النمر) بكسر النون كما أثبت المحقق .

٢٧ — وجاء في الصفحة ٧٧ قول المصنف :

القَضَّة والقضاض مثل الوَجار (كذا) والسيب يكون السباع (كذا) في الجبال والحرار ..

أقول : لم أستطع أن أَجِدَ وَجْهاً لكلمة (القضّة أو القِضَاض) يؤدي الوجار أو (الوَجار) بالفتح كما أراد المحقق.

ليس لي إلا أن أقول إن (القضّة والقضاض) هما (الغَيضة والغياض) والغيضة الأجمة ومُلتفّ الشجر وهي ملجأ الوحوش الكواسر كالأسد والضبع وغيرها.

وليس (السيَب) إلاّ (السَرَب) وهو سَرَبُ الضَبع ، ويكون للسباع لا كما قال المحقق .. (يكون السباع).

٢٨ — وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف :

اللِّحقة واللِّحاق — بجرّ اللام — في السيف يكون فوق الجَفن يُشرَح على مقاديم السيف ..

أقول : إذا كان هذا من الفوائد التي لا نجِدها في معجمات العربية أما كان من الواجب أن يشير إلى ذلك المحقق ؟

٢٩ — وجاء في الصفحة نفسها الرجز الآتي :

إذا زيادٌ فوقها اقلعَفّا
وجَعَلَتْ رؤوسَ الغضاة طفّا
أقول : والصواب : وجَعَلَتْ رَأْسَ الغضاة طَفّا

٣٠ — وجاء في الصفحة ٧٨ قول المصنف :

وحجر شَعاعة ..
ولم أدرْ ما المراد ولم أجد في كتب اللغة شَيئاً من ذلك ، ولم يشر المحقق إليها ولا علق بشيء ..

٣١ — وجاء في الصفحة ٧٨ قول المصنف :

عَسِبَ الكلب إذا غَلِمَ ، وقَطِم الفحل ، وغَلِمَ الرجل .
أقول : والصواب : قَطِمَ لا (قطيم) كما أثبت المحقق .

٣٢ — وجاء في الصفحة ٧٩ قول المصنف :

رماك الله بذَبحة تقحذ منك ..
أقول : والصواب تُقَحْذِمُك أي تعجل عليك بالموت ، وليس تقحذ منك .

٣٣ — وجاء في الصفحة ٧٩ من قول المصنف :

الحَبَطة : أثر الجرح وقد برأ ، حبرة ناتئة ، ولحقهم الغيث للذين يغشونهم . أقول : ولا ترى أي صلة بين أجزاء هذا الكلام وما علاقة (الحبطة) وهي أثر الجرح وقد برأ ، بـ(الحبرة الناتئة) وما المراد بـ(لحقهم الغيث للذين يغشونهم) .

٣٤ — وجاء في الصفحة ٨٢ قول المصنف :

سَرُع الفرس يسرُع سرعاً لكل من أسرَعَ من رجل وروحاني !
أقول : وما معنى قوله : (وروحاني) من غير شك أنها شيء آخر وقد تصحف الى (روحاني) .

٣٥ — وجاء في الصفحة نفسها البيت :

إذَا أنزلتها رفعة مضرية وأخرى يمانيٌّ أمَدَّ تريدها

وقد علق المحقق على البيت في الحاشية(٢) فجاء فيها :

هامش الأصل : لا تشد والشام ولا يماني ولا تهام ، وغير ذلك من المنسوب اليه يشد ...

أقول : وهذا الهامش الذي أثبته المحقق غير مفهوم ولم يفهمه هو ولو كان قد فهمه لشرحه وأبان غموضه ثم قوّم أوَدَهُ . أو يماني محققًا . والمراد منه : ان المنسوب إلى اليمن (يَمَان) أو يماني مخففا والى الشام (شآم) أو شآمي (بالتخفيف) والى تِهامة (تَهام) أو تَهامِي (بالتخفيف) .

٣٦ ــ وجاء في الصفحة ٨٣ قول المصنف :

وقال القِرديّ : وهب المَنسبة (بجر السين) تشبيب القصيدة وهو التسيّب .

أقول : وأظن أن كلمة «وهب» قد دُسَّت ولا معنى لها في السِّياق . وصواب الكلام كله :

المنسِبة : نسيب القصيدة وهو التشبيب لا التسيّب .

٣٧ ــ وجاء في الصفحة ٨٤ قول المصنف :

ويقولون الشُبوب (كذا) مثل حُسنّ البقر الوحشية ..

أقول : ولا يتَّجهُ الكلام إلا حين نقول :

ويقولون الشبوب (بفتح الشين لا ضمها) من مَسانٍّ الإبل الوحشية ،

٣٨ ــ وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف :

واذا رَعَت التُهمة جاء العسل شردواً ..

أقول : والصواب هو الشَّوْرْ ، ويسمى العسل شَوْراً وهو من باب تسمية الشيء بالمصدر ، شار يشور شوراً .. وقد تكرر الخطأ في الصفحة (٨٥) فصار الشور (شِرواً) (كذا) .

٣٩ ــ وجاء في الصفحة ٨٥ قول المصنف :

وقال الهذلي ..

فعلق المحقق على «الهذلي» في الحاشية (١) فقال نسبة إلى بني هذيل ! !

أقول : وهل كان المحقق يشك أن أحداً من القراء كائناً من كان يجهل هذا ؟

٤٠ ــ وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف :

وقال الزهيري والتَّبالي والخثعمي ..

فعلق المحقق على قوله «الخثعمي» في الحاشية (٢) . فقال :

نسبة إلى خشام (كذا) والصواب خثعم بن أنمار..

وكان على المحقق أيضاً أن يشير إلى أنَّ (خثعم) اسم جبل فمن نزله فهم خثعميّون.

٤١ — وجاء في الصفحة ٨٦ قول المصنف:

وجلّه الوادي (كذا).. مفتوحة الجيم..

أقول: والصواب: جُلْهَة الوادي.

٤٢ — وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف:

.... والضَقَة مفتوحة أيضاً.

أقول: والصواب الصَنَفَة بالصاد مفتوحة بعدها نون مفتوحة أيضاً ما غَلُظ من الحرّة.

٤٣ — وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف:

الكرَبة.. فعلّق المحقق في حاشيته فقال:

الكرَبة: فصل ما بين الجبلين، وجمعه كراب «نظام الغريب» ص ٢٢٤.

ثم قال المصنف في الصفحة ٨٧: وأدنى العدد للكربة كرَبات، فعلّق المحقق ثانية فقال: الكرَب أصول السعف العِراض التي تيْبس مثل الكتف واحدتها كرَبَة (اللسان).

أقول: ولا ندري أيهما أراد المصنّف ولم يُشر المحقق إلى المراد من الشاهد الذي أتى به المصنف مستشهداً على (الكرَبات).

قال عمارة الخثمي (كذا):

أبتْ كرَبات بين جبلان فالشرَى فؤادي غار (كذا) أن ترَى أبداً نُعما

أقول: أني استرجح أن ليس لأُصُولِ السَّعَفِ مكانٌ في كلام المصنف بل المراد الموضع.

٤٤ ــ وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف :

والجَهاء (بفتح الجيم) ممدود ، جمع جَهوة .
أقول : هذا ما انفرد به الهجريُّ ، وإذا كان هذا فلا بد أنْ يكسر الجيم لأنه ليس بناء (فَعال) بفتح الفاء من أبنية جموع التكسير بل هو (فِعال) بالكسر .

٤٥ ــ وجاء في الصفحة ٨٩ قول المصنف :

وقال العزيني : من هلال شَحُبَتْ .
وقد علق المحقق على «العزيني» فقال : لم تفصح عنه المصادر ولعله القريني أقول : ويحتمل أن يكون العُريني أو آخر ! !

غير أن المحقق لم يعلق على قول المصنف «من هلال شحبت» هذه الجملة التي لا تفصح عن أي معنى .

٤٦ ــ وجاء في الصفحة ٩٠ قول المصنف :

ومثله قول : خُلَيْدٌ عَيْنَينَ العَصَريُّ يرثي المنذر بن الجارود العَبْديَّ :
تذرو عليه الريح مَوْرَ الدَّرينْ . ... (الرَّجَز)
أقول : وهذا مثل آخر من بحر السريع الذي حمله المحقق على الرجز
مستفعلن مستفعلن مفعولان

٤٧ ــ وجاء في الصفحة ٩١ قول المصنف :

في العَنِفة والعنيفات ، والعَرِفة والعريفات ، والوَدقة والوَدِقات للسحاب دون العليا ، وهي المطن (كذا) أيضاً .

وقد علق المحقق على كلمة (الودقة) فقال في حاشيته :
في (أ ، ب) الودفة (بالفاء) وهو تصحيف ، حيث الوَدفة (بفتح الدال) الروضة الخضراء الممطورة اللينة (اللسان) .

وجاء وذقت السماء وأودقت ، وسحابة وأدقة ، والودق المطر (اللسان) .
أقول : لقد اقتصر الشرح على (الودقة) ونفى أن تكون بالفاء ، وكأن الكلمتين

وهما : عنفة وعرفة «لا شيء فيهما من غموض واشكال .

٤٨ ـــ وجاء في الصفحة ٩٢ قول المصنف :

واكتشموا الإبل يعني ساقوها .
وقد علق المحقق على (اكتشم) فقال في حاشيته :

كشم أنفه دقّه وجدعه (اللسان) ثم قال : وليس فيها هذا المعنى . أقول : ألا يجوز أن يكون الكلام : اكتسحوا الإبلَ ؟

جاء في كتب اللغة : واكتسحوهم : أخذوا مالهم كله ، والمال هو الإبل والماشية .

٤٩ ـــ وجاء في الصفحة ٩٣ قول المصنف :

والمِلْوَطة : خشبة يُسَرَّى (بالراء) بها الديار .
أقول : والصواب : يُسَوَّى من التسوية .

٥٠ ـــ وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف :

وتَواتَنَى القومُ : كثر نسلهم من أوتَنَى المعدن إذا كثر ما يخرج منه . أقول : والصواب : وتواتنَ القوم .... من أَوْتَنَ الْمَعْدِنِ ...

٥١ ـــ وجاء في الصفحة ٩٥ مقطوعة مطلعها :

كـنَّـا وسـعـداً اخـوة جيرة أعـزَّةً والـفضـلُ لـلـفـاضـل

فأشار المحقق أنها من البحر الكامل .
أقول : والصواب انها من السريع .

٥٢ ـــ وجاء في الصفحة ٩٧ قول المصنف :

هذا المحض من كلام العرب .
وقد علق المحقق فأشار إلى (المحض من كل شيء الخالص) ..

أقول : وما أظن أن كلام المصنف يقتصر على هذه العبارة فلا بد أن يكون قد

عرض للنص ما عرض من السقط والعبث .

٥٣ ــ وجاء في الصفحة ٩٨ قول المصنف :

وقال : وَهْبٌ يتبحَّرُ على كبدي للذي يقف من الطعام والشراب .

أقول : ما المراد بهذا القول ، أليس هو مما قد عرض له من المسخ والحذف وغير ذلك حتى أحاله . والغريب أنَّ المحقق لم يَقِفْ ولم يعلق بشيء وكأنه مستقيم لا عوج فيه .

٥٤ ــ وجاء في الصفحة ٩٩ قول المصنف :

قال ذو الرمة :

قطعتُ لها رُغْبُلةً من عمامتي ، فاسنخت زيداً فساخاً ..

أقول : لم أتبين من بيت ذي الرمة إلا الصدر وهو :

قطعت لها رعبلّة من عمامتي .

غير أن المحقق أتبعه بكلام آخر لا علاقة له به فصار المجموع خليطاً من شعر ونثر غير مفهوم على وجه من الوجوه . ولم يشر المحقق الى شيء من ذلك .

ثم إني لم أجد صدر البيت في ديوان ذي الرمة .

٥٥ ــ وجاء في الصفحة ١٠١ قول المصنف :

.... وهي العَقَب (كذا) فوق الفُوق .

وقد علق المحقق على كلمة (الفوق) فقال : فواق : ناقة (بفتح الفاء وضمها) (اللسان) أقول : وفات المحقق أن (الفوق موضع الوتر من السهم) ، وأعجب أنه كيف ذهب الى هذا وفي النص كلام على الرمي للمصنف وهو :

« هو أرمى الناس بذي أُطُرةٍ أي السهم .

٥٦ ــ وجاء في الصفحة ، ١٠٢ قول المصنف :

أنا مُقرِن للذي لا معين له على ضيعته وعمله ، والمقرن : المطبق للأمر القوي عليه . حرق (كذا) من الأضداد .

فعلق المحقق على كلمة (حرق) فقال في حاشيته :

الحرق : حرق النابين أحدهما بالآخر .

أقول : لولا حاشية المحقق لحملت كلمة (حرق) على الخطأ المطبعي ، ولكن الحاشية دلتني على مبلغ علمه وفطنته .

ألم ينتبه الى كلمة (الأضداد) فيصلح (الحرق) ويكتبها «حرف» بالفاء والحرف بمعنى الكلمة . والمعنى أن كلمة (المقرن) من الأضداد .

٥٧ — وجاء في الصفحة ١٠٣ ذكر أبي عمرو بن العلاء فعلق المحقق وترجم له وذكر المصادر للترجمة .

أقول : وأبو عمرو بن العلاء غير محتاج إلى هذه الترجمة فهو من الاعلام والمشاهير ولا سيما لقراء «النوادر» هذه .

ولو أن أبا عمرو قد ذكر في كتاب الهجري بكنيته فقط لكانت الاشارة إلى ذلك مفيدة لئلا يلتبس أمره بأبي عمرو الشيباني مثلاً .

٥٨ — وجاء في الصفحة ١٠٤ قول المصنف :

وأنشدني السَلوليّ :

وقد علق المحقق على (السلولي) فقال : هو الوليد بن سليمان السلولي ، أنظر رقم ٨٥٠ .

أقول : إن الإحالة على رقم ٨٥٠ أي الجزء الثاني من «التعليقات» الذي لم يطبع غير مفيدة ، وكان على المحقق أن يقطع بالأمر في هذا الموضع لأنه أسبق . وليس لنا أن نقطع أن السلولي هذا هو الوليد بن سليمان فقد يكون سلولياً آخر .

٥٩ — والذي نلاحظه في كثير من مقاطيع كتاب «التعليقات» في هذا الجزء كثرة الإقواء بحيث تجد موضعين للأقواء في مقطوعة واحدة لا تتجاوز سبعة أبيات ، أنظر الصفحات ، ١٠٥ ، ١٤٢ ، ١٥٦ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٩٤ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢١٩ الى آخر ذلك .

٦٠ — وجاء في الصفحة ١٠٧ البيت :

ألا إنَّ قرب الدار جد وأن ترى خليلك يوماً نظرة يستديمها

أقول : والصواب : ألا إنَّ قرب الدار خير وأن ترى .

٦١ — وجاء في الصفحة ١٠٩ البيت :

الى الله أشتكي رجلاً يجني .

وقد علق المحقق عليه فقال : البيت لا يستقيم وزنه إلا إذا قلنا : إليه اشتكي ولعل يجني ليصلح المعنى .

أقول : وهذا الافتراض غير صحيح من أجل الوزن . والذي أراه أن تسهيل همزة اشتكي تجعل الوزن مُستقيماً .

٦٢ — وجاء في الصفحة ١١٠ البيت :

فإن تكُ يا ابن عمّي بَهْونيّاً .

أقول : لم أجد (البهونيّ) في كتب اللغة ولم أتبيّن لها وَجْهاً فلعلها مصحفة ، وأما حاشية المحقق عن (البهي) وهو ذو البهاء فلا تغني ولا تسد الحاجة .

٦٣ — وجاء في الصفحة ١١٢ قول المصنف :

من أهل السراة فصحاً (كذا) .

أقول : لعلها «فصحاء» ولما لم يجد المحقق الهمزة مرسومة أثبت الكلمة على نقصها .

٦٤ — وجاء في الصفحة ١١٤ البيت :

وفتَّلْتَ رأياً من خطوب كثيرة وسدَّيت ما لا بد أنّك نايرهْ

أقول : والصواب : نائره ، والهمز مطلوب . وقد أخل المحقق بهذه الهمزة غير مرَّةٍ .

٦٥ — وجاء في الصفحة ١١٧ البيت :

فما نطقه مما قَرَى المزنُ في صَفاً منيع الذُرا تروي الوعول حوالقُهْ

أقول : والصواب : نطقة .

٦٦ ــ وجاء في الصفحة ١١٩ البيت :

ألا يا ابن جَعدٍ لو علمت بغرّة بِـدارَ لأنضـيتَ المطيّ المخزّمـا

وقد علق المحقق فقال : المطيّ المخزّم : حلقة تجعل في أحد جانبي مِنْخري البعير يشد بها الزمام .

أقول : ليس (أعطي المخزّم) حلقة .. بل الحلقة هي الخِزامة وخزَّم المطيَّ جَعَلَ في أنْفِهِ الخِزَامَة .

٦٧ ــ وجاء في الصفحة ١٢٧ البيت :

ومـا هَـدْهَـدَتْ ورقـاءُ في سـاق سِـدرةٍ
لها فَنٌ غَضٌّ الـنـبـات وطـيـب

أقول : والصواب : لها فَنَنٌ غضّ النبات رطيب وبذلك يستقيم الوزن .

٦٨ ــ وجاء في الصفحة ١٣٠ البيت :

لو أنّ الذي منك كان براهب يصلّى الـليالي كلها ويصوم

وقد علق المحقق في الحاشية فقال :

هكذا ورد ولا تدخل الباء على خبر كان ، البيت فيه إقواء ولا يستقيم الوزن إلا بقولنا : ولو أن الذي قد كان منك براهب .

أقول : حاشية المحقق غريبة وفيها من الوهم الشيء الكثير ، فليست الباء داخلة في خبر كان ، واقتراحه واسترجاحه للصدر لا يُقَوِّمُ البيت ، فالوزن غير مستقيم كما اقترح للبحر الطويل .

ثم إنَّ الاقواء حاصل في ثلاثة أبيات من المقطوعة التي تنتهي بالميم المكسورة ، ويستقيم البيت إذا كان : لو أنّ الذي قد كان منك براهبٍ . ثم إن الراهب (يصليّ ويصوم) لا يصلّى .

٦٩ ــ وجاء في الصفحة نفسها البيت :

أبى وَرَق الدُّنيا وأخلص دينه
وصامَ وخَلّى عنه كلُّ نعيم

أقول : والصواب : وَرِق الدنيا ، والورِق (بكسر الراء) الفضة .

٧٠ ــ وجاء في الصفحة ١٣٢ البيت :

فإنْ يعْفُ منه طاهرُ التُّرب والحَصَى
ويشعبُه من وقت الحمام شَعوبُ

أقول : والصواب : ويشعبه وقت الحمام شَعوبُ ، باسقاط «من» .

٧١ ــ وجاء في الصفحة ١٣٤ البيت :

إذا انشق عند السابريّ رأيته هضيم الحشا صَكت الجبين عَمرَّدا

أقول : والصواب :

اذا انْشقّ عنه السَّابِريُّ رأيْتَهُ هضيم الحَشَا صَلْتَ الجبين عمرَّدا

٧٢ ــ وجاء في الصفحة ١٣٥ البيت :

له ـ أبْرَدَاهَا بِالعَشيِّ وبالضُحى يدور الى أَيِّيهِمَا كان أجْوَدا

وقد علّق المحقق على كلمة (الابردان) أي الظل والفيء أو الغداة والعشيّ . وكان عليه أن يقف على قول الشاعر (أَيِّيهِمَا) فهي جديرة بالوقوف عليها .

٧٣ ــ وجاء في الصفحة ١٣٧ الرجز :

أيا اخويّ اعقباني أعييتُ (بضم التاء في اعييت)
أقول : وتمام الرجز في وزنه ينبغي أن يكون :
يا أخَوَيَّ أعقبانيْ أعْيَيْتْ
فحرف النداء (يا) وليس (أيا) والفعل الأخير ساكن التاء .

٧٤ ــ وجاء في الصفحة ١٣٩ البيتان :

إذا نارُ ليلى آلت الجمر بعدَما سرينا بها ليلاً وطال تقرُّبُها
تُشَبَّهُ لضُلاَّل الرعاء وقد بدت لأكبر منهم حاجةً لو يؤوبها

أقول والصواب :

. . . . . سرينا بها ليلاً وطال تُقُوبُها
. . . . . لأكبر منهم حاجةً لو يؤوبُها

٧٥ — وقد جاء في هذه المقطوعة التي أشرنا إليها في البيتين المتقدمين قول الشاعر :

واعرض وجهي للجَنوب من الهوى إذا استرَوح الأرواح بالليل ذئبُها

همز المحقق كلمه (ذئبها) وحقّها أن تُسَهَّل الهمزة (ذِيبُها) لتناسب الأبيات الأخرى في أن (الردف) الذي يسبق حرف الروي إما أن يكون واواً أو ياءً . وقد عرض مثل هذا في مقطوعة أخرى في الصفحة ١٤١ فجاءت الكلمة التي فيها الروي (شؤمها) بالهمزة وحقها أن تكون (شومُها) بالواو .

٧٦ — وجاء في الصفحة ١٤١ البيت :

فتى الحيّ لا ذو كبرياء عليهم ولا شحشح جُم الجنال عَتوبُ

أقول : لعلّ الأصل : جهم الجناب عتوبُ .

٧٧ — وجاء في الصفحة ١٤٦ البيت :

بَدَتْ شرفاً من فوقهنّ كما بدا على القَزَع الكُلف الدمام صبير

أقول : لعل الصواب : الرهام .

٧٨ — وجاء في الصفحة ١٥٢ الرجز :

قد وردت من فَرْمَلٍ وأوضاحْ

أقول : وليس هذا من الرجز بل هو من السريع (العروض الثالثة) .

٧٩ — وجاء في الصفحة ١٦٦ قول المصنف :

فالبُكْل لغير العجين أجوده والملك للعجين أجود

أقول : والصواب : فالبَكْل لغير العجين أجود .

٨٠ — وجاء في الصفحة ١٦٧ البيت :

ألا هل أتى من حلَّ بطنَ حَبوني ونجران أخبار الأمور الجسائم

أقول : والصواب : بطن حَبَونٍ (اسم موضع) .

٨٠ — وجاء في الصفبة ١٦٨ البيت :

ضمنتُ لدرَّاجٍ ضمانَ ابن ضُرّة ان اسقيه الكأس التي قد سقانيا

أقول : والصواب : بالكأس ، وبذلك يستقيم الوزن .

٨١ — وجاء في الصفحة نفسها البيت :

لو أشبهت شيخاً قبره بِسَعْبَعَبٍ أبى دقّة الأخلاق وهو وليد

وقد علق المحقق على كلمة «سَعْبَعَب» فقال : لم يرد موضع بهذا الاسم ، بل ورد «شَعَبْعَب» بالشين اسم ماء باليمامة لبني قشير .

أقول : وكان واجباً على المحقق أن يصحح ما في المخطوط ويرسم (شَعْبَعب) بالشين لأنه هو الصحيح المراد ، والشين والسين أو قل الاعجام والاهمال معروف يعرض في المخطوطات بسبب من جهل النساخ أو اقتصارهم على السهل ، وعلى المحقّق صاحب الاختصاص أن يعجم ماسها عنه الناسخ فأهمله .

٨٢ — وجاء في الصفحة ١٧٤ قول المصنف :

والعَضَد ضِخام الغضون ..

أقول : والصواب ضخام الغصون بالصاد .

٨٣ — وجاء في الصفحة ١٧٥ الرجز :

ضحَّيتُ حتى أظهرت الملحوبِ

وأشرفت ملواحها روس اللوبِ

وطنَّبَ الصَقْبُ كما يعوي الذيبُ .

وقد علق المحقق فقال : والبيت الثالث فيه إقواء لمخالفة الأبيات السابقة بالحركة .

أقول : وليس من إقواء في البيت الثالث وقد أساء المحقق إقامة الوزن للأبيات فهي ساكنة الآخر :

ضحَّيت حتى أظهرَتْ للمحوبْ

وبهذا فليس من إقواء . ثم إن الأبيات ليست رجزاً بل هي من السريع (العروضة الثالثة) مستفعلن مستفعلن مفعولان .

٨٤ — وجاء في الصفحة ١٧٦ قول المصنف :

وأنشد أبو الميمون بيت جُرَيٌّ .

أقول : والصواب بيت جرير ، أنظر الديوان .

٨٥ — جاء في الصفحة ١٧٧ قول المصنف في أول الصفحة :

شأو مُتَقَرِّف من كل مكان ومتطرف واحد القرائف والطرائف

أقول : والكلام غامِضٌ لا سبيل إلى فهمه ، ولم يُشِر المحقّق إلى ذلك .

٨٦ — وجاء في الصفحة نفسها الرجز :

تدفع أيديها يداً ثمّ يَدا
لعلَق اللبينيّ الهبيد المُعْقدا

أقول : ولا يستقيم وزن البيت الثاني إلا إذا قلنا : لَعْقَ اللبيني الْهَبِيْد المُعقَدا .

٨٧ — وجاء في الصفحة ١٧٩ قول المصنف :

لو يؤكل من رعية شيء هو أنف ....
أقول : ويتجه الكلام لو قلنا : ما لم يؤكل من رعيه (لا رعية) شَيْءٌ ، هو أُنُفُ .

٨٨ — وجاء في الصفحة ١٩٤ البيت :

ودابـرتَ بعد الأربعين تحشلّي   وقد لاح شيب في المفارق والضرر

أقول : والصواب : والغُرر بالغين المعجمة .

٨٩ ــ وجاء في الصفحة (١٩٧) البيت :

اذا ظعنوا طاروا كما طيّر القَطا   على ضُمَّر صُهْب بطيٍّ كلالها

أقول : والصواب بطيء مهموزاً .

٩٠ ــ وجاء في الصفحة (٢٠٢) البيت :

فلنعم معترك الحيّ الجياع اذا   خبَّ السـفير وسـاقي الخمـر

أقول : والصواب الذي به يستقيم الوزن أن تحذف كلمة (الحيّ) .

٩١ ــ وجاء في الصفحة (٢٠٣) قول المصنف :

هي عروس فتاتي تعينني السَقي حتى يختلط طين السقي ومدره بخلوتها أقول : والصواب بخلوقها .

٩٢ ــ وجاء في الصفحة (٢٠٧) البيت :

مجرّكـــل سماكيّ اذا عـــزبت   شمس النهار وحان الليل فاتّسقا

أقول : والصواب : اذا غَربت .

٩٣ ــ وجاء في الصفحة (٢١٢) البيتان :

سقى القبر قبراً بالدفان محلُّه   من الرعد ريان الذباب وكوفُ

. . . .

فمن لبغاة الخير بعد ابن مُعوضٍ   وقد ملَّ عيسَى سيرُهنّ وجيف

أقول : والصواب :

.........،   من الرعد ريان الرَّباب وكوفُ

....   وقد ملَّ عَنْسي سيرُهنّ وجيف

خاتمـة :

أكتفي بهذا القدر بعد أن تجاوزت عن الكثير من الخطأ الذي يتصل بإساءة الضبط الذي يُغيِّر المعنى ، كما تجاوزت عن الكثير مما يتّصل بالأوزان .

ولا بد أن أشير إلى أن الثلث الأخير من هذا الجزء قد اشتمل على قصائد طويلة ومقطعات أكثرها غير معروفة في مصادر الأدب القديم ، ولم يُعْرَف أصحابها . غير أن هذه المواد قد عرض لها ما عرض من التحريف والتصحيف والحذف والبَتر ما جعل الوصول إلى وجوهها الصحيحة ، عسيراً جداً .

بغداد كلية الآداب الدكتور ابراهيم السامرّائي

العرب : تَرَفَّع أستاذنا الجليل الدكتور السّامرائي ، أو تحاشى التَّعَمُّق في الحديث عن جوانب أخرى تتّصل بالموضوع .

١ ـــ أهمها أن كل ما في المقدمة عن الهجري ـــ مما هو موضوع رسالة (الدكتوراه) منقول جُلُّهُ ـــ باللفظ أو المعنى من كتاب «أبو علي الهجري» وهذا ما ستعرض مجلة «العرب» لتفصيله وإيضاحه .

٢ ـــ صاحِبُنا لم يُحسن قراءة المخطوطة القديمة من نسختي (دار الكتب) فاكتفى بالمخطوطة التي نُسِخَت عنها في عهد مُتأخِّر ، صيانة للأولى ، وتاريخ نسخها لا يرتفع إلى أكثر من سبعين سنة ، والناسخ جاهل لا يحسن قراءة الخط القديم ، ولا يدرك أنّ في ترتيب ورق المخطوطة التي هي الأصل خَلَلاً كان يجب إصلاحه قبل البدء بالنسخ ، فلذا جاءت المنسوخة مختلَّة الترتيب أيضاً ، وقد علم صاحِبُنا بذلك من أحد من قابلهم ، فادَّعَى هو بأنه رتّب ورق نسخته التي طبعها ترتيباً صحيحاً ، ولكن من يقرأ نسخته يجد الاضطراب وعدم الترابط بين كثير من صفحاتها .

٣ ـــ ثم هو نفسه ـــ فيما يظهر من عمله ـــ لا يحسن قراءة النصوص القديمة ، فيقرأ مثلاً :

١ ـــ هضبة بِرأس الذَّرْو ، ذَرو الشُّريف .

نساء في القمة

- ٤ -

أم تطلب من ولدها أن يغرقها :

من أعظم البلايا التي مرَّت بالمسلمين في تاريخهم الطويل بَلْ أعظمها وأدهاها ، وأشدها وأنكاها ، خروج الْمَغُول من خلف سُوْر الصِّيْن العظيم إلى بلاد المسلمين ، فَدَمَّرُوا الْمُدُنَ ، وقتلوا السكّان ، ونَهبوا كُلَّ ما رأوه صالحاً لَهُم ، ثم أَحْرَقُوا مَا وَرَاءَهُمْ فتركوا العامر خراباً ، والحقولَ الناضرةَ صَحْرَاءَ خاويةً ، ولعلَّ فيما ذكر ابْنُ الأثِيْرِ الْمُؤَرِّخ المشهور صورةً واضحة جَلِيَّةً تُرَى فيها تِلْكَ المصيبةُ في مُجْمَلِهَا قال :

لقد بَقِيْتُ عدة سنين مُعْرِضاً عن ذكر هذه الحادثة استِعْظاماً لها ، كارهاً لذكرها ، فأنا

هضبة برأس الزرود الشريف (ص ٥٢) ثم يتحدَّث في الحاشية عن زَرُود .

٢ — ويقرأ حُذُنَّة : جَدْنة (٥٤) ثم يعتذر بعدم وجود الاسم في المصادر .

٣ — ويقرأ (العرصة) بالضاد المعجمة ويسترسل بتفسير ما قرأ ص ٦٠ .

٤ — ومن دَارات العرب بِسُرَّة نَجْدٍ : دارة شُعَبَى) يفسرها : البُسْرة بسكون السين من مياه بني عقيل — ويحيل الى «مراصد الاطلاع» — ص ٦٥ .

٥ — ودارة خنزر هي (دارة حنزة) وما في الأصل تحريف ص٦٥ .

٦ — وكلمة (خف) التي يضعها الكاتب فوق الحرف إشارة الى تخفيفه تدمج في الأصل مثل : (أبانان ومسيل الرُّمَة خف بينهما) — ٦٨ .

٧ — والحَزِيْزُ تُقرأ (الحُزَين) ص ٧١/٦٩ وتُفَسَّرُ بأنها من الحَزَن مع ذكر الحزون نقلاً عن «مراصد الاطلاع» .

٨ — والبِرَك (نوك) والنبي (البني) .

وغير ذلك من الكلمات التي تُذَكر بِمُسْتملي أبي عُبَيْدة الذي يكتب خلاف ما يسمع ، ويقرأ غير ما كتب ، ويَشْرح ما لم يَقْرأ ! !

نساء في القمة

- ٤ -

أم تطلب من ولدها أن يغرقها :

من أعظم البلايا التي مَرَّت بالمسلمين في تاريخهم الطويل بَلْ أعظمها وأدهاها ، وأشدها وأنكاها ، خروج المُغُول من خلف سُوْر الصِّيْن العظيم إلى بلاد المسلمين ، فَدَمَّروا المُدُنَ ، وقتلوا السكَّان ، ونَهبوا كُلَّ ما رأوه صالحاً لَهُم ، ثم أَحْرَقُوا مَا وَرَاءَهُمْ فتركوا العامر خراباً ، والحقولَ الناضرةَ صَحْرَاءَ خاويةً ، ولعلَّ فيما ذكر ابْنُ الأَثِيرِ المُؤَرِّخ المشهور صورةً واضحة جَلِيَّةً تُرَى فيها تِلْكَ المصيبةُ في مُجْمَلِهَا قال :

لقد بَقِيْتُ عدة سنين مُعْرِضاً عن ذكر هذه الحادثة استِعْظاماً لها ، كارهاً لذكرها ، فأنا

هضبة برأس الزرود الشريف (ص ٥٢) ثم يتحدَّث في الحاشية عن زَرُود .

٢ — ويقرأ حُذُنَّة : جَذْنة (٥٤) ثم يعتذر بعدم وجود الاسم في المصادر .

٣ — ويقرأ (العرصة) بالضاد المعجمة ويسترسل بتفسير ما قرأ ص ٦٠ .

٤ — ومن دَارات العرب بِسُرَّة نَجْدٍ : دارة شُعَبَى) يفسرها : البُسْرَة بسكون السين من مياه بني عقيل — ويحيل الى «مراصد الاطلاع» — ص ٦٥ .

٥ — ودارة خنزر هي (دارة حنزة) وما في الأصل تحريف ص٦٥ .

٦ — وكلمة (خف) التي يضعها الكاتب فوق الحرف إشارة الى تخفيفه تدمج في الأصل مثل : (أبانان ومسيل الرُّمَة خف بينها) — ٦٨ .

٧ — والحَزِيْز تُقرأ (الحُزَين) ص ٧١/٦٩ وتُفَسَّرُ بأنها من الحَزَن مع ذكر الحزون نقلاً عن «مراصد الاطلاع» .

٨ — والبِرَك (نوك) والنبي (البني) .

وغير ذلك من الكلمات التي تُذَكر بِمُسْتملي أبي عُبَيْدة الذي يكتب خلاف ما يسمع ، ويقرأ غير ما كتب ، ويَشْرح ما لم يَقْرأ ! !

أُقدِّم إليه رِجْلاً وَأُؤَخِّرُ أُخرَى ، فَمَنْ ذَا الَّذِي يَسْهُلُ عليه أَنْ يَكتُبَ نَعْيَ الإسلام والمسلمين ؟ وَمَنْ الذي يَهُونُ عليه ذِكْرُ ذلك ؟! فَيَا لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي !! وَيَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا ، وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِياً ، إِلَّا أَنَّنِي حَثَّنِي جماعةٌ مِنَ الأَصدِقَاء على تَسْطِيرِها وأنا مُتوقِّف ، ثم رأيْتُ أن تَرْكَ ذلك لا يُجْدِي نَفعاً فنقول : هذا الفعل يتضمَّن ذِكْرَ الحادثة العُظْمَى والمصيبة الكُبْرَى التي عقمت الأيَّامُ والليالي عن مثلها ، عَمَّتِ الخلائقَ ، وخَصَّت المسلمين ، فلو قال قائل : إن العالَم منْذُ خَلَقَ الله سبحانه وتعالى آدَم إلى الآن لم يُبتَلَوا بِمِثْلِها لكان صادقاً ، فإن التواريخ لم تَتَضَمَّن ما يُقَارِبُها ولا ما يُدَانِيهَا ، ومن أَعْظَم ما يذكرون من الحوادث ما فعل (بُخْتَنَصَّر) . ببني إسرائيل من القَتْل وتخريب المَقْدِس ، وما بَيْتُ المقدسِ بالنِّسْبَةِ إلى ما خرَّبَ هؤلاء الملاعين من البلادِ التي كل مدينة منها أضعاف بيت المقدس ، وما بنوا إسرائيل بالنسبة إلى من قتلوا ؟ فإن أهلَ مدينةٍ واحدة ممن قتلوا أكثَرُ من بني إسرائيل ، ولعلَّ الخَلْق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم وتفنى الدنيا .

إنهم لم يُبْقوا على أحدٍ ، بل قتلوا النِّساء والرِّجالَ والأطفالَ وشقوا بطون الحوامل ، وقتلوا الأجِنَّة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم لهذه الحادثة التي اسْتطَار شررُهَا ، وعَمَّ ضَرَرُها ، وسارتْ في البلاد كالسَّحَابِ اسْتَدبَرَتْهُ الريح .

فإنَّ قوماً خرجوا من أطراف (الصِّين) فقصدوا (تُرْكَسْتَان) مثل مدينة (كاشغَر) وغيرها ، ثُمَّ منها إلى بلاد (ما وراء النَّهر) مثل (سَمَرْقَنْد) و(بُخَارَى) وغيرهما ، فيمتلكونها ، ويفعلون بأهلها ما فعلوا ثم تعبر طائفة منهم إلى (خراسان) فيفرغون منها مُلْكاً وَتَخْرِيباً وقتْلاً ونَهْباً ، ثم يتَجَاوَزُونَهَا إلى (الرَّي) و(هَمَذَان) و(بَلَد الجبل) وما فيه من البلاد إلى حَدِّ العراق ، ثم بلاد (أَذْرَبِيجَان) ويُخَرِّبُونَهَا ويقتلون أكثَرَ أهلها ، ولم يَنْجُ إلا الشريد النادر ، وكلُّ ذلك في أقل من سنة ، هذا ما لم يسمع بمثله .

هذه هي الصورة التي رسمها هذا المؤرخ الذي توفي قبل دخولهم بغداد وتَخْرِيبِها وقتل سكانها وهدم بنيانها ومَحْوِ حَضَارَتِهَا .

وأمام هؤلاء الغزاة تبدَّدَ شمل الملوك والسلاطين ، فتطايرتْ تِيجانُهُم كأنَّها وَرَقُ الشَّجر في زوابع الخريف ، وفرُّوا كما تفِرُّ العصافير ، إذا أَحَسَّتْ بسباع الطير ، ولم يَثْبتْ منهم لهذا

الطوفان الغامرِ إلا السُّلطَان (جلال الدين منكبرتي) الذي لم تُرعِبْهُ أخبارهم ، ولم ترهبه جموعهم ، بل قاتلهم وجالدهم ، فحقدت عليه قلوبهم ، وامتلأت بهيبته نفوسهم واشتد لذلك غَضَبُ طاغيتهم وعظيمهم ، (جنكيزخان) فجمع رجالَهُ ولقي جلال الدين ، فهزم جيشه وأرغم أنفَهُ وأذل نفسه ولكن يا لسُوءِ الطَّالِع ويا للحظِّ العاثِرِ لقد اختَلَفَ قادَةُ جلال الدِّين على الغنائم ، فالتبس الأمر ، وخفي موضع الصواب ، وذلك مما أزال النِّعَم وكان سببَ هتْكِ المحارم ، وفتح البلاد ، وبسبب ذلك الاختلاف ، فَارَقَ جلالَ الدينِ أَكبَرُ قادته مع جنوده ، فتذلل له جلالُ الدين ، وبكى بين يديه ، فلم يُصْغِ ذلك القائدُ إلى ندائِهِ ، ولا التفت إلى استخذاء ذلك الملك واستجْدائِهِ ، بل ركب رأسَهُ ، ومضى على هوى نفسه ، ولم يُضِع (جَنكيزخان) الفرصة المواتية ، بل انقض بجيشه على من بقي مع جلال الدين فتطاير الفرسان ، وتجالد الشُّجعان سحابة يومهم ، وحمل جلالُ الدين بنفسه على قلب جنكيزخان ، فمزقه بَدَداً ، وجعله طرائق قِدَداً ، وولَّى اللَّعينَ بنَفْسِهِ مُنهزماً ، وكادت الدائرة تدور على (التَّتار) لولا خروج كَمِين فيه عشرةِ آلاف فارس ، من نخبة رجال (التَّتار) فأسر ابن جلال الدين وهو ابن سبع سنين ، وقُتِل بين يدي (جنكيزخان). ووصل جلال الدين إلى حافة نهر (السِّنْد) وقد سُدَّت دونه المهارب ، وأحاطت به المعاطب ، فرأى والدته وأُمَّ ولدِه ، وجماعةً من أخواته يَصِحْنَ بأعلى أصواتهن : باللهِ عَلَيْكَ اقتُلْنَا وخلِّصْنا من الأسْر ، فأمَرَ بهن فغُرِقْنَ في النَّهر ، وهذه من عجائب البلايا ، ونوادر المصائب .

وهكذا تفعل النساءُ الشريفات العفيفات ، فما يشبه ذلك أو يقترب منه ما رواه أُسامَةُ بْنُ مُنْقِذٍ قال : جرى قتالٌ بيننا وبين قوم أغاروا علينا ، فجاءتْ والدتي إلى أُختٍ لي وقالت : البَسِي خُفَّكِ وإزاركِ فَلَبِسَتْ ، وأخذتها إلى رَوْشَنٍ في دارنا يُشْرِفُ على الوادي من الشرق ، أجْلَسَتْها ، عليه وجلستْ على باب الرَّوْشَنِ ، ونَصَرَنَا الله عليهم ، وجئتُ داريْ ، فقلت لأُمِّي : أُختي أيُّ شَيْءٍ تعْمَلُ هَا هُنا ؟! قالت : يا بُنَيَّ أَجْلَسْتُهَا على الرَّوْشَنِ وجَلَسْتُ برًّا مِنْها فإذا رَأيتُ الأعْدَاءَ قدْ وَصَلُوا إلَيْنَا دَفَعْتُهَا رَمَيْتُهَا إلى الوادِيْ فأَرَاهَا قَدْ ماتَتْ ولا أراها مع الأعْدَاءِ أسِيْرَةً . فشكَرْتُهَا على ذَلك وشكَرَتْهَا أُخْتِي وجَزَتْهَا خَيْراً .

فهذه النَّخْوَة أشَدُّ من نَخَوَاتِ الرِّجَال .

الكويت محمد علي العبد

جُهَيْنة : أصلها وتفرقها في البلاد

نسب جهينة[١]

لا خلاف بين نسّابة العرب — فيما أعلم — على انحدار القبيلة العربية الكبيرة «جهينة» من قضاعة ، فأُمهات الكتبَ التي يُعوِّلُ عليها ، والتي تيسر لنا الرجوع إليها — تُوشك أن تُجْمِعَ علي سَنَدٍ نَسَبِيٍّ واحدٍ ينتهي بِقُضَاعَة ، فقدْ ذكرتْ هذه المصادر أنَّ جهينة هو ابن زيد بن لَيْثٍ بن سود ابن أَسْلُم بن الحاف (في بعضها : الحافي) بن قضاعة[٢] .

وأدخل ابن عبد البر[٣] تعديلاً على سلسلة هذا النسب بزيادة ونقصان ، فقد أورد عن نسب جهينة : «وأما ولدها — يُشيرُ إلى قضاعة — فإن قضاعة ولد الحافَ بن قُضَاعَةَ ، وولد الحافُ رَجُلَيْن : عمران بن الحاف ، وعمرو بن الحاف . هذا ما لم يُختلف فيه ، ومنهما تشعبت بطون قضاعة ...... ومن ولد عمرو بن الحاف بن قضاعة (بَليٌّ) ...... وجُهينة بن زيد ابن سود بن أُسلم بن عمرو بن الحاف بن قضاعة»[٤] . فأنت ترى أن صاحب هذا النص حَذَفَ جَدَّ جهينة (ليث) ، ووسَّط بين أسلم — الذي هو ابنُ الحاف في الرواية الأولى — اسماً آخر هو عمرو الذي جعله ابناً لـ(الحاف) .

كما أن السمعانيَّ — وإن اتفق مع أصحاب الرواية الأولى على سلسلة نسب جُهَيْنَة — خالفهم حين جعل جُهَيْنَة هو زيد بن ليث ، وذلك حين يقول : (الجُهَنيُّ .... هذه النسبة إلى جُهَيْنَة ، وهي قبيلة من قضاعة ، «واسمه زيد بن ليث بن سوذ بن أَسْلُم بن الحاف بن قضاعة[٥] . غير أنَّ الاتفاق تامٌّ بين هؤلاء وأولئك على الارتقاء بالنسب الجهنيِّ إلى قضاعة .

أما قضاعة نفسه في نسبة اختلاف كبير بين نَسَّابة العرب ، فمنهم من وصله بعدنان — وله في ذلك حججه .

ومنهم من ارتقى به إلى قحطان ، وهو عندي الأرجح ،[٦] ومن شواهد رجحانه — على سبيل المثال — حديث عقبة بن عامر الجهني الذي رواه (جرير بن حازم عن أبي لهيعة ، عن معروف بن سويد عن أبي عشانه المعافري عن عقبة بن عامر الجهنيّ في حديث ذكره قال : قلتُ يا رسول الله : أما نَحْنُ من مَعَدّ ؟ قال : «لا» . قلت : مَن نحن ؟ قال : «أنتم قضاعة ابن مالك بن حمير»[٧] . يقول ابن عبد البَر — تعقيباً على ذلك — : «فعلى هذا قضاعة في اليمن في حمير في سبأ ، ولا يختلفون أن جهينة بن زيد ابن سود بن أسلُم بن عمرو بن الحاف بن قضاعة قبيل عُقبة بن عامر الجهنيّ . قال الشرقيُّ : فإن يكن رسولُ الله قال فقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم[٨] .

على أن دراسة نَسب قضاعة بالتفصيل ، وتتبع تقلباتها على مدار التاريخ الإسلاميّ منذ القدم وحتى الخلافة العباسية ، تبعاً لمصالحها الاقتصادية المتمثلة في العطاء ، الذي كان يُراعى في توزيعه قرب نسب القبيلة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحياناً تبعاً لأهواء وأغراضٍ سياسية تتمثل في مواقف الخلفاء الأمويين من القيسية والقحطانية[٩] ، وما إلى ذلك من الدواعي ، — هذه الدراسة تخرج عن طبيعة هذا البحث ، ولذا نكتفي فيها بهذه الإشارة السريعة .

ب — جهينة في شبه جزيرة العرب :

١ — في تهامة اليمن :

يستفاد مما ذكره ابن هشام والطبريُّ وياقوت أن أقدم موطنٍ لجهينة كان في تهامة اليمن ، فقد جاء في «السيرة» لابن هشام نقلاً عن ابن اسحاق — في معرض حديثه عن نسب قضاعة — قوله : (فولد معد بن عدنان أربعة نَفَر نزار بن معد ، وقضاعة بن معد ،... فأما قضاعة فتيامنتْ إلى حمير بن سبأ .... قال ابن هشام : فقالت اليمن : وقضاعة بن مالك بن حِمّير[١٠]) . وقد أراد ابن هشام — فيما هو ظاهر — أن يدعم رأيه القائل بأنّ قضاعة من عدنان ، وأن نسبتها إلى حِمّيَر إنما هو وَهْمٌ نشأ بسبب سكناها في ديار حِمّير اليمانية .

وإذا كان ابن هشام لم يذكر ، في هذا النص ، تهامة اليمن أو جهينة بلفظ صريح

فإن الإمام الطبريَّ قد أوضح ذلك على نحوٍ مُبين ، وذلك حين قال : (ومن بقي بتهامة من بني إسماعيل يُؤرخون من خروج سعدٍ ونَهْدٍ وجُهينة بني زيد من تهامة ، حتى مات كعب بن لُؤَيّ ، فأرخوا من موت كعب بن لُؤَيٍّ إلى الفيْل ، فكان التاريخ من الفيل حتى أرخ عمر بن الخطاب من الهجرة[11] . فقد أفادنا هذا النص — زيادة على التصريح بِسُكْنا جهينة في تهامة — قِدَمَ جُهَيْنَة في هذه الديار ، قدماً يعود بها إلى زمانٍ سابقٍ لميلاد المسيح عليه السلام .

أما ياقوت فقد جاء في حديثه عن كلمة (شَبّ) قوله : (ذو الشب شقٌّ في أعلى جبل جُهينة باليمن ، يُستخرج من أرضه الشبُّ المشهور)[12] . وبيَّن في موضع آخر مراده من (اليمن) الوارد في هذا النص — فيما أظن — فقال[13] : (وقال أبو المنذر في «كتاب الأفراق» : وظعنت قضاعة كلها من غور تهامة بعدما كان من حرب بني نزار لهم ، وإجلائهم إيَّاهم ، وساروا منجدين»[14] .

وتهامة — فيما هو معلوم — تشمل أراضي السهل الساحليّ الضَّيِّق الممتد من شبه جزيرة سيناء شمالاً إلى أطراف اليمن جنوباً ، وفيها مُدُن نَجْران ومكة المكرمة وجدة وصنعاء[15] وغيرها ، وهي — لهذا — تنقسم إلى تهامة اليمن وتهامة الحجاز ، وقد رَجَّحنا في الصحائف الماضية أن تهامة الواردة في النصوص هي تهامة اليمن لاقترانها كثيراً بكلمة اليمن وحِمْيَر ، ولقرائن أُخرى غيرها .

على أن ابن خلدون يرى أن أقدم موطن لقضاعة — وفيهم جهينة على ما مرّ — إنما كان نَجْران ، إلى أن غلبهم عليها بنو الحارث بن كعب من الأزد ، فساروا إلى الحجاز ، ودخلوا في قبائل معدّ ، ومن ثم نُسبوا إليه غلطاً[16] .

من هذه النصوص نستنتج أن نشأة جهينة الأُولى كانت — على الأشهر ، وفي أغلب الظن — في تهامة بمعناها الواسع الذي يشمل أوطان نزار بن مَعَدٍّ ، حتى قرب مكة المكرمة في الشمال ولا يتجاوزه ، كما يشمل أرض سبأ في اليمن .

وهكذا بَقِيَتْ جهينةُ — فيما يبدو — تَحْتَلُّ رقعةً واسعة في شبه جزيرة العرب ، تمتد من مواطن سبأ في مأرب ، حتى مواطن نزارٍ بن معد قرب مكة ، ومما يُؤَيِّد هذا القول

ما رواه ياقوت[١٧] من انتشار ديار جهينة قديماً في أرض أُدَيْم التي تلي جبل السراة متوسطة تهامة واليمن .

٢ — في نجـد :

وظلت قبائل جهينة تُقيم في هذه الديار إلى أن وقعت حربٌ بينها وبين نزار — لا نعرف من أخبارها كثيراً ، اضطرت جهينة على إثرها للانتقال شرقاً حيث أَصْحَرَتْ في بوادي نجد ووديانها ، ومن ثم قالت العرب عنهم : «هؤلاء صُحَار» كما يقول ابن دريد[١٨] . على أننا لا نعرف العلاقة بين هذه التسمية وبين بلدة «صُحَار» الكائنة في عُمان[١٩] ، والتي كانت مشهورة بالنسيج وبالأسواق العامرة .

أقامت جهيْنة ونهد وسعد بصُحار نجد زماناً لا نعرف مداه على وجه اليقين ، لكنه لا يبدو قصيراً ، يُسْتأْنس لذلك بقول البكري : (فكثروا وتلاحق أولاد أولادهم)[٢٠] . ولم نعرف من أخبارهم في نجد — بعد أن سكنوها — شيئاً غير سبب رحيلهم عنها قاصدين بلاد الحجاز ، على إثر القتال الذي نشب هناك حين (وثب حزيمة بن نهد — وكان مشؤوماً فاتكاً جريئاً — على الحارث وعرابة ابني سعد بن زيد فقتلها)[٢١] ، فكانت هذه الحادثة أحد الدواعي والأسباب الرئيسة لأن تُولِّي جهينة وَجْهَهَا شَطرَ بلاد الحجاز ، وتستقر فيها لفترة من الزمن غير قصيرة .

٣ — في بلاد الحجاز :

يُقصد بالحجاز — كما يعلم القارىء — جبل السراة ، (أو الشراة) الذي يُمثل حدّاً فاصلاً بين تهامة ونجد ؛ ذلك لأنه (أقبل من قُعْرةِ اليمن — وهو أعظم جبال العرب — حتى بلغ أطراف بوادي الشام ، فسمته العرب حجازاً ، وقطعته الأدوية)[٢٢] ، فعاد جبالاً سكنت جهينة كثيراً منها على ما يأتي تفصيله .

وقد قصّ البكري أنباء مسير جهينة من نجد إلى الحجاز — فيما نقله عن ابن الكلبيَ — فقال : (وكان أول أمر جهينة بن زيد بن ليث بن أسلُم بن الحاف ابن قضاعة في مسيرهم إلى جبالهم وحلولهم بها ، فيما حدثني أبو عبد الرحمن المدنيُّ عن غير واحد من

العرب : أن الناس بينما هم حول الكعبة إذ هُم بخلق عظيم يطوف ، قد آزى رأسه أعلى الكعبة ، فأجفل الناس هاربين ، فناداهم : ألا لا تُراعوا ، فأقبلوا إليه)[٢٣] .... ، وعندئذ أنشدهم شعراً ، ثم ما لبث الناس أن تبينوا أن هذا الخلق العظيم إنما هو امرأة ، فسألوها عن شأنها ، فقالت : (مَنْ يَنْحَرُ لي كلَّ يوم جزوراً ، ويُعِدُّ لي زاداً وبعيراً ، ويبلغني بلاداً قوراً[٢٤] ، أُعطِه مالاً كثيراً . «فانتدب[٢٥] لذلك رجلان من جهينة ، فَسَارَا بها أياماً حتى انتهت إلى جبل جهينة) .

ويمضي البكريُّ في روايته عن ابن الكلبي فيقول : (وناديا [أي الرجلان] هل من ماء؟ قالت : نعم ، آنظرَا في موضع هذا الهضاب .... ووجد الجهنيَّان عند الهضبة الماء ، وهو الماء الذي يُقال له (مشجر)[٢٦] وهو ناحية (قَرْش مَلَل) ، من مكة على سَبْعٍ أو نحوها ، ومن المدينة على ليلة إلى جانب (مثعر) ماءٍ لجهينة معروف ، فيقال إنَّها بقيا بتلك البلاد ، وصارت بها جماعة جهينة . وكانت بقايا من جذام سكان أرضٍ بتلك البلاد يُقال لها (يَنْدَد) فأجلتهم عنها جهينة ..، فنزلت جهينة تلك البلاد ، وتلاحقت قبائلهم وفصائلهم ، فصارت نحواً من عشرين بطناً ، وتفرقت قبائل جهينة في تلك الجبال ... وانتشروا في أوديتها وشعابها وعِرَاصِها ،... وأسهلوا إلى بطن إضم ، وأعراضه ، وهو وادٍ عظيم تدفع فيه أودية ، ويُفرغ في البحر... ثم استطالوا على الساحل ، وامتدوا في التهائم وغيرها حتى لقوا بَلِيّاً وجذام بناصية (حقل) من ساحل تيماء ، وجاورهم في منازلهم على الساحل قبائل من كنانة ... فلم تزل جهينة في تلك البلاد وجبالها ، والمواضع التي حصلت لها بعد الذي صار لأشجع ومزينة من المنازل والمحال التي هم بها إلى أن قام الإسلام وهاجر النَبِيُّ صلى الله عليه وسلم[٢٧] .

هذا عن مسير جهينة من نَجْد إلى بلاد الحجاز ، أما المواطن التي استقرت فيها في بلاد الحجاز ، ومارستْ منها دورها في مختلف شؤون الحياة العربية فقد أجملها «عَرَّامُ» ، مُشيراً إلى نطاقها العام دون تفصيل . قال عرام فيما يرويه السيرافي ، بإسناده : (أولها رضوى من ينبع على يوم ، ومن المدينة على سبع مراحل ميامِنَةً طريق المدينة ، ومياسرةً طريق البُرَيْرَاء لمن كان مُصْعِداً إلى مكة ، وعلى ليلتين من البحر ، وبحذائها عَزور ، وبينه وبين رَضْوى طريق الْمُعْرِقة[٢٨] تختصره العرب إلى الشام ، وإلى

مكة[٢٩] . وإلى المدينة بين الجبلين قدر شَوْطِ فَرَسٍ ، وهما جبلان شاهقان منيعان لا يرومها أحد ... ويسكن ذَرَاهما وأحوازهما[٣٠] نَهْدُ وجُهَيْنَةَ في الوبر خاصَّةً دون الْمَدَر ، ولهم هناك يَسَار ظاهر ... ومن عن يمين رَضْوَى لمن كان منحدراً من المدينة إلى البحر على ليلة من رَضْوَى (ينبع)[٣١] ، وبها منبر ، وهي قرية كبيرة غَنَّاء ، سكانها الأنصار وجُهَيْنَة وليث[٣٢] أيضاً ، وفيها عيون عِذَابٌ غزيرة ، وواديها يَلْيَلُ يصبُّ في غَيْقَة)[٣٣] .

وأكبر الظن أن جهيْنة احتفظت بهذا النطاق المكانيِّ أو نحوه إلى زمن العلامة عبد الرحمن بن خلدون المتوفي في العقد الأول من القرن التاسع الهجري ، يدل على ذلك قوله : (... ومِنْ أسلمُ سعد وهُذَيم وجُهينة ونهد بنو زيد بن ليث بن سود بن أسلم ، فجهينة ما بين الينبع ويثرب إلى الآن في متسع من بريَّةِ الحجاز ... وكلاهما على العدوة الشرقية من بحر القلزم»[٣٥] .

هذا عَرْضٌ عام لقصة ارتحال جهينة من نجد إلى الحجاز ، وبيان إجماليٌّ للمدَى المكانيّ الذي اتخذته مستقراً لها ومُقاماً حتى مجيء الإسلام ، ومنه يتبين أن منازل جهينة في الحجاز ـــ في عمومها ـــ كانت تشغل الجزء السهليّ من الأرض ، الممتد من الجنوب إلى الشمال بين المدينة والشام ، ومن الغرب إلى الشرق بين ينبع ويثرب مدينة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم[٣٦] .

ولعلَّ مما يُفيد الباحثين في شؤون قبائل العرب أن نضع بين أيديهم ـــ من خلال هذا البحث الموجز ـــ ما وقفنا عليه من معلوماتٍ نحسبها ذات بال ، تتعلق بأسماء كثير من القرى والمياه والوديان والجبال التي كانت منازل لجهينة ، استقيناها من أوثق المراجع المَعْنِيَّةِ بهذا الموضوع ؛ فهذه ثلاث قوائم ؛ إحداها للهمدانيِّ ، وثانيها للبكريِّ ، والثالثة لياقوت الحموي ، رتبناها ـــ كما ترى ـــ حسب قِدَم المراجع :

قائمة الهمداني (ت نحو ٣٥٠) [٣٧]		قائمة البكري (ت٤٨٧هـ) [٣٨]	قائمة ياقوت (ت٦٢٦هـ) [٣٩]
الأشعر	الأثاية	الأشعر	أجرب
الأجرد	الرُّوَيْثة	الأجرد	أجرد
يَنْدَد	المَجْتَبيّان	مثعر	الأشقر
مثعر	الرَّوْحَاء	يَنْدَد	شَعْر
وادي غَوَى (رَشَد)	حقل	قُدْس	وادي القرى
قُدْس	ذو المروة	آرة	الحِجْر
آرة	العِيْص	رضوى	الصَّفْراء
رَضْوَى	فيف الفحلتين	صِنْدَد	ذو المروة
صِنْدِيد	فيف الريح	إضم	ذَهْبَان
إضم	خيبر	ذو خشب	أُشْمَذَان
الصَّفْرَاء	فدك	الحاضرة	يَيْن — أين
ساية	حرة النار	لقف	إضم
ذو خشب	يَيْن	العِيص	تَيْدَد
الحاضر	الرَّبَذة	بُوَاط	ظبية
ثقباء	النقرة	المُصَلَّى	الجَعْلان
نعف	إرَن	بَدْر	جَبَل القَبَلِيَّة
بُوَاط	صُفَيْنَة	جفاف	قِرْس
المُصَلَّى	وادي القرى	وَدَّان	حرّة النار
بَدْر		يَنْبع	رَضْوَى
جفجاف		الحَوْراء	مثعر
رُهاط		العَرْج	الخَبَط
وَدَّان		الخَبْتين	بُوَاط
يَنْبع		الرُّوَيْثة	حَرْحار

الحَوْرَاء	الرَّوْحَاء	يَنْبُع
العَرْج	حقل	صُحَار
	ذو المروة	الأسْوَد

بمقارنة هذه القوائم الثلاث يظهر ما يلي :

أولاً : أن جهينة ظلت تحتفظ بأماكنها القديمة تقريباً في بلاد الحجاز لأكثر من ثلاثة قرون على الأقل ، يدل على ذلك ورود هذه الأماكن في قائمة البكري الذي عاش حتى أواخر القرن الخامس الهجري ، وياقوت الذي عاش في القرن السابع الهجري . وهي نفسها تقريباً الأماكن التي ذكرها الهمدانيُّ الذي عاش في النصف الأول من القرن الرابع الهجري(٤٠) .

ثانياً : أن جهينة تَوَسَّعَتْ في بلاد الحجاز ، فامتلكت بلاداً أُخرى لم تكن لها في القرون الأُولى ، بدليل عدم ذكر الهمداني لها ، في حين ورد بعضها في قائمة البكري ، وبعضها في قائمة ياقوت الحموي ، مثل : لقف ــ بدر ــ الخبتين ــ أجرب ــ شَعْر ــ الحِجْر ــ الصفراء ــ ذهبان ــ أشمذان ــ ظبية ــ الجَعْلان ــ جبل القبلية ــ قِرس ــ الخَبَط . وهذا أمر طبعيٌّ ، فالتوالد الذي يتبعه التكاثر بداهة ، وطبيعة البَدْوِ في التنقل إلى حيث يُوْجَدُ الماءُ والكَلأُ يستلزمَانِ هذه الظاهِرة .

ثالثاً : اختفت من القوائم بعض الأماكن التي كانت لجهينة في العصور الأولى ، ولا نعلم إن كان ذلك راجعاً إلى تبدل أسمائها ، أم إلى رحيل جهينة عنها .

رابعاً : تحرفت بعض أسماء الأماكن التي كانت لجهينة ؛ فوردتْ في القوائم المتأخرة على صورة تُخالف ما كانت عليه في قائمة الهمداني . وهذه الظاهرة مفهومة مُعَلَّلة ، فالتقادم يُعَدُّ من أقوى أسباب التحريف في كل زمان ومكان ، ليس تحريف الأماكن حسب ، بل تحريف الأخبار والوثائق والنصوص وغير ذلك من آثار الإنسان المتقدم ، أيضاً(٤١) .

من أمثال هذا التحريف الذي نحن بصدده ــ كما يُلاحظ في القوائم ــ : الأشقر

بدل الأشعر ، مثعر بدل مثغر ، تَيْدد بدل يَنْدَد ، صِنْدد بدل صِنْديد ، جفاف بدل جفجاف ، وهكذا :

بعض آثار جهينة في بلاد الحجاز :

ولما جاء الإسلام وقامت دولته في المدينة (يثرب) بدأ اسم جهينة يظهر مقترناً بكثير من الأحداث السياسة التي شهدتها بلاد الحجاز ، ورأيناها تُشارك — أفراداً وجماعات — في صُنْع الأحداث التي كان لها آثارها في انتشار الإسلام وسيادة مبادئه ؛ ففي السنة الأُولى للهجرة حدثنا الطَّبري عن صلاتٍ للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بجهينة ، وذلك عندَ عودته من غزوة الأَبْواء ، وقبل وصوله إلى المدينة ؛ فقد بعث ، عليه الصلاة والسلام ، عمه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه في ثلاثين راكباً من المهاجرين إلى سيف البحر من ناحية العِيص ، أرض جهينة ، غير أن الطبريَّ لم يشأ أن يذكر لنا شيئاً عن طبيعة هذا الاتصال(٤٢) .

وفي السنة الثانية للهجرة توجه صلى الله عليه وسلم إلى بُواط أحد جبال جهينة بناحية رَضْوَى ، يُريد قريشاً ، (ورجع ولم يلق كيداً)(٤٣) الأمر الذي يُستنتج منه أن الصِّلات بينه صلى الله عليه وسلم وبين الجُهَنِيِّين — إن لم تكن صلاتُ وُدٍّ ووئامٍ — صلاتُ أَمْنٍ وسلام .

وفي غزوة بدر الكبرى ، التي تمثل انطلاقة الإسلام نحو السيادة والتمكين ، شارك أفراد من جهينة في خوض غمارها ، من هؤلاء الأفراد : عَدِيُّ بنُ أَبي الزَّغْباء الجُهَنيُّ(٤٤) .

ويتحدث البكريُّ عن بعض الصحابة من جهينة الذين كانوا يسكنون قُرَى تجاور المدينة غير بَعيد فيقول : (وذو المروة من أعمال المدينة ، قُرى واسعة وهي لجهينة ؛ كان بها سَبْرَةُ بن مَعْبَدٍ الْجُهَنِيُّ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وولده إلى اليوم فيها ، بينها وبين المدينة ثمانية بُرُد)(٤٥) . وقد مَرَّ ذكر (ذي المروة) هذا في قائمة البكريّ وغيرها(٤٦) .

على أن أثر جهينة الفعَّال في تثبيت دعائم الإسلام ودولته في المدينة المنورة يتجلّى أكثر ما يتجلّى في فتح مكة المكرمة عندما اشتركتْ ، بفعالية ، في زحف الجيش الإسلامي الذي فتحها في السنة الثامنة للهجرة المباركة ، وقد شهد أبو سفيان بن حرب — الذي حبسه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه بأمر النبيِّ صلى الله عليه وسلم عند خَطم جبَل ، لِيَرى جُنْدَ الله الزاحف — شهد أبو سفيان هذا جُمُوعَهَا تزحف على مكة مع جند المسلمين في جيشها الذي بلغ عددُ أفراده ألفاً وأربع مئة مقاتل ، في حين كان جيش بَني غِفَار أربع مئة لا يزيدون . وكان يَقُودُ جهينة آنئذ — فيما يقود — سيف الله المسلول خالد بن الوليد ، وقد دخل بها من (اللِّيط) أسفل مكة(٤٧) .

ولا شكَّ أن هذه الكثرة النسبية التي ظهرت بها جهينة في جيش الفتح تدل على ضخامة هذه القبيلة وكثرة بطونها وأفخاذها .

امتد تأثير جهينة السِّياسيُّ على مدار التاريخ الإسلامي ، وفي كل بلد هاجرت إليه ؛ فشاركتْ في نشر مبادىء الإسلام في مكة والمدينة كما رأينا ، وشاركتْ في زحف الجيوش الإسلامية على الشام والعراق ومصر والسودان — كما سنرى — ؛ وناصرت الثوراتِ ، وانغمست في الفتن والصراعات التي اندلعت على عهد الأمويِّين والعبَاسيين . وأبرزُ مثل يُساق للتدليل على وزن جُهينة في أحداث التاريخ على عهد العباسيين : دَوْرُها الواضح في ثورات العلويين في الحجاز ، لا سيما ثورة محمد بن عبدالله بن الحسن ، المشهور بالنفس الزكية ، ضد الخليفة العباسيّ أبي جعفر المنصور الذي حكم ابتداءً من سنة ١٣٦ هـ . حدّث الطَبَريُّ بسنَده بما فحواه : بعث أبو جعفر المنصور سنة ١٤٤ هـ . رجلاً إلى المدينة المنورة ، فدخل على عبدالله بن الحسن ، وسأله عن ابنه محمد ، فأجابه : إنه في جبل جُهَينة(٤٨) . فهذا — مع سير الأحداث اللاحقة — يدل على أن جهينة قد انضمت إلى هذا التأثر العلويّ منذ وقت مبكّر ، ولهذا نراه يطمئنُّ إليها ، فيقيم بين ظهرانيها ، ملتمساً الحماية عندها وفي جبالها . وأكبر الظن أن هذا الصنيع أثار غضب المنصور ، وأحفظه على جُهينة ، يدلّ على ذلك أن المنصور ما كاد يُنهي حجّه هذا العام حتى بادر فأمر واليه على المدينة رياح بن عثمان بن حيَّان المُرِيّ بالقبض على عبدالله بن الحسن ، وابنيْه : محمد وابراهيم ، وإخوته وجميع أشياعه ومنهم

جهينة ، ويُوثق الجميع كتافاً ، ثم يبعث بهم إليه في الرَّبَذَةِ ، يقول الطبري : (قال محمد بن عمر : أنا رأيت عبدالله بن الحسن وأهل بيته يخرجون من دار مروان بعد العصر وهم في الحديد ... قال محمد بن عمر ، قال عبد الرحمن بن أبي الموالي : وأخذ معهم نحواً من أربع مئة من جُهينة ومُزَينة وغيرهم من القبائل ، فأراهم بالربذة مُكَتَّفِينَ في الشمس)(٤٩) .

على أن الثورة العلوية لم تَنْتَهِ عند هذا الحَدّ ـــ كما هو مبسوط في مَظَانِّهِ ـــ وإنما أخذتْ تتعاظم أحداثها حتى انتهت إلى صِدَام مسلَّح بين العباسيين وبني عمومتهم العلويين ، كما أن تأييد جُهينة لم ينته عند المشايعة والمناصرة باللسان ، فما كادت تندلع الحرب بين الفريقين حتى رأَيْنَا جُهَيْنَةَ في طليعتها . يقول الإمام الطبريُّ (وحدثني محمد بن اسماعيل بن جعفر عن الثقة عنده ، قال : أجاب محمداً لما ظهر أهلُ المدينة وأعراضها وقبائل من العرب منهم جهينة ومزينة ... فكان يُقدم جُهَيْنَة ، فغضبت من ذلك قبائل قَيْس)(٥٠) .

جـ : جهينة في الشام والعراق ومصر

أولاً : في الشام :

ومع الفتوحات الإسلامية ـــ كما سبق أن أشرنا ـــ اندفعت جهينة إلى بلاد الشام ، وما كادت تستقر هناك حتى أخذت تنفعل بالأحداث الجارية فيه ، وتتفاعل معها ، على نحو ما كان عليه حالها في بلاد الحجاز الذي عرضناه قبل قليل . بَيْدَ أنَّ الأمر في الشام اختلف من بعض الوجوه عما كان عليه في الحجاز ، ففي الشام صراعٌ بين الأمويين أنفسهم كما سنبيِّن بَعْدُ ، على حين كان صراع الحجاز بين عَبَّاسِيِّينَ وعَلَوِيِّين .

استقرت جهينة في مواطن متعددة من الشام ، أشار الهمدانيُّ إلى بعضها بقوله : (وللخم أيضاً : الجولان وما يليها من البلاد : نَوَى والبَثْنِيَّةَ وشقص من أرض حوران ، **ويخالطهم في هذه المواضع جُهَيْنَة وذبيان**)(٥١)

كما أشار ابن حزم إلى بعضٍ آخر من مواطنها حين ترجم لاثنين من الجهنيين ، هما :

عمرو بن مرة بن عبس بن مالك بن الحارث بن رفاعة بن نصر بن مالك بن غطَفَان ، وقال عنه : إن له صحبةٍ ، ومولود بدمشق . والثاني هو عوسجة بن حرْملة بن خُزَيمة ابن سبِرَة بن خديج بن مالك بن عمرو بن ذهل بن عمرو بن ثعلبة بن رفاعة بن نصر بن مالك ابن غَطَفَان ، عقد له رسول الله صلى الله عليه وسلم على ألف رجل من جهينة ، وأقطعه ذا أمر) وهو موضع بالشام[٥٢] .

وفي كتاب ابن عبد البر إشارة أُخرى إلى جهينة الشام ، فقد أورد في ترجمة أبي الغادية الجهنيّ أنه : (سكن الشام ، ونزل في واسط ... يُعد في الشاميين[٥٣] .

ومثل هذه الإشارات إلى مواطن جهينة الشام وبطونها ترد كثيراً في مُتُون مراجع هذا العصر ومصادره .

أما مشاركتها في أحداث الشام السياسية ، التي أوْمَأنا إليها قَبْلاً فكثيرة ؛ يتمثل بعضها في الصراع العنيف الذي ثار في البيت الأمويّ سنة ستٍّ وعشرين ومئة من الهجرة بين يزيد بن الوليد (الناقص) ، وبين الوليد بن يزيد الخليفة القائم آنذاك ؛ فقد كانت جُهَينة أثناء هذه الفتنة التي انتهت بمقتل الخليفة الوليد ـــ تقف مع الثائر يزيد بن الوليد . روى الطبريُّ بسنده قال : (وأقبل رِبْعِيُّ بن هاشم الحارثيُّ في الجماعة من بني عُذْرَة وسلامان ، فدخلوا من باب تُومَا ، ودَخلت جُهينة ومَن وَالاَهُمْ مع طلحة بن سعيد . وجميع هؤلاء بايعوا ـــ آنئذٍ ـــ يزيد بالخلافة ، وأتوه استعداداً لقتال ابن عمه الوليد بن يزيد الخليفة المخلوع[٥٤] .

ثانياً : في العراق :

كذلك هاجرت بعض بطون جهينة وأفخاذها من مواطنها بالحجاز إلى بلاد الرافدين : العراق . وإذا كُنَّا لا نعرف وَقتاً مُتيَقَّناً لقدومها فقد يجوز أن نفترض أنها قدمتْ فاتحةً مع جيوش المسلمين بقيادة سعد بن أبي وقَّاص ، وأسهمت في فتح المدائن ، ومن ثمَّ انتشرت في أقطار العراق جنوباً وشمالاً ، استأنس لتأييد هذا الفرض بقولِ الطبريّ : (ثم دخلت سنة سبع عشرة ، ففيها اختطت الكوفة ، وتحول سعدٌ بالناس من المدائن إليها في قول سيف بن عُمَر ، وروايته ... وأنزل في غربيِّ الصحن

بَجَالة وبَجْلَة على طريق ، وجَديلَة وأخلاط على طريق ، وجهينة وأخلاط على طريق ، ... فهذه مناهجها العظمى)(٥٥) . فكان هذا ــ على ما يبدو ــ إيذاناً بانتشار جُهينة في أنحاء من العراق ؛ ذلك لأن أخبارهم بدأت منذئذٍ ترد في المصادر ، وبِتْنا نعرف لهم أوطانا في الشمال [الموصل] ، وفي الجنوب [البصرة] ، بالإضافة إلى تأثيرهم القويّ على مَجْرَيَات الأُمور في الكوفة ، أما قبل ذلك فلم يكن ما يُعرف عن جهينة في العراق يتجَاوز أفراداً قلائل جاء ذكرهم : عَرَضاً عند الحديث على موقعة الجمل ، التي كانت بين علي بن أبي طالب من جهة ، وبين أُم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير من جهة ثانية سنة ست وثلاثين. ومن هؤلاء الأفراد : ظفر الذي بعثته أم الفضل بنت الحارث ــ مستأجراً ــ ليبلغ عليّـاً كتاباً منها فحواه : خروج عائشة وطلحة والزبير من المدينة لحربه(٥٦) . وغلامٌ آخر من جهينة ــ لم يذكر الطبريٌّ اسمه ــ كان يحارب في صفوف أصحاب الجمل(٥٧) ، ثم عَنَّ له أن يسأل محمد بن طلحة ــ وكان رجلاً عابداً كما يقول الطبريٌّ ــ عن دم عثمان فيكن هو؟! فلما أجابه محمد بأنه شركة بين عائشة وطلحة وعليٌّ قال : (ألا أُراني على ضلال) ثم لحق بِعَليٍّ وهو ينشد شعراً رقيقاً يُبَرِّرُه فيه من دم عثمان رضي الله عنه ، ويُنْحي باللائمة على الآخرين(٥٨) .

أما جُهَيْنَة باعتبارها جماعة ذات خطر ــ فما أعلم لها خبراً في العراق قبل انتقالها مع سعد بن أبي وقاص إلى الكوفة سنة سبع عشرة من الهجرة ، كما سبقت الإشارة إليه .

يأتي الحديث الآن عن ديارها في شكل جماعات في كلٍّ من الكوفة والبصرة ، وعن ذلك يذكر السمعانيٌّ ، عند حديثه وتعليقه على كلمة الْجُهَنِيٍّ ما نصه : (هذه النسبة إلى جُهَيْنَة ، وهي قبيلة من قضاعة ... نزلت الكوفة ، وبها محلة نُسِبَت إليهم ، وبعضهم نزل البصرة)(٥٩) .

كذلك يذكر الْهَمَذَانيٌّ من ديار جهينة في الموصل : (مرج جُهَيْنَة)(٦٠) . ويشير ياقوت إلى قرية كبيرة في نواحي الموصل أُطلق عليها اسم جُهَيْنَة فيقول : (جهينة بلفظ التصغير، وهو عَلَم مرتجل في اسم أبي قبيلة من قضاعة ، وسُمِّيَ به قرية كبيرة من نواحي الموصل على دجلة ، وهي أول منزل لمن يُريد بغداد ، وعندها مرج يُقال له : مرج جُهَينة

جُهَينة له ذكر. يُنسب إلى القرية أبو عبدالله الحسين بن نصر... المتوفي بالموصل سنة ٥٥٢ هـ[٦١].

على أن مركز ثقل جهينة في العراق — فيما يظهر — كان بالكوفة، يُدَلُّ على ذلك بالكثرة النسبية لارتباط اسم جُهَيْنَة بهذه المدينة، وبوجودها عنصراً رئيساً في شرطة الأمويين بالكوفة إبَّان ثورة زيد بن عليٍّ على ما يأتي. ولعلَّ جهينة في الكوفة يَنْهض برهاناً عليها وجود مسجد لها، أصبح مَعْلماً من معالم هذه المدينة؛ فها هو المختار بن أبي عُبَيْدٍ يمرُّ به عند استعداده للخروج على سلطان ابن الزُّبير، وها هو مصعب بن الزبير — عند خروجه من البصرة متوجهاً إلى الكوفة لملاقاة المختار الذي طرد عامله عليها — يأمر أصحابه بالاقتراب من قصر الكوفة، ثم يُوْعِزُ إلى قائده عبَّاد ابن الحصين الحَبَطيِّ بالنزول عند مسجد جُهينة، ليساعد ذلك أصحابه في السيطرة على أتباع المختار المشرفين عليهم من القصر المحصورين فيه[٦٢].

ويُخَيَّلُ للمتأمل في تاريخ جُهينة أنها تتخذ، في تصرفاتها السياسية، منهاجاً يقوم على مُمَالَأَةِ السلطان القائم في البلاد إن كان السلطان للأمويين، وتعضيد الثائرين على السلطان إن كان الأمر غير ذلك، وإلَّا فكيف نفسر وقوفها — عند نشوب ثورة زيد بن عليٍّ ضدَّ الأَموِيِّين — مع الخليفة هشام بن عبد الملك ضِدَّ زيد هذا؟ وذلك عند قدُومه إلى الكوفة بين سنتي ١٢١، ١٢٢ هـ على خلافٍ في ذلك، فقد أمر الحكمُ بنُ الصلت أميرُ الكوفة من قِبَل الأمويين صاحبَ شرطته عَمْرو بْنَ عَبْد الرحمن بالتأهب للتصدِّي لثورة الشيعة بقيادة زيد بن عليٍّ، فتهيأ صاحب شرطة الأمويين للأمر، ووقف في خيله من جُهَيْنَة لصدِّ الثائرين[٦٣]. وهكذا وقفت جهينة تُمَالِئُ السلطانَ القائمَ لأنه سلطان الأمويين.

أما في الحجاز — فيما بعدُ — فقد اتخذتْ جهينة موقفاً مغايراً لما كانت عليه في العراق؛ وذلك بانتصارها للعلويين على العباسيين كما رأينا[٦٤]. وقد يكون هذا التباين في المواقف باعثاً على التساؤل عن تفسيره وتعليله، وفي محاولة ذلك ينبغي أن نفترض أنَّ الموقف الأخير لجهينة في الحجاز انبنى على كراهية للعباسيين الذين انتزعوا الحكم من الأمويين، وابتلوهم بألوان من التنكيل، وأصنافٍ من العذاب، كما فعلوا الشيء نفسه

مع أبناء عمومتهم العلويين. وتبعاً لهذا الفرض لا بُدَّ من فَرْضٍ آخر مؤدَّاهُ : أن جُهينة كانت (أموِيَّة الهوَى) ، أو على الأقل : (عثمانية المنزع) . ولا نَعْدِم إشاراتٍ في المراجع تُرجح هذا الافتِرَاض الأخير. فبالإضافة إلى ما يُمكن استنتاجه من مناصرة جهينة لثورة النفس الزكية ــ كما أوضحنا ــ ، نجد في تراجم بعض الجهينيين في الشام ما يُشير إلى وقوفهم في موقعة صِفّين إلى جانب الأمويين ، وقتلهم بعض أصحاب عليٍّ من جلَّة الصحابة ، والتفاخر بذلك ؛ فقد ذكر ابن عبد البر أن البا الغادية الجهني قتل عمار بن ياسر الصحابيَّ الجليل ، وأحد قادة جيش عليٍّ في موقعة صِفّين(٦٥) . فَتَشَيُّعُ جُهَيْنَةَ للعلويين إذَن ، ومناصرتهم للنفس الزكية ربما كان منبعثاً عن دافعين مُخْتَلِفَيْن ؛ أحدهما إيجابي ، وهو حبُّ الأمويّين ، وثانيهما سَلبِيٌّ ، وهو كراهة العباسيين.

ثالثاً : في مصر :

ولعلّ من المناسب أن نقول ــ في مستهل حديثنا عن جهينة في مصر ــ : إن عمدتنا في أخبارها في هذه الديار هو كتاب الحمداني المفقود(٦٧) ، وقد نقل هذه الأخبار عنه القلقشنديُّ في « قلائد الجُمَان » و« النهاية » ، ثم المقريزيُّ في « البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب » . وهكذا أمكننا أن نقف على شيء غير يسير من أخبارها .

لا نعرف ــ ولا من الميسور أن نعرف ــ على وجه اليقين في أي زمان بدأتْ هجرة جُهَيْنة إلى مصر ؛ ذلك لأنَّ تسلُّلَ القبائل العربية أفراداً وجماعات إلى مهاجر جديدة من الأمور التي يصعب رَصْدُهَا بِدِقَّة إلى حدٍّ كبير ، ما لم ترتبط هذه الهجرات بأحداث كبيرة تفرض وجودها على عقول المؤرخين وأقلامهم ، مثال ذلك : الفتح الإسلاميُّ لمصر وما اقترن به من اشتراك بعض القبائل فيه .

غير أن العلامة ابن خلدون أشار إشارة غير موقوتة بزمن ، إلى هذا التَّسَلُّل السِّلْمِيِّ لجهينة إلى مصر ، فقال ــ بعد أن قرر أن مواطن جهينة في الحجاز ما بين « الينبع » و« يثرب » إلى الآن (توفي ابن خلدون سنة ٨٠٨ هـ) ، وأنها على العدوة الشرقية من بحر القلزم ــ : (وأجاز منهم أُمَم إلى العدوة الغربية ، وانتشروا ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة ، وكاثروا هنالك سائر الأمم)(٦٧) .

على أن الهجرات الجُهَنِيَّة المؤثرة إلى مصر لم تبدأ ــ فيما نرجح ــ إلَّا بعد ظهور

الإسلام ، كما هو الشأن في الشام والعراق ، وهناك من الدلائل ما يشير إلى أن أعداداً منها اشتركت في فتح مصر على يد عَمْرو بن العاص. يقول ياقوت الحموي عند حديثه على محلة الراية في مصر : (الرَاية هي محلة عظيمة بفسطاط مصر ، وهي المحلة التي في وسطها جامع عمرو بن العاص ، إنما سميت (الراية) لأن عَمْرو بن العاص لما نزل محاصراً للحصن ... وكان في صحبته قبائل كثيرة من العرب ، واختطّتْ كُلُّ قبيلة «خُطَّةً بأرض مصر هي معروفة بهم إلى الآن ، وكان في صحبته قوم من قريش ... وأشجع وجُهينة ... فلم يكن لكل بطن من هؤلاء من العدد ما ينفرد بدعوة في الديوان ، وكره كل بطن أن يُدعى باسم قبيل غيره ، وتشاحُّوا في ذلك ، فقال عمرو ابن العاص : فأنا أجعل رايةً ولا أنسبها إلى واحد منكم ، ويكون موقفكم تحتها ، وتسمون منزلكم بها . فأجابوه إلى ذلك ، فكانت الراية لهم كالنسب الجامع ، وكان ديوانهم عليها ، واختطوا كلهم في موضع واحد ، فسميت هذه الخطة بهم لذلك)[٦٨] .

وفي «أنساب السمعاني» ما يحمل على الاعتقاد بأن جهينة بلغت من القوة في مصر حداً جعل شخصاً في قوة معاوية بن أبي سفيان يحسب لها ألف حساب ، فيُسند إليها وظيفة من أكثر وظائف الدولة حساسية ودقة ، تلك هي : **ولاية الجند**. ترْجَمَ السَّمْعَانيُّ لأحد الأعلام فقال : (... وأبو عبس ، ويُقال أبو حماد عقبة بن عامر... بن رشدان بن قيس بن جهينة ، الجهنيُّ ، شهد فتح مصر ، واختط بها ، وولي الجند بِمصْرَ لمعاوية بن أبي سفيان بعد عُتْبَةَ بن أبي سفيان سنة أربع وأربعين ... توفي بمصر في سنة ثمانٍ وخمسين ، وقبره في مقبرتها بالمقطم)[٦٩] .

بالتأمل فيما سبق يتبين أنَّ أوَّلَ موضع نَزلته جُهَينة بمصر كان في أحد أُحياء القاهرة الحالية ، وأكبر الظن أنَّ استقرار هذا العدد من جُهينة في هذا الموضع شجَّع أعداداً أُخرى غير قليلة على القدوم من الحجاز للإقامة والاستقرار ، ومن هذا المَعْقِل بدأت تنتشر في أرجاء مصر ، وبخاصة بلاد الصعيد.

ويستفاد مما ذكره القَلَقَشَنْدِيُّ والمِقْرِيزيُّ أن جُهينة عند قدومها لبلاد الصعيد سكَنَتْ أول الأمر في أسفله في المنطقة المعروفة آنذاك (بالأشمونين) مجاورة لقريش ، مثلما كان وضعها في بلاد الحجاز ، ثم ثارت — على عهد الفاطميين (٣٥٨ —

٥٦٧ هـ) — فتنة بين هؤلاء الجيران ، وكان الفاطميون يتولَّون قريشاً بدافع عَصَبِيٍّ ، فبادروا إلى إرسال جيوشهم نَجْدَةً لقريش على جهينة ، وانتهى الأمر بطرد الأخيرة — جهينة — من (الأشمونين) واستقرار قريش مكانها ؛ ومنذئذ تبدل اسم (الاشمونين) إلى (بلاد قريش) . أما جهينة فقد لحقت بأبناء عمومتها قبائل بَلِيٍّ في الصعيد الأعلى ، وتمَّ الاتفاق بينهما على أن تحتل جهينة من المشرق من عقبة (قاو الخراب) إلى عيْذَاب[٦٩] ؛ ويشمل بلاد منفلوط ، وأسيوط ، ودشنا ، على الساحل الصحراوي ، ولِبَلِيّ من جسر سوهاج إلى قريب من : قمولة ، ويشمل هذا بلاد إخميم وما تحتها ، من الغرب[٧٠] .

ويُورد البكريُّ وابنُ حزم إشاراتٍ لبطون من جهينة سكنت مصر دون تحديد للمكان الذي سكنت فيه هذه البطون ، ولا الزمان الذي وصلت فيه إلى مصر[٧١] . كذلك ينصُّ عبد المجيد عابدين على أن هناك (قبائل من جهينة سكنت الشرقية والقليوبية وقنا ، وفي مركز فاقوس بمديرية الشرقية قرية قديمة تسمى دوار جهينة ، وكانت تسمى من قبلُ : لبينة «أو لبني» . وفي تاريخ ١٢٢٨ م قيد زمامها باسمها الحالي نسبة إلى جماعة من عرب جهينة يُقيمون بها ،... وفي مديرية القليوبية في مركز شبين القناطر بلدة تسمى نزلة عرب جهينة ، أصلها من توابع زفيتة مشتول ، ثم فصلت عنها في العصر الحديث)[٧٢] .

ظلت جهينة تعيش في أوطانها بمصر في سلام ووئام مع جيْرَانِها من جهة ، ومع السلطان القائم في البلاد من جهة ثانية ، ولا نعلم نِزَاعاً شاركتْ فيه ، فيما خلا ما أشرنا إليه من شأنها مع الفاطميين . ويبدو أنها كانت تَحْظَى بمشاركة في السلطة حين كانت مصر في أيدي العرب أو المتعربين من الأيوبيين ، على نحو ما رأينا من إسْنَاد إمارة الجند إلى أحد أبنائها ، على عهد معاوية بن أبي سفيان كما مَرَّ ، إلى أن كان يومٌ تولَّى زمام السلطة فيه في مِصْر قومٌ غيرُ عربٍ ولا متعربين هم المماليك (٦٤٨ — ٧٨٤ هـ) وحاولوا — فيما يبدو — إقصاء العناصر العربية عن وظائف الدولة ، وأظهروا أن هذا العنصر غير مرغوب فيه ، وابتدعوا من وسائل الاضطهاد ما حمل هذا العنصر العربيَّ على الهجرة من مصر . ها هنا بدأ التَّذَمُّرُ العربي ، وما لبث أن عبَّر عن نفسه في ثورات عارمة ،

قادت جُهَيْنَة إحداها ضِدَّ المماليك ، ولكنها انتهت بهزيمتها[٧٣] ، وإخراج معظم من بقي فيها إلى بلاد السودان . يقول ابن إياس في وصف هذه الثورة[٧٤] .

(ثم دخلت سنة أربع وخمسين وسبعمائة ، فيها توفي الخليفة الإمام الحاكم بأمر الله ... وصلى عليه السلطان الملك الصالح ... وفي هذه السنة جاءت الأخبار من بلاد الصعيد بأن العربان أظهروا الفساد ، وعصوا ونهبوا جميع الغلال ، وقتلوا العمال ، وكان كبير العربان شخصاً يسمى ابن الأحدب [هو محمد بن واصل العركي] شيخ قبيلة عَرَك[٧٥] ، فاجتمع عليه قبائل كثيرة من العربان حتى سَدُّوا الفضاء ، فلما بلغ السلطان ذلك اضطربت الأحوال ، وخرج إليهم السلطان بنفسه ، وسائر الأمراء قاطبة ، وكان جاليش العسكر الأمير طاز ، والأمير شيخو العمري ، والأمير صرغتمش الناصري ، فلما تقدموا أمام العسكر وقع بينهم وبين العربان واقعة عظيمة لم يسمع بمثلها ، وقيل مات من العربان نحو النصف ، وانكسر شيخهم ابن الأحدب ... ثم إن الأمراء مشوا وراء العربان الذين هربوا مسيرة سبعة أيام حتى دخلوا أطراف بلاد الزنج ، ثم رجع الأمراء والسلطان إلى الديار المصرية)[٧٦] .

يقول الدكتور عبد المجيد عابدين : (وصفوه القول أن جُهَيْنَةَ في الفترة التي بين ٦٩٨ ــ ٧٥٤ هـ كان لها نصيب وافر في المقاومة ، وأن هذه الحركة انتهت بكثير منهم إلى بلاد السودان)[٧٧] .

وهكذا انتقلت جُهَيْنَة ــ عن طريق مصر ــ إلى السودان ، كما انتقلت إليه من موطنها الأصلي بالحجاز عبر البحر الأحمر .

وطرق انتقال جهينة من أوطانها في الحجاز ومصر إلى السودان هي موضوع الحلقة الثانية من هذه الدراسة إن شاء الله .

والله من وراء القصد

الرياض في غرة المحرم ١٤٠١ هـ　　　　د : محمد صالح محيي الدين محمد

(١) نشرت «العرب» سلسلة من المقالات عن جهينة س١ ص ٢١٧/ ٣٣٨/ ٤٣٤/ ٥٦٣/ ٦٣٧/ ٧٣٤/ ٨٨١/ ١٠٤٣/ ١١٣٧
س٢ ص ٥٩/ ٢٤٥/ ٣٦٠/ ٤٥١/ ٦٤٨/ ٧٣٧/ ٣٩٤/ ١٠٠٢/ ١١١٤
س٣ ص (٥٤/١٦٠).
س١١ ص (٣١/١٥١) وص ٤٧٤.

(٢) أنظر : ابن دريد : أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٢١هـ) : «الاشتقاق» ٥٣٦/٢ ، ابن حزم : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦)هـ : «جمهرة أنساب العرب» ص ٤٤٠ ، ٤٤٣ — ٤٤٤ ، ٤٨٥ ، البكري : أبو عبيد عبدالله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ) : «معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع» ٣٠/١ ، ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) : عبد الرحمن بن محمد ، «العبر ، وديوان المبتدأ والخبر» ٥١٦/٢ ، القلقشندي : أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ) ؛ «قلائد الجمان ، في التعريف بقبائل عرب الزمان» ص ٤٣ .

(٣) هو أبو عمر يوسف بن عبد البر النَّمري المتوفي سنة ٤٦٣ هجرية .

(٤) «الإنباه على قبائل الرواة» ص ١٢٧ .

(٥) السمعاني : أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التيمي (ت ٥٦٢هـ) :

(٦) «الأنساب» ٤٣٩/٣ — ٤٤٠ .

وقد رجح هذا من المتقدمين الحسن بن محمد الهمداني (٢٨٠/ نحو ٣٥٠) في كتاب «الإكليل» ج١ ص وأورد الأدلة على هذا الترجيح وأطال في ذلك . وانظر كتاب «أدب الخواص» ص ١٣٣/ ١٣٥ — «العرب» .

(٧) الإنباه على قبائل الرواة ص ٦٠ — ٦٢ .

(٨) راجع نسب قضاعة بتفصيل أوفى : الطبري (ت ٣١٠هـ) : «تاريخ الرسل والملوك» ٣/ ٢٢٩٧ ، ابن هشام (ت ٢١٨) : «سيرة النبي» ٧/١ — ٨ ، ابن حزم : «جمهرة أنساب العرب» ٧/١ — ٨ ، ابن عبد البر : «الإنباه» ص ٦١ — ٦٢ ، السمعاني : «الأنساب» ورقة رقم ٤٥٦ ، القلقشندي : «قلائد الجمان ص ٤٠ — ٤٢ ، ابن خلدون : «العبر» ٥٠٥/٢ — ٥٠٦ ، المقريزي : «البيان والإعراب» ص ٨٥ — ٨٧ .

(٩) أشار الهمداني إلى بعض البواعث السياسية في انتساب قضاعة إلى عدنان في الجزء الأول من الإكليل في الكلام على نسب حِمْيَر .

(١٠) سيرة النبي ٧/١ — ٨ .

(١١) تاريخ الرسل والملوك ١٢٥٣/١ .

(١٢) معجم البلدان ١/ ٢٥٠ ، وياقوت هو شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي (ت ٦٢٦هـ) .

(١٣) نفس المرجع ٢٨٨/٢ — ٢٨٩ .

(١٤) «العرب» : وهم ياقوت رحمه الله — حين ذكر أن جبل جُهينة في اليمن ، فجبلها الذي فيه الشَّبُّ هو جبل الأشعر ، المعروف الآن باسم الفِقْرة ، بين ينبع والمدينة ، وقد أوضح هذا البكريُّ في «معجم ما استعجم» رسم

(الأشعر) فيما نقل من كلام الهجري ، ولم يُصَرِّح بالنقل عنه ، ولا يزال في ذلك الجبل شعب يعرف باسم (الشَّب) حدثني بهذا الأخ المهندس سعيد الأحمدي ، من الأحامدة سكان الفقرة وهو من روافد وادي الخاضة ، وهذا نص كلام البكري .

(ومن أودية الأشعر حَوْرَتانِ — الشامية واليمانيّة ، وهما لبني كُلَيب (؟) وبني عوف بن ذُهْل الجُهينيّين ، وبحورَةَ اليمانيَّةِ وادٍ يقال له ذُو الهُدَى ، سمَّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أن شدَّاد بن أُميَّة الذُّهْلي قَدِمَ عليه بعسَل أهداه له ، فقال : «مِنْ أَيْن شُرْتَ هذا؟» فقال : من وادٍ يقال له ذو الضَّلالة ، فقال : «بَلْ ذُو الهُدَى» .

وَبِهَا الخاضَةُ ، وهي بقاع كانت لِقَومٍ من جهينَةَ ، ثم صارتْ لعبد الرحمن بن محمد بن عُزَيْزٍ ، وهي التي يقول فيها ابن بَشِير الخارجي :

ألا أَبْلِغا أهل الخاضــة أنَّني مُقيمٌ بزورا آخِرَ الدَّهْــرِ مُعْتَمِرْ

وكانت وعِرَةً ، وبها غَرَضٌ يستخرج منهُ الشَّبُّ — والغَرَضُ شِقٌّ في أعلى الجبَلِ أَوْ في وَسَطِهِ . انتهى المقصود منه .

أما عن سكنى جُهَينة تهامة ، ثم انتقالها إلى الأشعر وما حوله من جبال شمال الحجاز فقد فصّلها البكريُّ ، في مقدمة «معجم ما استعجم» نقلاً عن كتاب «الافتراق» لابن الكلبي ، وقد نشر في مجلة «العرب» وسيرد ذكره في هذا المقال .

(١٥) فردينان توتل اليسوعي : «المنجد في الأدب والعلوم» مادة : تهامة .

(١٦) «العبر» ٥١٥/٢ .

(١٧) «معجم البلدان» ١٧١/١ .

(١٨) «الاشتقاق» ٥٤٦/٢ ، البكري : «معجم ما استعجم» ٣٠/١ ، ياقوت : «معجم البلدان» ٢٨٨/٢ ، ٣٦٨/٣ .

(١٩) لا صلة لجهينة بِصُحَار التي في عمان ، فقد ذكر البلاذريُّ «أنساب الأشراف» ١٩/١ والبكريُّ «معجم ما استعجم» ٣٠/١ — الطبعة الثانية — نقلاً عن ابن الكلبي : أنَّ أول من طلع من قضاعة إلى أرض نَجْدٍ ، فأَصْحَرَ في صحرائها جُهينة ونَهْدٌ وسَعْدُ هُذَيم بنو زيد بن لَيْثٍ ... فنزلوا الصَّحْراء فسمَّتهم العرب صُحار وانظر هذا الاسم في «معجم البلدان» ، ومجلة «العرب» س١ ص ٢١٧ وما بعدها .

(٢٠) معجم ما استعجم ٣١/١ — ٣٢ .

(٢١) نفس المرجع والصفحات .

(٢٢) البكري : معجم ما استعجم ٨/١ .

(٢٣) نفس المرجع ٣٥/١ — ٣٦ .

(٢٤) قوراً جمع أقور وقوراء : أي واسعة . (نفس المرجع والصفحة) .

(٢٥) فانتدب : أجاب أو أسرع (البكري : معجم ما استعجم ص ٣٥ — ٣٦) .

(٢٦) ورد هذا الاسم :

(١) منتخر في «المغانم المطابة» : ٣٩٣ .

(٢) مشجر في «معجم ما استعجم» ص ٣٦/

أمَّا مثعر الواقع بقربه فيطلق الاسم الآن على موضعين أحدهما — وهو المقصود — من أودية الأشعر (الفقرة الآن) يفضي سيله إلى فرش ملل والثاني من روافد وادي العَرْج .

وقد ورد اسم مثعر — مصحفا في كثير من الكتب .

(٢٧) أنظر تفاصيل قصة انتقال جهينة من نجد إلى الحجاز في : البكري : معجم ما استعجم .

(٢٨) ١/٣٥ — ٣٨ .

(٢٩) طريق المعرقة : لعله الطريق الساحليّ إلى الشام . (أنظر عرام ص ٣٩٦) .

«العرب» : عبارة عرّام هذه فيها اضطراب . فجبل عَزور بعيد عن رَضوى إذ هو بقرب الجحفة الواقعة جنوب رابغ ، ورضوى الجبل الذي لا يزال معروفاً يُطِلّ على ينبع ، ولا صلة له بطريق المصعد من المدينة إلى مكة .

(٣٠) الذّرى بالفتح : الكَنُّ والظل ، والأحواز : النواحي ، جمع حوزة . (عرام ص ٣٩٧) .

(٣١) سنرى فيما بعد إن شاء الله أن جهينة السودان عبر معظمها من «ينبع» هذه إلى شرق السودان عبر البحر الأحمر ، ومنه انتشرت في بقية أرجاء السودان .

(٣٢) أنظر : «كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها ، وما فيها من القرى ، وما ينبتُ عليها من الأشجار ، وما فيها من المياه» ، رواية السيرافي بإسناده إلى عرام بن الأصبغ السلمي ص ٣٩٦ — ٣٩٨ .

(٣٣) وادي يَلْيَل هو وادي بَدْرٍ ، جزءٌ من وادي الصَّفراء ، ولا صلة له بوادي ينبع الذي يبعد عنه مسافة أطول من مئة ميل ، ويظهر أن رسالة عرّام لم تصل إلينا صحيحة ، وأن في هذا النّصّ منها نَقْصاً ، ككثير من نصوصها .

(٣٤) العبر وديوان المبتدأ والخبر ٢/٥١٦ .

(٣٥) أنظر ياقوت «معجم» ٤/٨١ ، «الأطلس التاريخي» خرائط ١ ، ٢ ، ٣ .

(٣٧) الهمداني : أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود : كتاب صفة جزيرة العرب ص ١٣٠ ، ١٧٠ — ١٧١ .

(٣٨) البكري : معجم ما استعجم ١/٢٣ ، ٣٦ — ٣٨ ، جـ٣/ ٨٣٦ .

(٣٩) ياقوت : معجم البلدان ١/٣٣ ، ٢٧٩ ، ٤٢٥ ، ٣٠٥ ، ٩٠٤ ، ٧٥٠ — ٢/٧٢٥ ، ٧٩٠ ، ٣٩٩ ، ٢٣٨ — ٣/٦٦ ، ٣٩٩ ، ٥٧٣ ، ٣٦٨ ، ٨٢٩ — ٤/٥٧ ، ٨١ ، ٤١٣ ، ١٠٣٨ — ١٠٣٩ .

(٤٠) «العرب» : يلاحظ على هذه القوائم :

١ — من المعروف أن العلماء الثلاثة الذين نقلت الأسماء من كتبهم ما كانوا يعيشون قريباً من منازل قبيلة جهينة ، فعلوماتهم عن هذه المنازل مما تَلَقَّوْه — غالباً — عن طريق ما كتبه علماء قبلهم ، ومن هنا لا يمكن الربط بين أزمانهم وبين الزمن الذي أقامت فيه جهينة تلك المنازل .

٢ — جُهينة من القبائل القليلة التي بقيت في بلادها منذ ظهور الإسلام حتى عهدنا الحاضر ، وقد يحدث لتلك البلاد امتداد لما حولها من المواضع ، أو تَقَلُّصٌ بسبب قوة القبيلة أو ضعفها ، وامتداد نفوذ ما يجاورها من القبائل ، وقد أشار الهمداني في الجزء الأول من «الإكليل» عند كلامه على قبيلة حَرْب حين استقرت بين الحرمين بقرب المدينة ، وكانت في عنفوان قوّتها — أشار إلى آثارها في انكماش منازل قبائل تلك الجهة ، ومنهم قبيلة جهينة .

٣ — أوردت في «العرب» س١ (الصفحات ٣٣٨/ ٤٣٤/ ٥٦٣/ ٦٣٧/ ٧٣٤/ ٨٨١ من بلاد «جهينة» بيانا مفصلا يحوي أسماء المواضع التي ذكر المتقدمون — ممن اطلعت على كلامهم — أنها من بلاد جهينة .

٤ — إذا أردنا استخلاص أسماء المواضع التي لا يُشك بأنها من بلاد جهينة لم يبق لنا من تلك الأسماء سوى القليل وهذا يرجع إلى أسباب منها :

أ — الهمداني :

(١) : الهمدانيّ حين يتكلم عن بلاده اليمن فحسبُك به ، ولكنه حين يتكلم عن القبائل التي تعيش خارج

تلك البلاد . فإنه كثيراً ما يذكر المواضع التي وردت في شعر أحد شعرائها باعتبارها من منازلها . وهذا لا يصحّ دائماً ، وقد وقع في كتابه «صفة جزيرة العرب» كثير من هذا القبيل ، بل قد يذكر اسم موضع باعتباره من منازل قبيلة ، ثم يذكره مرة أخرى من منازل قبيلة ثانية لورود اسم ذلك الموضع في شعر شاعرين من القبيلتين (انظر اسم محجر ص ٣٢٥ وص ٣٢٩ من «صفة جزيرة العرب» طبع دار اليمامة) بل قد ينسب مواضع لقبيلتين اثنتين ، غير متجاوزتين في المنازل (أنظر ص ٣٨٧ — مواضع بني أسد وغَنيٍّ ، بدون تفريق بينهما .

(٢) نسب الهمداني في القائمة التي أوردها الكاتب الكريم — مواضع كثيرة لجهينة وعَدَّها من بلادها ، مع أن غيره من متقدمي العلماء ومتأخريهم مَنْ ذكرها من منازل قبائل أخرى ، وهذا لا يمنع أن تكون جهينة حلّت تلك المنازل التي هي من منازل غيرها من القبائل ، ومن تلك المواضع : صُفَيّنة وأرن وفدك وبدر . ووادي القرى والنقرة والربذة وخيبر وحَقْل والروحاء والرُّوَيثة ، والأثابة والعَرْج ووَدَّان ورُهاط وآرة وقدس .

ب — البكري :

(١) من المعروف أن البكريَّ أندلسيٌّ وأن كل ما في كتابه عن تحديد المنازل منقول من مصادر ألفها علماء تقدموه في الزمن ، ومنهم الهمداني الذي عوّل على كتابيه «صفة جزيرة العرب» و«الإكليل» :

(٢) وقع البكريُّ فيما وقع فيه الهمداني حيث عَدَّ مواضع خارجةً عن بلاد جُهينة — عدَّها من منازل هذه القبيلة ، وهي قدس ، وآرة وبدر وودان ، والعرج والرَّوحاء ، والرويثة — وكل هذه مما ذكر الهمداني — وزاد البكريُّ اسم لقف .

جـ — ياقوت :

(١) أورد من أسماء المواضع الخارجة عن بلاد جهينة : وادي القرى ، والحجر والاشمذين — مثنى أشمذ — وحرَّة النار .

(٢) بل أورد ما ليس اسم موضع ظنّاً أنه اسم وهو (صُحار) وهذا سبق إيضاحه .

و(الخَبَط) ليس اسم موضع ، ولَعَلَّ ياقوتا قلد الزمخشري حين ظن أن (سرية الخبط) إحدى سرايا النبي صلى الله عليه وسلم منسوبة إلى موضع يدعى الخَبَط ، ومعروف أنَّ تلك السَّرية جاع أصحابها حتى اتخذوا من الخَبَط — وهو ورق الشَّجر — قوتاً .

وقد حاول صاحب «القاموس» وشارحه تخريج هذا على أنه اسم موضع ، ولكن صاحب «القاموس» يتتبَّع خُطَى ياقوتٍ حتى في أوهامه وصاحب «التاج» في تحديد المواضع القديمة لا يبصر موضع قدمه ورحمة الله على الجميع :

أما ذهبان الذي ذكر ياقوت فهو جبل أسفل ذي المروة ، واسم ذهبان يطلق على مواضع أشهر منه .

(٤١) أشار الأستاذ الكريم إلى التصحيف الواقع في بعض تلك الأسماء ، ويحسن أن يضاف :

١ — يَندُد : لَدَى الهمدانيِّ والبكري ، صوابه (تَبْدَدُ) وينطق الآن (تَبْتَد) لصعوبة النطق بحرفي الدال المتواليين أبدلت العامة الأولى (تاء) لقرب مخرجها من الدال — وتَبْتَدُ وادٍ من أودية الآجْرد جبل جُهينة المعروف ، والوادي لا يزال معروفاً مأهولاً .

٢ — مَثْعَر : بالعين المهملة بعد الثاء المُثَلَّثَةِ وادٍ من أودية الأشعر (الفقرة) من أودية القَبَليَّة ، وهي الأودية التي تُقْبِل من الجبل نحو المدينة لا يزال معروفاً . كما أنَّ الاسم يطلق على شِعْبٍ من روافد وادي العَرْج ، ولكنَّ هذا خارج عن بلاد جهينة .

وهناك أسماء أخرى يظهر أنها محرفة مثل (أجرب) و(شعر) وغيرها .

(٤٢) «تاريخ الرسل والملوك» ١٢٦٧/١ .
(٤٣) ياقوت : «معجم البلدان» : ٧٥٠/١ .
(٤٤) ابن هشام : «سيرة النبي» ٣٥٠/٢ ، ابن حزم : «الجمهرة» ٤٤٥/٢ .
(٤٥) «معجم ما استعجم» ١٢١٨/٤ .
ذُو الْمَرْوَة — البلدة — قد درست ، ويدعى موقعها الآن (أُمّ زرب) وتقع في ملتقى الأودية التي منها وادي الجزل ووادي العُلا وغيرهما — فيما يعرف قديماً باسم وادي القُرى — بقرب خط الطول ٣٨/٢٢ وخط العرض ٣٨/٢٥ — وتقع الْمَرْوَةُ التي سمي الموضع بها غَرْباً عن موقع أُمّ زَرْب ، وهي صخرة بيضاء واقفة ، تقع غرب هذه الصخرة أكمةٌ تُدْعى الظُلَيْمة ، وآثار القرية من أُسُسٍ قنوات وآثار زراعة لا تزال واضحة هناك .

وذكر ابن زُبالة — فيما نقل عنه السمهودي في «وفاء الوفاء» أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بذي المَرْوَة ، وصلّى بها الْفَجْرَ ، ومكث لا يُكَلِّمُهُمْ حتى تعالى النهار ، ثم خَرَج حتى أتى الْمَرْوَةَ ، فأسند إليها ظهْرَهُ ملصقاً — إلى آخر الحديث (أنظر «العرب» س٨ ص ٧٣٤ و٨٨١ وس ١٢ ص ١٨٠ وما بعدها وكتاب «بلاد ينبع»—
(٤٦) أنظر ورقة القوائم .
(٤٧) الطبري «تاريخ الرسل والملوك» ١٦٣٣/١ ، ١٦٣٦ — ١٦٣٧ ، ١٦٤٧ .
(٤٨) تاريخ الرسل والملوك ١٥٦/٣ — ١٥٧ .
(٤٩) تاريخ الرسل والملوك ١٨٧/٣ .
(٥٠) المرجع السابق ٢٢٨/٣ .
(٥١) صفة جزيرة العرب ص ١٣١ .
(٥٢) الجمهرة ٤٤٥/٢ — ٤٤٦ . وذو أمرّ : موضع في برية الشام من جهة الحجاز . (نفس المصدر والصفحة .
«العرب» : هذا النَّصُّ بحاجة إلى تعليق من جوانب :

١ — صحة الاسم ذُو مَرّ وذو تضاف إلى أسماء المواضع كثيراً ، واسم مَرّ يطلق على مواضع منها : مَرّ الظَّهْرانِ ومَرَّيْنِ ، ومَرّ — بدون إضافة — وهو وادي رابغ ، وكل هذه بين مكة والمدينة .
ومَرّ هذا وهو واقع في وادي إضَم ، مجتمع أودية المدينة — أعلى وادي الْحَمض الآن — وبلاد جُهينة قديماً تتّصل بهذا الوادي ، ولهذا أقطعه الرسول صلى الله عليه وسلم عَوْسجةَ بْنَ حَرْمَلَة الْجُهَنِيّ لصلته ببلاد قومه ، والرسول صلى الله عليه وسلم — فيما عرفت من اقطاعاته — لم يُقطعْ أحداً أرْضاً خارجة عن أرض قومه .
وزيادة الألف في الاسم (ذي أمر) خطأ وقع في الطبعة الثانية من «جمهرة أنساب العرب» وقد ورد صحيحاً في الطبعة الأولى وفي مخطوطتي «مختصر «جمهرة النسب» وكتاب «النسب مَعَدٌّ واليمن» لابن الكلبي ، وقال الحازمي في كتاب «البلدان» : مُرّ — بضم الميم — وادٍ من بطن إضم ، وقيل : هو بطن إضم . انتهى .
وذكر السمهوديُّ في «وفاء الوفاء» أنَّ بعض ولد عبدالله بن الزُّبير اعْتَزَلَ أيَّامَ الفتنة بأمر ، من بطن إضم . انتهى ولا شك أن المراد (بِمَرّ) هذا — ولزيادة الإيضاح أنظر «العرب» س١ ص ٧٤١ .
٢ — لم تكن الشام في عهد الرسالة مشمولة بحكم الإسلام ، حتى يسوغ الإقطاع فيها . أمَّا إقطاع الرسول صلى الله عليه وسلم تَميمَ بْنَ أَوْسٍ الدَّارِيَّ قرية عينون في فلسطين ، فإنَّ تميماً وقبيلته من أهل تِلْكَ البلاد .

(٥٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١٧٢٥/٤ ، وابن عبد البرهو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت ٤٦٣ هـ) .

(٥٤) أنظر تفاصيل موضوع مشاركة جهينة في أحداث الشام في الطبري : تاريخ الرسل ١٧٧٥/٢ — ١٧٩٢ .

(٥٥) «تاريخ الرسل والملوك» ٢٤٨١/١ ، وانظر أيضاً ص ٢٤٩٠ من نفس المصدر .

(٥٦) المرجع السابق ٣١٠١/١ .

(٥٧) «أصحاب الجمل» اصطلاح يُقصد به عائشة وطلحة والزبير رضوان الله عليهم أجمعين .

(٥٨) أنظر الطبري : المرجع السابق ٣١٢١/١ .

(٥٩) «الأنساب» ٤٣٩/٣ — ٤٤٠ .

(٦٠) «مختصر كتاب البلدان» ص ١٣١ ، والهمذانيُّ هو أبو بكر أحمد بن محمد المعروف بابن الفقيه .

(٦١) «معجم البلدان» ١٦٨/٢ .

(٦٢) راجع أمر الصراع بين الزبيريين والمختار ، ودور جهينة فيه في الطبري «تاريخ الرسل والملوك» ٥٢٠/٢ — ٥٢١ ، ٥٣٢ — ٥٣٣ ، ٥٩٨ ، ٧١٨ ، ٧١٩ ، ٧٣٤ — ٧٣٥ .

(٦٣) أنظر : الطبري : تاريخ الرسل والملوك ١٧٠١/٢ — ١٧٠٣ .

(٦٤) راجع ص ١١ — ١٢ من هذا البحث .

(٦٥) أنظر : الاستيعاب ١٧٢٥/٤ .

(٦٦) ذكر الدكتور عبد المجيد عابدين في مقدمة «البيان والأعراب» ص ٤—٥ ، أن كتاب الحمداني المؤرخ ضاع مع الزمن .

«العرب» : يوسف بن حمدان — المعروف بابن زمّاج — ترجمه الحافظ ابن حَجَر في كتاب «الدرر الكامنة» والقلقشنديُّ ومن جاء بعده ممن نقل عن الحمداني يظهر أنَّ المصدر الأول لهم هو كتاب «مسالك الأبصار» لابن فضل الله العُمَرِيّ ، المتوفي سنة ٧٤٩ هـ فقد ورد في ذلك الكتاب نُقُولٌ طويلة تتعلق بالقبائل عن الحمداني (المَهْمَنْدار) لأنه كان يتولّى دار الضيافة لحكام مصر في عهده .

(٦٧) العبر وديوان المبتدأ والخبر ٥١٦/٢ .

(٦٨) معجم البلدان ٧٤٥/٢ — ٧٤٦ .

(٦٩) الأنساب ٤٣٩/٣ — ٤٤٠ .

(٦٩) قاو الخراب من البلدان المندرسة ، وهي إحدى نواحي مركز البداري بمديرية أسيوط (هامش : قلائد الجمان ص ٤٤) . أما عَيْذَابُ فإنها ثغر مصريٌّ على البحر الأحمر ، ويسمى سماكن القديمة ، يقع على خط عرض ٢٢/٢٠ .

(٧٠) القلقشندي : «قلائد الجمان» ص ٢٤٤ «البيان والإعراب» صفحات ٢٧١ ، ٣٢—٣٣.

(٧١) البكري : «معجم ما استعجم» ٤/١ ، ابن حزم : «الجمهرة» ٤٤٣/٢ — ٤٤٤ .

(٧٢) البيان والإعراب هامش ص ٣٢ — ٣٣ ، وانظر : «دائرة المعارف الإسلامية» ٢٠٠/٧ .

(٧٣) أنظر : «البيان والإعراب» ، الصفحات ١١٥ — ١٢٢ .

(٧٤) هو محمد بن أحمد بن إياس الحنفي المصري ، المتوفي سنة ٩٣٠ هـ (١٥٢٤ م) .

(٧٥) بنو عَرَك فرع من جهينة (أنظر ياقوت ٣٢/٤ — ٣٣ مادة القَيْلِيَّة) .

(٧٦) كتاب تاريخ مصر ، المشهور «ببدائع الزهور في وقائع الدهور» ٢٠٠/١ .

(٧٧) «البيان والإعراب» ص ١٣١ (دراسة للعروبة في وادي النيل ، ذَيّل بها كتاب : «البيان والأعراب») .

القريتان : القُريَّة والعَيَّارِيَّة

[وهذا بحث ممتع ، من مباحث كتاب «بلاد القصيم» من أقسام «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية».
والكتاب سيصدر آخر أجزائه الستة قريباً ، وهو من تأليف العالِم المحقق الأستاذ الشيخ محمد بن ناصر العبودي] .

«الْقُرَيَّة»

بإسكان القاف بعد «ال» فراء مفتوحة ثم ياء مشددة فهاء أخيرة : صيغة تصغير الْقَرْية (بتخفيف الياء) .

والأمر كذلك لأنها هي قرية ابن عامر إحدى القريتين الوارد ذكرهما في التاريخ كما سنبين ذلك فيما بعد .

والقريَّة تقع في متسع من الأرض على طرف مكان خصب على الضفة الجنوبية لوادي الرُّمَة في المنطقة الواقعة شرقي مدينة عنيزة ، وعلى بُعْد ستة كيلات منها وجنوبا من مدينة بريدة على بعد ٢٢ كيلاً منها .

تحد من الجنوب الشرقي بالزغيبية ومن الغرب «بِصَفْرا عنيزة» وشرقاً بنفود لوى[٢] .

وماء القريَّة غزير جداً إلاَّ أنَّ فيه غِلَظا أي ملوحة وهو قريب من سطح الأرض اذْ لا يزيد عمق بعض آبارها على خمسة أمتار .

وفيها في الوقت الحاضر عدة آبار وأشجار من الاثل ، وقصور للزُّرَّاع ، وكان أهالي عنيزة وأهالي الخُبُوب الجنوبية لبريدة مثل «القصيعة» يعتادون زراعتها قمحاً في فصل الشتاء فيجود الى جانب وقوعها في موضع لا ينقطع منه الحمض أبداً . ونعتقد أنها هي قرية ابن عامر لأمور :

أولها : التسمية الحالية التي لم تختلف إلاَّ بالتصغير عوضاً عن التكبير وذلك تغيير ليس كبيراً كما هو المعروف في بعض المواضع التي لها أسماء قديمة وهذا التصغير لم يغيّر من حروف «القريَّة» شيئاً .

وربما كان مرجعه الى ضعف أصاب (قرية ابن عامر) بعد ازدهار كان لها في القديم وكان موجوداً في أذهان الذين صغّروها لذلك أتبعُوا هوانها في أنفسهم بتصغير اسمها .

ثانيها : وقوعها في موقع خصب يؤهلها للعمران القديم ، وقرب نبط آبارها حتى الوقت الحاضر مما يجعل إخراج المياه منها سهلاً إنْ لم يمكن اجراؤها الى المواضع المنخفضة في مجرى وادي الرُّمَة أو على ضفته الجنوبية في مواضع قد تكون مجهولة لنا الآن . وقد تكون روضة الزغيبية تابعة في القديم لقرية ابن عامر لأنها تقع ملاصقة لها .

ثالثها : وجود بقايا أميال الطريق طريق الحاج البصري في مدخلها على الضفة الجنوبية لوادي الرمة وعلى بعد ٣ كيلات من الزغيبية شمالاً . وقد شاهدت بقايا ميلين منها مطابقين في الشكل لما هو موجود في جنوب الأسياح (النباج قديماً) وفي القاع الأبيض (قاع بولان قديماً) وهي معروفة لكثير من اهل القصيم بل ذكر لي راشد الفوزان من أهل الشماسية أنه رأى هناك عدة أميال متقابلة كان يفصل بين كل واحد منها وبين مقابله حوالي ٥٠ متراً وانها الى الشمال من «القريّة» فما بينها وبين الوادي .

رابعها : أنها تقع في الاتجاه الصحيح الى مكة المكرمة لمن يأتي من حاج البصرة قادماً من الأسياح (النباج قديماً) ثم الصَّريف ، فقاع بولان الذي هو الآن «القاع الأبيض» ثم القريتين اللتين هما القرية قرية ابن عامر هذه والعسكرة قرية العباسيين التي هي العيارية الآن وأطلق اسم القريتين عليهما للتغليب كما أطلق اسم «القَمَرَين» على الشمس والقمر ، والعُمَرَين على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

خامسها : أن هناك الى الشمال من القريَّة تلاً مرتفعاً نوعا ما فيه آثار العمارة القديمة باديةً من حجارة مُهذبة وأساس قصور وغيرها . إلا أن القول الفصل في محتوياتها وتاريخها يرجع الى المختصين في الآثار . والشيء المؤكد أنه بقايا عمارة قديمة أي : ليست حجارة طبيعية .

سادسها : أنه كانت ولا تزال بقايا بركة زبيدية ماثلة للعيان في الجهة الغَربية من (القرية) لها مجرى مائي طويل مصنوع من الحجارة المهذبة ويمسك به مادة شبيهة بالجبس وليست جبساً ، وهي بالجص أشبه إلا أنها أقوى منه وقد بقي هذا المجرى ظاهراً

الى أن رُصِفَ الطريق الإسفلتي الممتد بين مدينتي عنيزة وبريدة فقضت على آثارها الجرّافات التي أصلحت الطريق . ويقع مجراها على بعد حوالي ١٨٠٠ متر من المضباعة أي الثنية المرتفعة التي تأتي مباشرة بعد المزيرعة للمتجه من عنيزة الى بريدة شرقاً من الروغاني ، وهذا دليل واضح على أن القرية هي قرية ابن عامر لأن ماءها ملح فوضعت هذه البركة بين القريتين العيارية (العسكرة في القديم) وقرية ابن عامر ليستقي منها الحاج الذي لا يسهل عليه أن يجلب الماء من عنيزة .

نصـوص قديمـة :

قال ياقوت : القريتان قريبتان من النباج في طريق مكة من البصرة . أقول : هذا صحيح لأن النِّباج هو الأسياح كما سبق في حرف الألف إلا أن قُرْبها من النِّباج هو نسبي أي بالنسبة الى طول الطريق بين مكة والبصرة ولكونه لم يكن يوجد بينهما مكان معمور مزدهر العمارة في ذلك الوقت .

وبينهما الآن على طريق الحاج الذي يذهب من القرية التي هي قرية ابن عامر وهي الشرقية منهما على طريق الصريف الى النباج حوالي ٧٢ كيلاً كما ان بين القرية الأخرى الغربية منهما وهي التي كانت قديماً تسمى «العسكرة» وتسمى الآن العيّارية على طريق عوسجه التي تسمى الآن «خب العوشز» والتي تقع الى الجنوب من مدينة بريدة على بعد حوالي ٤ كيلات حوالي ٧٨ كيلاً .

ثم قال ياقوت : قال السَّكُوني : هما قرية عبدالله بن عامر بن كُرَيْز . وأُخرى بناها جعفر بن سليمان وبها حصن يقال له العسكر ، وهو بلد نخل بين اضعافه عيون في مائها غلظ ، وأهلها يستعذبون من ماء عنيزة وهي منها على ميلين قال جرير :

تغشى النباج بنو قيس بن حنظلة والقريتين بِسُرّاق ونُزّال

أقول : هذا الوصف ينطبق على العيارية احدى القريتين فهي كان فيها عيون جارية وهي تبعد عن شمال عنيزة الذي هو الجناح حوالي ٤ كيلات . وقال الإمام لغدة الأصبهاني من أهل القرن الثالث الهجري : والقصيم موضع ذو غضا فيه مياه كثيرة وقرى

منها قريتا ابن عامر ، وهما اليوم لولد جعفر بن سليمان احداهما يقال لها العسكرة[٤] .

أقول : إذا كانت عبارته صحيحة خالية من التحريف فإن ذلك يدل على أن القريتين كلتيهما كانتا في القرن الثالث لبني جعفر بن سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس الذي كانت له العسكرة أي العيارية في الوقت الحاضر ويكون الكريزيون أبناء عبدالله بن عامر بن كريز قد تركوا قرية عبدالله بن عامر التي أصبحت تسمى الآن «القريَّة» بالتصغير .

على أنه من المحتمل أن يكون في العبارة تحريف ويكون صحتها منها قريتا ابن عامر واحداهما اليوم لولد جعفر بن سليمان يقال لها العسكرة ذلك بأن عبارة لغدة هذه إذا كانت صحيحة تعكس الشائع عن القريتين اذ الأولون غلبوا اسم قرية عبدالله بن عامر على القرية الأخرى وغالباً ما يكون التغليب لسبب قوي إما لأهمية الذي غُلِّب اسمه أو لخفة لفظه أو لنحو ذلك ونفترض هنا أنَّ التغليب جاء لكون قرية عبدالله بن عامر أقدم عمراناً ، اذ عبدالله بن عامر بن كريز رضي الله عنه توفي عام ٥٩ من الهجرة أما جعفر بن سليمان فقد جاء بعده بقرن من الزمان[٥] .

هذا إذا اتبعنا ظاهر النصوص بأن الذي عمر العسكرة هو جعفر بن سليمان وانها لم تكن معمورة قبله فاشتراها وتوسع في عمارتها وذلك بعد موت عبدالله بن عامر بن كريز بأكثر من مائة سنة .

قال ياقوت :

القَرْيتان : بالفتح : تثنية قرية ، وأصله مِنْ قروت الأرض اذا تبعت ناسا بعد ناس ، وقال بعضهم : ما زلت استقري هذه الأرض قرية قرية ، ويجوز أن يكون من قولهم : قريت الماء في الحوض ، أي : جَبَيْتُهُ وجَمَعْتُهُ ، وقيل : هي القَرْية والقِرْية بالفتح والكسر ، والكسر يَمَانٍ .

هكذا ذكر ياقوت اشتقاق القرية وهكذا ابتدأ الكلام على القريتين ثم ذكر نصوصاً بعضها في القريتين اللتين في القصيم وبعضها في غيرهما ، وسيأتي نقل كلامه على اللتين في القصيم فيما بعد .

أما البكري فقال :

القريتان : على لفظ تثنية قرية ، موضع في طريق البصرة الى مكة ، قال القَطامي :

كَعَنَاء ليلتنا التي جُعِلَتْ لنا (بالقريتين) وليلة بالخندق

أقول : لا أدري أراد القطَّامي بالقريتين قريتي القصيم أم غيرهما ، لأن القطامي ليس من سكان القصيم بل كانت منازل قومه في جزيرة ابن عمر ما بين العراق وأطراف الشام الشرقية الشمالية .

ولا يصح الافتراض بأنه ربما كان قد مرَّ بالقريتين حاجّاً لأنه كان من نصارى تغلب الذين بقوا على نصرانيتهم رغم كونه في العصر الأموي[6] ثم قال البكري :

وقال مالك بن نويرة :

فمجتمع الأسدام مِنْ حول شارع فَروَّى جبال القريتين فضلعفا

وهذا إذا لم يكن تحريفاً من الطابع أو الناسخ بعد البكري فإنه وهم منه اذ الشعر من قصيدة لمتمم بن نويرة أخي مالك بن نويرة يرثي فيها مالكاً الذي قتل في البطاح وهي قصيدة مشهورة أولها[7] :

لعمري وما دَهْري بتأبين هالكٍ ولا جَـزَعٍ مما أصاب فأوجعا
لقد كفَّنَ المنهال تحت ردائه فتى غير مبطان العَشيَّات أروعا[8]

الى أن قال :

فعيَّنيَّ هَلاَّ تبكيان لمالكٍ إذا أَذْرتِ الريحُ الكنيف المُرَفَّعَا[9]

الى أن قال :

فلما تَفَرَّقْنا كأني ومالكاً لطول اجتماع لم نَبِتْ ليلةً معا
فإنْ تكن الأيام فَرَّقْنَ بيننا فقد بان محموداً أخي حين وَدَّعا
أقول وقد طار السَّنا في ربابه وجونٍ يَسُحُّ الماء حتى تَرَبَّعا[10]

سقى الله أرضاً حلّها قبر مالك
ذهاب الغوادي المدجنات فأمرعا[11]

وآثر سيل الواديين بديمة تُرشّح وسمياً من النّبْتِ خرْوعا
فمَجْتمعَ الأسدام من حول شارع فروّى جبال (القريتين) فضلعفا[12]
فوالله ما أُسْقي البلاد لحُبِّها ولكنني أُسْقي الحبيب المَوَدَّعا
تحيته مني وان كان نائياً وأمسى تُراباً فوقه الأرضُ بلْقعا

ولقد ذكرنا هذه الأبيات من القصيدة لنشرك القارىء الكريم في التعرف على (القريتين) اللتين ورد ذكرهما فيها.

فالمتبادر الى الذهن انهما قريتا ابن عامر اللتان في القصيم وذلك لأن هذه القصيدة لمتمم بن نويرة في رثاء أخيه مالك بن نويرة اليربوعي. وبنو يربوع كانت لهم عدة أماكن في شمال القصيم عندما ظهر الإسلام مثل القُوارة وخُفّ (الخفيات) وزنقب (الساقية) فهو إذاً غير غريب عن هذه المنطقة بل هو منها قريب. إضافة الى أن مالكاً قُتِلَ في البطاح القريب من الرس قتله خالد بن الوليد أثناء حروب الردة. ومن الطبيعي أن يدفن في القصيم سواء في البطاح أو في مكان قريب منه.

ودليل آخر وهو ان متمما ذكر مع القريتين (ضلفعا) الذي هو الضلفعة في الوقت الحاضر.

وقد رأيت بعض الباحثين ذكر أن مالك بن نويرة قتل في البطاح ودفن في الضلفعة (ضلفع) ولا أدري مصدره في ذلك إلا أن هذا البيت الذي قاله متمم بن نويرة من هذه القصيدة:

فمجتمع الأسدام من حول شارع فروّى جبال القريتين فضلفعا

كما سبق يحمل على القول بأن القريتين في هذه القصيدة هما قَرْيتا ابن عامر كما صنع البكري رحمه الله. غير أن هناك إشكالاً في البيت في شارع ما هو شارع؟ وفي أي مكان هو؟

وذلك لأن شارعاً المشهور وبخاصة في شعر ذي الرمة هو نقاً من أنقاء الدهناء اسمه

«شارع»[١٣] وطبيعي أنه ليس بهذا المذكور في بيت متمم بن نويرة فهل هو شارع غيره أم أن الأمر فيه تحريف وتصحيف؟

واذا تركنا شارعاً وشأنه مع أن البحث يدعونا الاّ نتركه ولكننا نفعل ذلك مرغمين فإن جبال القريتين تعترض لنا أيضاً مبدية إشكالاً أكثر من الإشكال الموجود في شارع ذلك بأن قريتي القصيم ليس فيهما جبال وانما حولها وبخاصة الشرقية منهما ظراب : جمع ظرب بمعنى (جال) عند العامة فأين جبال القريتين؟ إننا لا نستطيع أن نطمئن تمام الاطمئنان الى أن المراد بالقريتين هنا قريتا القصيم إلاّ إذا وجدنا جبال القريتين ونحن لن نجدهما أو وجدنا علماً أفادنا بأن كلمة جبال هنا محرفة عن حبال — بالحاء — مثلاً أو جماد — جمع جمد بمعنى جال — أو نحو ذلك والله أعلم.

على أن ذكر متمم بن نويرة للواديين — تثنية وادي — في قصيدته مما يرجح القول بأن المراد بالقريتين قريتا ابن عامر اذ وادي الرمة معروف وهما على شفيره، وهناك انحناءات ووديان بقربهما يسمى كل واحد منها بوادي كذا مثل «وادي الجناح» و«وادي العمران» و«وادي أبو علي» وتسميها العامة من المحدثين جميعاً بالوديان كما قال أحد شعراء العامة من أهل عنيزة وهو علي الخياط :

يا عيني اللي حاربة للنوم　　يوم حَلَّ القطع بالوديان

وتقدم ايرادها في رسم (عنيزة).

وقال صاحب المناسك وهو يتكلم على طريق حاج البصرة الى مكة، بعد أن ذكر النباج ثم العوسجة : ثم القريتين : أخبرني الثَّالي عن التَّوزي عن الأصمعي، قال : القريتان كانتا لطسم وجديس، قال زهير :

عهدي بهم يوم باب (القريتين) وقد　　زال الهماليجُ بالفُرْسانِ واللُّجُم
فاستبدلت بعدنا داراً يمانية　　ترعى الخريف فأدنى دارها ظَلِمُ[١٤]

أخبرني الثالي عن التَوزي عن أبي عمرو قال أصبيت (بالقريتين) دراهم، وزن الدرهم منها تسعة دراهم وثلثان، مِنْ بقايا طسم وجديس، قال : فسألتهم أن يدفعوا

اليّ ، ويأخذوا وزنها . فقالوا : نخاف السلطان .

أقول : ستأتي فيما بعد رواية لهذا النص مع التعليق ان شاء الله .

ثم روى الحربي عن محمد بن سليمان قال :

القريتان : الدنيا منها قرية ابن عامر ، والأخرى قرية يقال لها (العسكر) وهي بلد نخل تَطَّرِدُ في اضعافها عيون في مائها غلظ ، وأهلها يستعذبون ماء عنيزة ، وهي على ميلين من القريتين[١٥] .

أقول : قوله : الدنيا منها قرية ابن عامر يدل على ما قلناه من أن (القريَّة) هي التي كانت تسمى (قرية ابن عامر) لأنها ادنى القريتين من العراق ، وان الثانية هي العيارية ، وهي التي كان يقال لها (العسكر) والعسكرة وذلك يصحح لنا ما في هذا النص اذ ورد فيه اسم الحصن الذي في القرية الأخرى التي بناها جعفر بن سليمان (العسفر) وذلك تحريف ظاهر يدل عليه ما قاله لغدة :

القصيم : موضع ذو غضا ، فيه مياه كثيرة وقرى ، منها قريتا ابن عامر وهما اليوم لولد جعفر بن سليمان احداهما يقال لها : العسكرة .

وقد سبق شيء من إيضاح ذلك في رسم «العيارية» في حرف العين .

وقول الحربي في روايته : وهي بلد نخل تطرد بين أضعافها عيون ، يريد بذلك العسكرة التي هي العيارية بدليل قوله : وأهلها يستعذبون الماء من عنيزة وهي على ميلين من القريتين ، فالعسكرة التي هي العيارية أقرب الى عنيزة من قرية ابن عامر التي هي القريَّة في الوقت الحاضر .

وقد أوضح وهب بن جرير بن حازم الجهضمي موقع القريتين بالنسبة الى طريق حاج البصرة الى مكة في أرجوزته التي ذكر فيها مواضع ذلك الطريق بعد أن ذكر دخول الحجيج إلى رمال القصيم بعد أن تجاوزوا (الصريف) ثم مرورهم بقاع بولان (القاع الأبيض) ثم القريتين ، ثم ذكر بعد القريتين اختراقهم لرمال عجلز أو لكثيب عجلز على حد تعبيره وهي رمال الغميس كما تسمى في الوقت الحاضر ثم رامة قال :

حتى إذا أوفت على القصيم وخلَّفَتْ أرضَ بني تميم
قلت لها جِدِّي ولا تقيمي

فاختلَفَتْ تنحطُّ في رماله مثل انحطاط الوعل في أجباله
تحذو اذا انحطَّتْ على مثاله(١٦)

حتى إذا مَرَّتْ بقاع بولان مزهوة تخدي أمام الركبان
حَرْف أمونٌ ذاتُ لَوْث مِذْعَانْ

ثم مَضَتْ قِدْماً تَؤمُّ النَّخْلا تقدم اطلاحا عتاقا بُزْلا
تكاد تذري حلسها والرَّحْلا

عامدةً للقريتين لا تني لو عُطِفَتْ لمرتع لم تنثنِ
متى تحركها لسير تُمْعِنِ

بَهْزَرَةٌ في أَيْنُقٍ بهازر لما رأين (قرية ابن عامر)
رمينها بالأعين الفواتر

فَوَرَدَتْ والشمس لمَّا تَطْلُعِ عطشَى بها حرارةٌ لم تُنْقَعِ
متى تُقَرِّبها لماءٍ تَكْرَعِ

هذا ونحن في صميم البَرْدِ قد يَطَّبيها الوِرْدُ بعد الورد
عيهمة كالهقل حين تَخْدي

فأخبر القوم، وقيل: شَمِّرُوا فارتحلوا وهُنَّ خُوصٌ ضُمَّرُ
يَسْتاقُهُنَّ سائق حَزَوَّرُ

ثم مَضَتْ نحو كثيب عَجْلَز تنحَطُّ بالسير الوَحْيِّ الموجز
لو طَلَبَتْ وحشية لم تُعْجِزِ

فَسِرْنَ في لبث على الكثيب تعسل فيه عَسَلاَن الذيب
باقية النيِّ على الدؤوب

تشرف فيه تارةً، وتنحدر دائمة النشاط كالعير الأشِر
راحت كذاك، وكذاك تبتكر

قاصدة بي ما تخاف ميلا فوردت بي رامتين ليلا
سريعة السَّيْرِ تَسيل سَيْلا[١٧]

وتعتبر القريتان المنزل الثاني عشر من منازل حاج البصرة الى مكة بالنسبة للمصعد أي : المتوجه من البصرة الى مكة .

قال صاحب المناسك وهو يعدد منازل الطريق بالنسبة للمتوجه منها الى مكة :

الثاني عشر : القريتان ،وبالقريتين منبر ، وهي لقريش لولد ابي الحميصه[١٨] .
وقد كانت القريتان منزلاً هاماً من منازل الطريق المذكور يذكرهما كل من ذكر منازل أو عدد محطاته كما قال الإمام الهجري بعد أن ذكر طريق الخارج من ضرية بريد مكة :

فإن خرج من ضرية يريد البصرة ، شرب بطخفة ، ثم إمَّرة ، ثم رامة ثم (القريتين) وبين القريتين والنباج أربعون ميلاً في المنزلين جميعاً ، ثم العوسجة ثم النباج ثم الينسبوعة ، ثم العشر ، ثم ماوية ، ثم الحفَر : حَفَر أبي موسى ، ثم الخرجاء ، ثم الشجي ، ثم الرُّحَيْل ، ثم الحُفَيْر ، ثم البصرة[١٩] .

والقريتان قديمتان بل هما جاهليتان عرفتا قبل الإسلام ، وقالت عنهما الأساطير إنهما كانتا لِطَسْم وجَدِيس من العرب البائدة وانه وجدت فيهما نقود قديمة .
ذكر ياقوت ذات (الأبواب) وقال : قالوا في قول زهير :

عهدي بهم يوم باب القريتين وقد زال الهماليج بالفرسان واللُّجُمُ

باب القريتين التي بطريق مكة — يقصد من البصرة — فيها ذات أبواب ، وهي قرية كانت لطسم وجديس ، قال الأصمعي : حدثني أبو عمرو ابن العلاء قال : وجدوا في ذات أبواب دراهم في كل درهم ستة دراهم من دراهمنا ودانقان ، فقلتُ : خذوا مني بوزنها وأعطونيها ، فقالوا : نخاف السلطان لأنا نريد أن ندفعها اليه[٢٠] .

أقول : أعتقد أن ذات الأبواب هذه كانت قد خربت وبارت قبل ظهور الإسلام إلاَّ أنه كان قد بقي منها آثار أبنية عالية كالأبواب والعقود ، وذلك ما حمل زهيراً على أن يذكر باب القريتين ، وما حمل الذين رأوها على أن يُسَمُّوها «ذات الأبواب» لأن اسم القريتين فيما نفهم كان قد أُحْدِثَ بعد ذلك إحداهما وهي قرية عبدالله بن عامر بن كريز التي هي هذه التي تسمى الآن «القريَّة» أنشأها أو عمرها بمعنى وجدها بائرةً فأعاد عمارتها الصحابيُّ الجليل عبدالله بن عامر بن كريز في وقت متأخر من ظهور الإسلام إذ ولادته رضي الله عنه كانت بعد الهجرة النبوية الى المدينة . وسميت «قرية ابن عامر» والأخرى بناها جعفر بن سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس في القرن الثاني للهجرة وكان اسمها «العسكرة» أو حصن العسكر في أول الأمر ثم غلب عليها اسم القرية فأصبحت إحدى القريتين .

وعلى هذا يكون اسم «ذات الأبواب» للقرية القديمة التي كانت لطسم وجديس كما تقول النصوص ، ولعل ذلك مما يوحي بقدم عمارتها ، وبأن آثارها التي منها أبواب ظلت باقية الى عصر زهير بن أبي سلمى قبيل ظهور الإسلام وهذا هو الذي يوحي به وجود دراهم عظيمة المقدار فيها اذ هذه غالباً ما توجد في الدفائن في المحلات القديمة أو في الآثار التي خلَّفها الأولون .

والنَّصُ الذي ورد فيه ذكر وجود هذه الدراهم يوحي بذلك فقد ذكر راوي الخبر وهو الإمام الثِّقَة بل الحُجَّة أبو عمرو بن العلاء أنه في كل درهم ستة دراهم من دراهمهم ودانقان[٢١] وانه قال : خذوا مني بوزنها واعطونيها يريد بوزنها فضة وذلك لرغبته فيها لقدمها والا فإنه لا وَزْن فيها زائداً من الفِضَّة إذا كان سيعطيهم مثل ما فيها من الوزن ، ولم يشأ وهو الإمام الورع أن يزيدهم على وزنها فضة لأن ذلك من الرِّبا الذي لا يجوز إلاَّ أنه لو كان اشتراها منهم بذهب لجاز له أن يعطيهم ما يتراضى معهم عليه من قيمتها شرط أن يكون ذلك يداً بيد .

الا أنهم امتنعوا من ذلك وقالوا : إننا نخاف السلطان وليست هذه الكلمة على ظاهرها وأنها تعني السلطان أي الحاكم الذي كان اسمه السلطان فلم تكن هذه الكلمة من ألقاب الحاكم في ذلك الوقت فأبو عمرو بن العلاء عاش آخر القرن الثاني الهجري وإنما

المراد بالسلطان ما يسمى الآن (السُّلْطة) وهي كلمة أقل استعمالاً في الفصحى من كلمة السلطان .

فهم يخافون أن يعرف صاحب السلطان وهو الخليفة أو عامله على تلك الناحية بأنها عندهم فيعاقبهم على عدم إيصالها اليه لأنها من الرِّكائز التي هي تُعْنى الكنوز في الأرض وفيها الخُمُس لبيت المال . ولذلك قال المبرد فيما يتعلق بتلك القرية القديمة :

يقال : إنَّ اليمامة والبحرين والقريتين ومواضع هناك كانت لِطَسْم وجَديس[٢٢]
أقول : واضح أن موضع القريتين كان يؤهلها لذلك فهما أُقيمتا على ضفتي وادي الرمة الذي كان أكثر جرياناً ، والامطار كانت أوفر فكان يأتي بالطمي والخصب الى أرضها وكانت المياه تجري فيه عيوناً سارحة تنمو عليها النخيل والأشجار وهناك غير بعيد منها أماكن خصبة لزراعة القمح والحبوب مثل الزغيبية .

وقد أدركت ومَنْ كان في مثل سني عشرات العيون الجارية أو التي كانت جارية وبقيت خرائقها وآثار مسيرها في منطقة القريتين ، في العَبَّارية وماكان غربا من (القريّة) هذه وما كان على يمين المتوجه من بريدة الى عنيزة وعلى يساره مع الطريق الذي أصبح عليه الجسر الذي يربط الآن بين المدينتين على وادي الرمة .

أما بيت زهير الذي ذكر فيه (باب القريتين) فإنه من قصيدة له يمدح فيها هَرِمَ بن سِنَان المُرِّيَّ أولها[٢٣] :

قِفْ بالديار التي لم يَعْفُها القِدَم بلى ، وغَيَّرها الأرواح[٢٤] والدِّيَمْ

تغزل فيها بمحبوبته سلمى ، وذكر أن لها داراً في الغمرين ثنية غمروهما في شمال القصيم الغربي في المنطقة التابعة لحائل[٢٥] وهي من ديار بني أسد وان سلمى ومَنْ معها تركوا تلك الديار ، ربماكان ذلك انتجاعاً للغيث أو لغرض آخر — الى حيث سالت بهم قرقرى التي هي في جو اليمامة الذي فيه (ضرما) ويقع غرباً من جبل طويق ، بحيث جعلوا بركا[٢٦] والعاليات على أيمانهم . وخيما[٢٧] على أيسارهم أما زهير فإن آخر عهده بهم قبل أن يترحلوا الى تلك المنطقة البعيدة عن بلاد بني أسد التي تقع بجوار بلاده التي

سكنها عند أخواله بني عبدالله بن غطفان في غربي القصيم ، هو يوم أن سال بهم وادي السليل ، أي : يوم ساروا من وادي السليل عند جبل أبان بالقرب من بلدة النبهانية .

ثم تذكّر أنه كان قد رآها قبل هذه النجعة البعيدة في أماكن أخرى مرتفعة عن منطقة القصيم مثل وادي الجفر والهدم التي تسمى في الوقت الحاضر (الهدايم)[٢٨] وسراء التي كتبت في الديوان (السِّرّ) ونعتقده خطأ .

وكذلك ذكر لُكَانَ في بلاد بني أسد الذي يقع الى الجنوب من مدينة حائل بحوالي ١٥٥ كيلاً ولا يزال معروفاً بهذا الإسم[٢٩] ووادي الغمار الذي سبق ذكره في (الغمار) في حرف الغين . وكذلك في شرقي جبل سلمى وفيد ورم .

ثم تذكر أيضاً أنه كان قد عهدهم وهم بباب القريتين اللتين هما قرب مدينة عنيزة وقد ركبوا الهمالج من الإبل التي شُدَّت معها الخيل لأنهم اذا سافروا ركبوا الإبل وجَنَّبوا الخيل .

وأن سلمى بَعْدَ عهده بها في الأماكن المذكورة قد استبدلت داراً يمانِيَةً أي الى جهة اليَمَن وهي جهة الجنوب .

وهذه هي الأبيات التي ذكرت فيها هذه المواضع من القصيدة مع البيت الذي فيه ذكر القريتين ليتصور القاريء سياقها[٣٠] :

دارٌ لأسماء بالغمرين ماثلة ... كالوحي ليس بها من أهلها أرِمُ[٣١]
سالت بهم قرقرى : بِرْكٌ بأيمنهم ... فالعاليات ، وعن أيسارهم خِيَمُ
كأنَّ عيني وقد سال السليل بهم ... وعَبْرَةٌ ما هُمُ لو أنهم أمَمُ[٣٢]
بل قد أراها جميعاً غيرمقوية ... السِّرُّ منها فوادي الجَفْر فالهِدَمُ[٣٣]
ولا (لُكان) ولا وادي الغمار ولا ... شرقيُّ سَلْمَىٰ ولا فَيْدٌ ولا رِمَمُ
عهدي بهم يوم (باب القريتين) وقد ... زال الهماليج بالفرسان واللُجُمُ
فاسْتَبْدَلَتْ بعدنا داراً يمانية ... ترعى الخريف فأدنى دارها ظَلَمُ[٣٤]

وكما كان للقريتين اسم قديم هو (ذات الأبواب) كان لهما اسم آخر غير القريتين مما يؤكد قدمها واهميتها في أذهان أهل ذلك العصر وهو (أَبْوَىٰ).

قال ياقوت: أَبْوَىٰ: مقصور: اسم للقريتين اللتين على طريق البصرة الى مكة[٣٥].

أقول: الظاهر أن ياقوتاً أخذ ذلك مِنْ كتاب نصر الاسكندري إذْ نص على ما يأتي:

أَبْوَى كان اسماً للقريتين اللتين على طريق البصرة الى مكة المنسوبتين بِطَسْمٍ وجديس أو لأحدهما[٣٦].

فتأمل قوله: كان اسماً مما يدل على ما قلناه بأنه اسم تاريخي آخر قديم لهما مثل «ذات الأبواب» أو ربما كان أكثر إيغالاً في القدم ولم ينقله ياقوت فيما نقله من كتاب نصر مع أن أستاذنا حمد الجاسر يعتقد أن النسخة التي وصلت الينا من كتاب نصر هي بعينها التي اطلع عليها ياقوت وهي المحفوظة الآن في المتحف البريطاني، وعَلَّلَ ذلك بكون ياقوت ينقل عنها أحياناً أشياء على ما فيها من اضطراب، إضافة الى أنَّ تاريخ نسخها فيما يعتقد سابق على وفاة ياقوت، وقد أورد ياقوت بعد كلامه على (أبوي) شاهداً من شعر المُثَقِّب العَبْديّ على (أبوى) ربما كان في موضع آخر يقال له: (أبوى) أو أنه كان يتصور في ذهنه عن حال كانت لأبوى قديمة لأنه هو من شعراء الجاهلية القدماء، واذا كان يتحدث عن شيء في ذهنه متقدم على زمنه فذلك يكون أعرق في القدم. قال المثقب العَبْدي:

ألا مَنْ مُـبـلـغ عَـدْوان عني   وما يُغْني التَّوَعُّدُ منْ بَعيد
فإنك لـو رايت رجال (أَبْوَىٰ)   غـداةَ تسربـلـوا حَـلَقَ الحديـد
إذاً لظـنـنت جِنَّة ذي عَرين   وآسـاد الـعُـرَيـفـة في صعـيد

فذكر هنا لقدم زمنه آساد العريفة: جمع أسد.

على أن الذي أرجحه أن شعره هذا في مكان آخر غير أبوى التي أصبحت تسمى في

صدر الإسلام القريتين وفي هذا العهد القريّة والعبارية .

وقيل : قال رجل من بني سليم ، وسأله الحَجّاجُ عن المطر فقال : أصابتنا سحائب ثلاث : سحابة بِحَوْران[٣٧] بقَطْر صغار وقَطْر كبار فكان الصِغَارُ للكبار لُحْمَةً ، ثم أصابتنا الثانية بسُوَاء فَلَبَّدَت الدِّماث ودَحَضَت العَزاز وصدعت الكمأة عن أماكنها . ثم أصابتّنا الثالثة (بالقريتين) فملأت الإخاذ ، وأفْعَمَتْ كل واد ، وأقبلنا في ماء يَجرُّ الضَّبُعُ ، ويستخرجها من وجارها[٣٨] .

وكانت القريتان توصفان بالتمدن والظلال ويوصف مَنْ يسكنهما بأنه حَضَرِيٌّ وليس بَدَوِيّاً كما قال الفرزدق في هجاء جرير :

فأسأل فإنك من كليب والتمس ... بالعسكرين بقية الأظلال

قال أبو عبيدة : قوله والتمس بالعسكرين يعني القريتين قريتي ابن عامر ، وفيهما سوق وتمر ونبَّاذُون . قال : وإنما يرميه بانَّ له منزلاً في القريتين ، وانه ليس بِبَدوي[٤٠] . أقول : وقوله بالعسكرين يريد العسكرة إحدى القريتين والأخرى ، تغليبا لاسم العسكره .

ومن الشعر في القريتين قول جرير[٤١] :

تغشى النباج بنوقيس بن حنظلة ... والقريتين بسُرَّاق ونُزَّال

والدليل على ذلك أنه قرن ذكرهما بذكر النباج القريب منهما والذي يسمى الآن « الأسياح » وقد تقدم توجيه هذا البيت مع بيتين آخرين في رسم (القاع الأبيض) ، وقال جرير[٤٢] :

لَعَلَّكَ مَحْزُون لِعرفان منزلٍ ... مُحِيل بوادي القريتين منازله
فإني ولو لام العواذل مولعٌ ... بِحُبِّ الغضا مِنْ حُبِّ مَنْ لا يُزايِلُهْ

ونستدل على أنه يريد قريتي القصيم بذكره للوادي الذي هو جانب من وادي الرمة . وذكره للغضا الذي يكثر في الرمال التي تقع قريبة من القريتين ، وبخاصة في الحبل الرملي الذي يقع الى الشرق من القرية والذي يسمى الآن « لوى » كما سيأتي ذكره في حرف اللام .

وقد ذكر الادريسي (القريتين) في كتابه «نزهة المشتاق» في معرض كلامه على اليمامة وذكر أنه كان فيهما حِصْنٌ وان عندهما يجتمع الطريق ويريد طريق البصرة الى مكة وطريق اليمامة قال :

ومن اليمامة الى مكة طريق وهو من اليمامة الى العرض مرحلة : ثم الى الصفراء مرحلة ثم الى صدا مرحلة، ثم الى حصن (القريتين) الذي في طريق البصرة مرحلة و(بالقريتين) تجتمع الطرق ومن (القريتين) الى رامة مرحلة[٤٣] .

وهذا يدل على أنهما كانتا محطة هامة من محطات الطريق حتى أنَّ مَنْ كان من أهل نجد نازلاً منها جنوباً فإنه يذهب اليها وان لم يكونا على القصد بالنسبة الى ما يريد أن يذهب اليه من المواضع وذلك لكي ينطلق منهما مع طريق واضح المعالم ، بين المسالك فيه الأعلام والأميال ، وفيه البرك والمياه ، وسوف ننقل بعد ذلك عبارات لبعض المتقدمين تدل على أهميتها من هذه الناحية .

والى ذلك كانت القريتان في القديم مكاناً واضحاً معروفاً حتى كانت بعض البلدان والمواضع تعرّف بقربها أو بعدها منها أو بالنسبة الى الاتجاه لها .

ومن ذلك ما قاله الأصمعي : سمعت الأعراب تقول : إذا خلَّفْتَ عجلزاً مُصْعِداً فقد أنجدْت . وعجلز فوق القريتين[٤٤] .

أقول : عجلز : هو الزريب كما سبق أن أوضحت رأيي هذا في رسم الزريب في حرف الزاي ، ورمال عجلز تشمل رمال الغميس الذي عن مجرى وادي الرمة يميناً وشمالاً قبل الشبيبيَّة في البدائع .

بل ان عنيزة نفسها التي أصبحت المدينة الثانية في القصيم قد كان الأقدمون يعرفون موضعها بالقريتين ، وذلك — بطبيعة الحال — قبل أن تصبح قرية ، وكانت آنذاك حسبما نفهمه من النصوص روضة فيها ماء استخرجه محمد بن سليمان بن علي بن عبدالله ابن عباس .

قال ابن السكّيت : الخُرْج بعنيزة خلف (القريتين) في طريق البصرة الى مكة[٤٥] .

و(رامة) المشهورة عُرِّفَ مكانها بقربه من (القريتين) قال عمارة بن عقيل : رامة وراء القريتين في طريق البصرة الى مكة[٤٦] .

أقول : يريد بذلك لمن يكون مقيماً بالعراق ، وعاقل عَرَّفه عمارة بن عقيل نفسه بأنه وراء القريتين[٤٧] .

وقال ياقوت : الرمادة : بلدة من وراء القريتين على طريق البصرة — يقصد الى مكة — وهو نصف الطريق من البصرة الى مكة .

وقال السَّكوني : من خرج من القريتين متياسرا ، يعني القريتين اللتين عند النباج ، فأول منزل يلقاه الفتي[٤٨] وأهله بنو ضبة[٤٩] ، وقال ابن شبيب : نجد من أوطاس الى القريتين .[٥٠]

وأنشد الهجري للغنوي :

تأبَّدت العجالز من رياح ... واقفرت المدافع من خزاق
واقفر من بني كعب جُبَاحٌ ... فذو غشث الى وادي العناق
وكانوا يدفعون النوم عني ... فيقصر، وهو مشدود الخناق

وقال : العجالز التي ذكر : أراد عجلزاً ، وهو ماء في الطريق — يريد طريق الحاج البصري الى مكة — بينه وبين القريتين تسعة أميال ، والى جنبه ماء يقال له رحبة[٥١] .

ونقل الحربي عن يحيى بن جابر الكلابي قال : اذا قصدت الى اليمامة فأول منبر إذا خرجت من (القريتين) فأشيٌّ وأهله بنوعدي[٥٢] .

هكذا أورده الحربي مجملاً ولم يوضح البلد الذي يخرج منه وان كان ظاهره أنه يريد بذلك من خرج من البصرة فإنه يسير مع الطريق السلطاني طريق الحاج حتى يصل الى القريتين ثم من القريتين يذهب الى أشي في سدير وذلك إذا أراد أن يتجنب طريق البرية القفراء الذي ينطلق من البصرة الى اليمامة .

ويجوز أن يكون المراد بذلك هو الخارج من النباج (الأسياح في الوقت الحاضر) وذلك ما صَرَّح به السَّكُوني فيما نقله عنه ياقوت قال :

مَنْ أراد اليمامة من النباج سار الى (القريتين) ثم خرج منها الى أُشيّ وهي لِعَدي الرِّباب الخ .

وقال صاحب المناسك أيضاً :

ولليمامة طريقان الى مكة : طريق من (القريتين) لا يأخذ فيه على مرأة(٥٣) ، وطريق على مرأة فإذا خرجت من مرأة ، فأول منبر يلقاك منير بعقرباء الخ(٥٤) .

وقال السَّكونيُّ أيضاً : من خرج من (القريتين) متياسراً يعني (القريتين) اللتين عند النباج فأول منزل يلقاه الفَقْيُ ، وأهله بنوضبة ، ثم السحيمية(٥٥) .

وذكر الإمام نصر الاسكندري (مُبيناً) وهو ماء من عظام مياه بني ضَبَّة لبني السِّيد منهم فقال : إنه بين (القريتين) وفيد ، وذكر ماء لبني نُمَير وراء (القريتين) بنصف مرحلة ملتقى الرمل والجلد(٥٦) .

وقال نصر أيضاً : جَرَدُ القصيم : من (القريتين) على مرحلة ، وهما دون رامة بمرحلة ، ثم إمَّرة الحمى ، ثم طِخْفة ، ثم ضرية(٥٧) .

وقال الاصمعي :

وللبصرة الى مكة طريقان : أما أحدهما فالصحراء عن يسارك ، وانت مصعد الى مكة ليالٍ ، فإذا ارتفعت فخرجت من فَلْج فانت في الرمل ، فإذا جاوزت النباج و(القريتين) فقد انجدت(٥٨) .

وقال ابن شبيب : ذات عرق من الغور ، والغور من ذات عرق الى أوطاس . وأوطاس على نفس الطريق ، ونجد من أوطاس الى (القريتين)(٥٩) .

إيضـاح :

هناك موضع آخر في حائل اسمه (القريَّة) بصيغة التصغير على لفظ هذه التي في القصيم ، ولكنه ليس بها بل هو بعيد عنها ، وقد نَوَّهتُ به منعاً للاشتباه . وهو الذي ذكره امرؤ القيس مقروناً بذكر حائل في قوله :

تـبيت لَبُوني (بالقُرَيَّة) أُمَّـنا وأسرحـها غِبّـاً بـاكناف حـائل

قال البكري بعد أن أنشد هذا البيت : القُرَيَّة : بجبلي طيء معروفة[٦٠] وقال ابن الكلبي : (القُرَيَّة) تصغير قرية : مكان في جبَلي طيء مشهور قال امرؤ القيس :

أبت أجأُ أنْ تُسلِم العامَ ربَّها فَمَنْ شاء فلينهض لها مِنْ مُقاتل
تبيت لَبُوني بالقُرَيَّة أُمَّناً وأسْرَحها غِبّاً بأكناف حائل
بنوثُعَلٍ جيرانها وحُماتُها وتُمْنَعُ من أبطال سعدونائل[٦١]

وكان أوس بن سعد قال للنعمان بن المنذر أنا أُدْخِلُكَ بين جبلي طيء حتى يدين لك أهلها ، فبلغ ذلك حاتماً الطائي فقال :

ولقد بغى بجلاد أوْسٍ قومَهُ ذُلاًّ وقد علمت بذلك سِنْبِسُ[٦٢]
حاشا بني عمرو بن سِنْبِس، إنهم منعوا ذمار أبيهُمُ أنْ يَدْنَسُوا
وتواعدوا وِرْدَ (القُرَيَّة) غُدْوَة وحلفت بالله العزيز لَنَحبِسُ
والله يعلم لو أتى بسُلافهم طرف الجريض لظل يَوْمٌ مُشْكِسُ

قال الشيخ علي الصالح : القُرَيَّة : معروفة جنوباً عن حائل[٦٣] .

فهذه القرية في شمال نجد الى الشمال من (قُرَيَّة) القصيم التي كان اسمها في القديم قرية ابن عامر — بالتكبير — وهناك قُرَيَّةٌ أخرى تقع جنوباً من القصيم في اليمامة وهي التي تسمى (سدوس) في الوقت الحاضر.

قال محبوب بن أبي العَشَنَّط النهشلي[٦٤] :

لَرَوْضة من رياض الحَزْن أوْ طَرَفٌ
من (القُرَيَّة) جَرْدٌ غيرُ محروثِ
لِلنُّوْر فيه إذا مَجَّ النَّدَىٰ أَرَجٌ
يشفي الصداع ويشفي كلَّ مَمْغُوثِ
أملا وأحلى لعيني إنْ مررتُ به
من كرخ بغداد ذي الرمان والتوث[٦٥]

الليل نصفان: نِصْفٌ للهموم، فما أقصى الرُّقادَ، ونصف للبراغيث

أبيت حين تُسامِيني أوائلها   أنزو واخلط تسبيحاً بتغويثِ

هذا في نجد وهناك قُرَيَّةٌ أخرى كانت في الجانب الغربي من بغداد ، وقُرَيَّةٌ أخرى تحت مدينة واسط في العراق(٦٦) .

أما القريتان بلفظ التثنية وهو الاسم الذي كان موجوداً للقريتين التاريخيتين اللتين هما قريتا ابن عامر في القصيم فهناك مما يطابق اسمها وهما مكة والطائف قال الله تعالى : (وقالوا لولا نُزِّل هذا القرآنُ على رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَين عظيمٍ) قال المفسرون : هما مكة والطائف .

وقد وهم ياقوت رحمه الله حين ذكر أنهما المرادتان بشعر مَعْن بن أَوْس المُزَنى إذْ قال : واياها أراد معن بن أوس بقوله :

لها مَوْرِدٌ بالقريتين ومصدر   لِفَوْتٍ فلاة لا تزال تُنازله(٦٧)

ذلك بأن الشعر يدل على أن المراد به القريتان اللتان في القصيم لأن الشاعر ذكر المورد والمصدر والفلاة وهي بالقريتين اللتين في القصيم أشبه منها بالقريتين اللتين هما مكة والطائف .

إضافة الى أن سياق القصيدة التي منها هذا البيت في ديوان معن بن أوس يدل على ذلك وهو قوله(٦٨) :

تجرُّ بروضات الإشاءة أرْحُلاً   رمتها أنابيش السَّفَا ونواصله
أَبَتْ إبلي ماء الحياض بأرضها   وما شنُّها من جار سوء تزايله
لها مورد (بالقريتين) ومَصْدَرٌ   لِفَوْت فلاةٍ لا تزال تنازله
عليه شَرِبٌ لَيِّنٌ وادعُ العصا   يُساجلها جَمَّاتِه وتُساجِلُهْ

فذكر أن إبله قد أَبَتْ ماء الحياض بأرضها وهو من بني مزينة ممن سكناهم في الحجاز جنوباً من المدينة المنورة كما هو معروف ، فكان لإبله مورد الى الماء في (القريتين) ومصدر منه .

وهناك قريتان في اليمامة وهما قُرَّان وملهم وهما كانتا لبني سحيم وتسمى قُرَّان في

الوقت الحاضر القرينة أمامَلْهَم فهي باقية على تسميتها القديمة[٦٩] .

و(القريتان) قرية كبيرة من أعمال حمص في طريق البرية .. واياها عنىٰ ابن قيس الرُّقيَّات بقوله :

وَسَرَتْ بغلتي اليك من الشا م وحَوْرانُ دونها والـعَويـرُ
وسواءٌ و(قـريتـان) وعين التَّمْـر خَـرْق يـكـلُّ فـيـه الـبـعير
فـاستقت من سجاله بسجالٍ لـيس فيها مَنٌّ ولا تـكـدير

الرياض محمد العبودي

الحـواشي :

(١) كلٌّ خبر الخ ، أي : لقد علم الجميع ما فعلناه في الضحى جهاراً بيِّنا .
(٢) سنذكر «نفود لوى» في حرف اللام تحت رسم «لوى» .
(٤) بلاد العرب ص ٣٣٩ — ٣٤٠ .
(٥) سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ١٤ .
(٦) أنظر عن القطامي الأغاني للأصبهاني الجزء الرابع (طبعة دار الكتب) .
(٧) المفضليات ص ٢٦٥ — ٢٧٠ والشرح منه .
(٨) المنهال هو المنهال بن عصمة الرياحي كفن مالك بن نويرة في ثوبيه .
(٩) الكنيف : حظيرة من شجر تجعل للإبل تقيها البرد والمرفع : المرفوع .
(١٠) السنا : ضوء البرق . والرباب : السحاب الذي يكون دون السحاب ، والجون هنا : الأسود
(١١) الذِّهاب : جمه ذهبة بكسر الذال وهي المطرة الغزيرة والغوادي : جمع غادية وهي السحب التي تغدو بالمطر أي في وقت الغداة . والمدجنات التي تغطي السماء بالسحاب . وامرع : أخصب .
(١٢) الاسدام : جمع سدم وهو الماء المندفن يتغير من طول الوقت .
(١٣) ياقوت : رسم «شارع» وقد أورد أبيات متمم بن نويرة فيه وظاهر صنيعه أنه يريد أنها في شارع الذي في الدهنا وذلك غير مراد كما بينا من سياق القصيدة الى عدم وجود ضلفع والواديين — تثنية وادي في الدهنا — كما أن الأسدام لا تكون في الدهناء .
(١٤) سيأتي الكلام على بيت زهير هذا مع الأبيات التي قبله وبعده .
(١٥) المناسك ص ٥٨٨ — ٥٨٩ .
(١٦) على مثال الوعل .
(١٧) المناسك ص ٦٣١ — ٦٣٢ .

(١٨) المناسك ص ٦١٢ وعلق الأستاذ حمد الجاسر على ذلك بقوله : الكلمة في الأصل غير منقطة الحروف وربما كانت حميضة والقريتان في ذلك العهد لآل سليمان بن عبدالله بن عباس وآل كريز وكلهم من قريش ويخالطهم غيرهم .

(١٩) أبو علي الهجري وأبحاثه ص ٣٣٣ — ٣٣٤ وكانت كلمة القريتين فيه مكتوبة (الفريش) وهو تطبيع أو خطأ من الناسخ لا شك فيه .

(٢٠) ياقوت : رسم «ذات أبواب» . وشرح ديوان زهير ص ١٥٠ — ١٥١ . والقصة في الكامل للمبرد ص ٧٣٢ .

(٢١) دانقان : تثنية دانق وهو سدس الدرهم من الفضة في المقدار .

(٢٢) الكامل ص ٧٣١ .

(٢٣) ديوانه ص ١٤٦ .

(٢٤) الأرواح : الرياح .

(٢٥) راجع عن الغمرين معجم شمال المملكة للأستاذ حمد الجاسر ص ١٠٠٤ .

(٢٦) راجع عن (برك) معجم اليمامة .

(٢٧) راجع عن «خيم» معجم العالية .

(٢٨) راجع عن الهدايم معجم شمال المملكة ص ١٣٨٤ .

(٢٩) راجع عنه أيضاً معجم شمال المملكة ص ١١٦٤ .

(٣٠) ديوان زهير ص ١٤٦ — ١٥٢ .

(٣١) ماثلة : أي : لاطئة لا يرى لها شخص . والأرِم : الذي ينصب الأرَم وهو العلم من الحجارة ونحوها أو ما يسمى في العامية النجدية (الرجم) .

(٣٢) أم : قريب .

(٣٣) مقوية : خالية والسر : هكذا في الديوان وأرى صوابه : (سرّاء) .

(٣٤) ظلم : جبل في أعلى عالية نجد لا يزال معروفاً باسمه القديم راجع عنه معجم العالية .

(٣٥) رسم «أبوى»

(٣٦) الأمكنة ق ١/٤ .

(٣٧) حوران — بالفتح — : ماء بنجد قال نصر : أظنه بين اليمامة ومكة . وهو غير حوران الشام . أقول : وفيه يقول حاجب بن حبيب الأسدي من قصيدة في المفضليات ص ٣٧١) :

ينتاب ماء قطيّاتٍ فأخلفه ... وكان مورده ماء بحوران

(٣٨) سواء : وادٍ بالحجاز .

(٣٩) الدماث : السهول من الأرض . الأخاذ : جمع أخذ وهو ما حفرته في الأرض كهيئة الحوض . الوجار : جحر الضبع . وهذا القول في البيان والتبيين ج ٢ ص ١٦٤ — ١٦٥ والشرح من حاشيته .

(٤٠) النقائض ص ٢٨٤ .

(٤١) ديوانه ص ٤٢٤ .

(٤٢) ديوانه ص ٤٧٨ .

(٤٣) مجلة العرب م ٥ ص ٣١٠ .

(٤٤) ياقوت : رسم «نجد»

(٤٥) المناسك حاشية ص ٥٨٩ .
(٤٦) البكري : رسم : «رامة»
(٤٧) البكري : رسم : «عاقل»
(٤٨) الفقي : هو وادي سدير في الوقت الحاضر ، راجع معجم اليمامة ج ٢ ص ٢٥٦ .
(٤٩) ياقوت : رسم : «الفقي»
(٥٠) ياقوت رسم «عرق»
(٥١) أبو علي الهجري ص ٣٦٧ .
(٥٢) المناسك ص ٦١٥ .
(٥٣) مرأة هي التي تعرف الآن باسم (مرات) في منطقة الوشم راجع معجم اليمامة ج ٢ ص ٣٥٠ .
(٥٤) المناسك ص ٦١٦ .
(٥٥) ياقوت : «رسم» الفقي» ج ٤ ص ٢٦٩ (بيروت) .
(٥٦) بلاد العرب ص ٢٨٧ وحاشيتها .
(٥٧) بلاد العرب حاشية ص ٢٨٨ .
(٥٨) بلاد العرب ص ٣٣٨ .
(٥٩) ياقوت : رسم «العرق»
(٦٠) البكري : رسم «حائل» ص ٤١٥
(٦١) ياقوت : رسم «القُرَيَّة»
(٦٢) سنبس : بطن من قبيلة طيىء .
(٦٣) معجم شمال المملكة للأستاذ حمد الجاسر ص ١٠٩٢ .
(٦٤) الحيوان ج ٥ ص ٣٩٦ .
(٦٥) ممغوث : محموم والتوث هو التُّوت — بالتاء .
(٦٦) ذكرهما ياقوت تحت رسم «القُرَيَّة»
(٦٧) رسم «القريتان»
(٦٨) ديوان معن بن أوس ص ١١٢ .
(٦٩) والقريتان أيضاً : في المنطقة الشرقية ، يعرفان الآن باسم (قَرية العُليَا) و(قرية السُّفلى) واسمها القديم (النِّباج) و(ثَيْتَل) على ما حققته في القسم المتعلق بالمنطقة الشرقية من أقسام «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» .

وقد وردت تسميتها بالقريتين في الشعر القديم : قال الفَرَزْدق يهجو بني نَهْشل — وبلادهم في نواحي القريتين :

إذا حضرت يوماً (لَصَاف) فإنَّه ... سَيَبْدُو عَلَيْه فِسْقُها ومُجُونُها
إذا نَهْشَلٌ بالقَرْيَتَيْن تَرَوَّحَتْ ... مِلاَءً من الزَّادِ الخَبِيثِ بُطُونُها
فَرُبَّ كَعابٍ مِنْكُمُ آلَ نَهْشَلٍ ... يُشَارُ بأعْلَى القَرْيَتين دَفِيْنُها

ولَصَافِ هي اللُّصافة الواقعة على مقربة من قَرْيَة العُلْيَا ، غربَها .

وجاء في «شرح ديوان ابن مُقَرَّب» الطبعة الهندية الأولى — ص ٣٢١ — من قصيدة نظمها سنة ٦٠٤

رحلات

[صدر لصاحب هذه المجلة كتاب «رحلات» ، للبحث عن التراث ، من منشورات (الجمعية العربية السعودية للفنون والثقافة) .

وقد استعرضه الأستاذ الأديب المعروف عبد الفتاح أبو مَدْيَن قراءةً هذا الكتاب وإبداء ملاحظاتٍ صائبة في مجلة «إقرأ» عدد ٢٨٥ — ١١ شوال ١٤٠٠ هـ وحبّذا لو أمْعَنَ القارىءُ الكريم النَّظَرَ ، أكثر وأكثر ، فالمؤلف حين يُجِيْدُ قراءة ما كتب يَقْرَأُ بقلبه ، فَيَنْبُو نَظَرُهُ عما وقع في كتابه من هفواتٍ ، وهي كثيرة في هذا الكتاب ، منها ما نبَّه إليه الأستاذ عبد الفتاح ، وكثير منها مما تَغَاضَى عَنْهُ ومن ذلك — ص — ٢٣١ (أما هذه المرّة فهي ابنتاي سَلْوَا ومنَا ، وَهُنَّ يُحْسِنَّ التَّخَاطُبَ بالإنجليزية والفرنسية) والصواب (وهُمَا يُحْسِنَان) أما كتابة الاسمين بالألف فقد قصدتها وأشرت في الحاشية إلى ذلك ، ولم تُثِر انْتِبَاهَ أحَدٍ منَ القُرَّاء .

ومن الأخطاء الشنيعة عدم انطباق كثير من أرقام الصفحات على موادّ الفهارس ، إذ بعد وضع الفهارس حدث من قبل المطبعة توسيع في الصفحات فزادت فتغيرت مواضع المواد .

وأكتفي بعرض ما كتب الصديق الكريم الأستاذ عبد الفتاح لتحصل الاستفادة به لأكثر عدد من القراء] .

قضيت وقتا ممتعا .. في قراءة «رحلات» أستاذنا الشيخ حمد الجاسر .. القسم الأول ، وانك لتشم عبق التراث ، وأنت تقرأ .. ما تخطه يمين بحاثتنا ، وتحيا معه ، أو تعيش .. بين المخطوطات ، في دهاليز ، يغطيها الغبار ، قاتمة ، معتمة ، صعبة المعايشة ، مضنية المراجعة ، كثيرة المتاعب ، يلاقي المرء .. الذي يراجع المكتبات ، وخاصة أقسام المخطوطات .. صنوفا من الناس ، فيهم المهذب ، وكثير منهم الصعب المراس ، لعل الصنف الثاني .. يحس بمسئوليته الوظيفية ، إنه يغار على هذه الكنوز النادرة ، ولو كان الأمر بيده .. لما ترك أحدا يقرب منها ، أو يمسها ، لتبقى حيث هي ، وكما هي في أمان من يد البشر ، غير أن البلى يدركها .. في تخزينها ، وتقاوم الزمن عليها ، وتلك طبيعة الحياة ، فكل شيء هالك إلا وجه الله .

أقول لِركبٍ مِنْ عُقَيْلٍ لَقِيتُهُ وأعناقُها لِلْقَرْيَتَين تُمَالُ

القريتان : مَوْضِعان يقال لاحدهما القرية العُليا ، والأخرى السُّفلى .

إذا جِئْتُمُ أرْضَ (الحَسَاء) وقَابَلَتْ قِبَابٌ بِضَاحِيَ بَرِّهَا وَتِلالُ

فَأَرْخُوا لَهَا فَضْلَ الأزِمَّةِ سَاعَةً وَإنْ كَانَ أيْنُ مَسَّهَا وكِلاَلُ

رحلات

[صدر لصاحب هذه المجلة كتاب «رحلات» ، للبحث عن التراث ، من منشورات (الجمعية العربية السعودية للفنون والثقافة) .

وقد استعرضه الأستاذ الأديب المعروف عبد الفتاح أبو مَدْيَن قراءةً هذا الكتاب وإبداء ملاحظاتٍ صائبة في مجلة «إقرأ» عدد ٢٨٥ — ١١ شوال ١٤٠٠ هـ وحبَّذا لو أَمْعَنَ القارىءُ الكريم النَّظَرَ ، أكثر وأكثر ، فالمؤلف حين يُجِيْدُ قراءة ما كتب يَقْرَأُ بقلبه ، فَيَنْبُو نَظَرُهُ عما وقع في كتابه من هفواتٍ ، وهي كثيرة في هذا الكتاب ، منها ما نبَّه إليه الأستاذ عبد الفتاح ، وكثير منها مما تَغَاضَى عَنْهُ ومن ذلك — ص — ٢٣١ (أما هذه المرَّة فهي ابنتاي سَلْوَا ومَنَا ، وَهُنَّ يُحْسِنَّ التَّخَاطُبَ بالإنجليزية والفرنسية) والصواب (وهُمَا يُحْسِنَان) أما كتابة الاسمين بالألف فقد قصدتها وأشرت في الحاشية إلى ذلك ، ولم تُثِرِ انْتِبَاهَ أحَدٍ مِنَ القُرَّاء .

ومن الأخطاء الشنيعة عدم انطباق كثير من أرقام الصفحات على موادّ الفهارس ، إذ بعد وضع الفهارس حدث من قبل المطبعة توسيع في الصفحات فزادت فتغيرت مواضع المواد .

وأكتفي بعرض ما كتب الصديق الكريم الأستاذ عبد الفتاح لتحصل الاستفادة به لأكثر عدد من القراء] .

قضيت وقتا ممتعا .. في قراءة «رحلات» أستاذنا الشيخ حمد الجاسر .. القسم الأول ، وانك لتشم عبق التراث ، وأنت تقرأ .. ما تخطه يمين بحاثتنا ، وتحيا معه ، أو تعيش .. بين المخطوطات ، في دهاليز ، يغطيها الغبار ، قاتمة ، معتمة ، صعبة المعايشة ، مضنية المراجعة ، كثيرة المتاعب ، يلاقي المرء .. الذي يراجع المكتبات ، وخاصة أقسام المخطوطات .. صنوفا من الناس ، فيهم المهذب ، وكثير منهم الصعب المراس ، لعل الصنف الثاني .. يحس بمسئوليته الوظيفية ، إنه يغار على هذه الكنوز النادرة ، ولو كان الأمر بيده .. لما ترك أحدا يقرب منها ، أو يمسها ، لتبقى حيث هي ، وكما هي في أمان من يد البشر ، غير أن البلى يدركها .. في تخزينها ، وتقاوم الزمن عليها ، وتلك طبيعة الحياة ، فكل شيء هالك إلا وجه الله .

أقول لِرَكْبٍ مِنْ عُقَيْلٍ لَقِيْتُهُ ... وأعناقُهَا لِلْقَرْيَتَيْنِ تُمَالُ

القريتان : مَوْضِعان يقال لاحدهما القرية العُليا ، والأخرى السُّفلى .

إذا جِئْتُمُ أرْضَ (الْحَسَاء) وقَابَلَتْ ... قِبَابٌ بِضَاحِيَ بَرِّهَا وَتلالُ

فَأَرْخُو لَهَا فَضْلَ الأَزِمَّةِ سَاعَةً ... وَإِنْ كَانَ أَيْنُ مَسَّهَا وكِلاَلُ

إن الجهد ، والعناء .. اللذين يبذلان في مراجعة المخطوطات .. لا يعرفها إلا من عاش هذه التجربة .. ولن يقف الأمر .. عند التعامل ، وصور نماذج البشر القيمين على هذه المكتبات ، وأخلاق بعضهم الصعبة ، إلى حد الشذوذ ، ولكن العناء الآخر في صعوبة .. قراءة المخطوطات ، من رداءة الخطوط .. التي كتبت بها ، والطمس الذي يلحق بعض كلماتها ، وصفحاتها ، والتمزق .. الذي يبترها ، وعوامل البلل .. الذي يخفي حروفها ، أو تقاوم الزمن ، ورداءة المداد ، والتزوير ، زيادة أو نقصاً ، وكذلك ما يتعلق بتواريخ نسخها ، والتحريف .. في أسماء أصحاب هذه المخطوطات ، واللبس الذي يقع فيها ، وأخطاء الفهارس ، وأنظمة المكتبات ، في السماح بالتصوير وعدمه ، وعدم إحضار أكثر من ثلاثة كتب للمطالعة في فترة واحدة ، وأمر الحصول على تصريح « بطاقة » بالدخول .. لهذه المكتبات ، بالإضافة إلى عامل اللغة .. في المكتبات التي تقع في البلاد الأوروبية ، أو غيرها ، من البلاد الأعجمية ، وسبل المواصلات .. وصولاً إلى المكتبات ، إنها أمور لا يقوى عليها إلا أولو العزم في الصبر. كل هذا وغيره ، يعيشه المرء .. الذي لم يتعود أن يرتاد هذه المكتبات ، مع كتاب شيخنا الجاسر ، في رحلاته ، إلى بعض البلاد العربية ، والأوروبية .



بدء الرحلات :

هذه الرحلة ، أو الرحلات ، بدأت من القاهرة ، أو بيروت ، القاهرة ، في شهر رمضان ١٣٩٢ هـ . ثم إلى الجزائر ، والمغرب ، وتونس ، ثم إلى أوروبا . والمطلع على هذه الرحلات ، يصادف في وسط أو الثلث الأخير من الكتاب ، أطرافاً من الرحلات ، حدثت قبل هذا التاريخ .. ببضع عشرة سنة ، أي أن تاريخها يرجع إلى عام ١٣٨٠ هـ مثلاً ، ومعنى هذا أن أستاذنا الجاسر.. لم يرتب رحلاته ، وهو يهيئها للنشر ، حسب أقدمية تواريخها وربما سنقرأ في القسم الثاني أو الثالث .. من هذه الرحلات ، تواريخ أقدم ، قد ترجع إلى ثلث أو نصف قرن ، خلال إقامة وتنقل شيخنا .. في سلك الوظيفة والدراسة ، بين مكة ، والطائف وينبع ، ورحلاته إلى شمال وجنوب الجزيرة .

ولا حرج في تقديم وتأخير نشر الرحلات ، وإن كنت أوثر .. أن يكون ترتيبها .. بين

صفحات ما ينشر وفق التسلسل التاريخي في حدوثها ، فذلك أكثر انضباطاً ، وأجدى للمؤلف والقارىء .. معا ، لأن في تسلسل هذا الترتيب ، يمضي القارىء .. مع الكاتب ، في تتبع تاريخي مرحلي ، هذه مجرد ملاحظة ، لا تأثير لها ، على المحتوى مطلقاً ، فالمحتوى هو الجوهر ، والأساس ، ولا يستحق أن يقال فيه ، إلا أنه جميل ، وجيد ، ذلك أنه صور وانطباعات واقعة ، وصاحبها .. رجل يمضي في تخصصه ، ويطلع على ما يعنيه .

ثم إن شيخنا الجاسر ، له من اسمه نصيب كبير ، ذلك أن بعض رحلاته ، فيها مغامرات ، ولا سيما الأوروبية ، ولا يقدم على ذلك .. إلا جسور .

وقد أحسنت جمعية الثقافة والفنون ، حين طبعت هذا القسم من الرحلات ، وأرجو أن يتاح لها .. متابعة الشيخ في طبع بقية أقسام الرحلات ، ذلك أن هذه النماذج .. من الرحلات ، فيها ثقافة ، ومعرفة ، وبذل جهد ووقت .. في الوقوف عليها من النبع ، ثم قدمت في صحاف شهية ، في يسر ، لينال منها الجائع إلى المعرفة .. ما يجد فيها ، مما يبحث عنه ، أو ما يريد الوقوف عليه ، ولولا ذلك الجهد الكريم ، لما أمكن .. الوصول إلى هذه المعرفة ، في كنوز المكتبات .. المبعثرة في مختلف مدن العالم ، ودونها القيود ، والسدود .

مسلك .. الشيخ الجاسر :

الشيخ حمد الجاسر ، أشبه بزهاد المغاربة ، في زيه ، وتواضعه ، وأسلوب تعامله ، وتعارفه ، فهو نموذج محبب إلى النفس . ليس فيه كبر .. وصلف بعض من نعرف ، ولا غرورهم ، وتشبثهم بالتوافه .. والقشور ، والتعلق بخيوط العنكبوت ، ظناً منهم ، أن في ذلك مجداً ، وعلواً ، ورفعة ، ولكن فيما يتوهمون .. الخواء .. وهذا التمسك بالرخيص التافه ، من الأحلام الزائفة ، والجري وراء الشهرة المتراكمة ، الهشة ، واللهث ، وراء كلمة صغيرة تقال ، أو تكتب ، ورصها .. في قصور مبنية على الرياح ، على أنها فخار ، دليل الفراغ النفسي ، ولا أقول الفراغ العلمي ، لأن بعض من نعرف .. عندهم رصيد من المعرفة ، ولكنهم شوهوه ، بالرخيص ، والحقير من الأمور ، فلم

يحترموا أنفسهم ، ليحترمهم الآخرون ، حتى أن من يخاصم منهم يفجر ، وتلك علامة من علامات النفاق .. الذي يصوره الحديث النبوي الشريف ، في قوله صلى الله عليه وسلم «وإذا خاصم فجر» .

الشيخ الجاسر ، ينتقد ، ويجادل ، ولكنه سمح ، قبل ذلك وبعده . وآخرون ، عفا الله عنهم ، إذا خاصموا ، فلا ينتهي خصامهم ، عند انتهاء المسألة ، كتابة ، أو تعاملاً ، وإنما يطفقون .. يكيدون لك ، ويدسون عليك ، يريدونك ، أن تتحطم ، وأن يظلوا هم أوثانا .. في الساحة وحدهم ، لا يشاركهم أحد المجد الزائف ، والحياة الحقيرة الفانية . لا يعرفون إلى التسامح سبيلاً . فإما أن يؤلهوا ، وأما أن يحقدوا ، وتعمى أبصارهم بهذا الداء الوبيل .

واقرءوا معي هذه الجمل من رحلات الشيخ الجاسر ، وهي من آخر ص «٣١٤» وأوائل ص «٣١٥» وهو يتحدث عن الأستاذ «رودلف زلهايم» محقق كتاب ــ نور القبس ــ فيقول : «وقد جرى التعارف بيننا ، بعد أن نشرت كلمة عن ذلك الكتاب ــ مجلة العرب السنة الأولى ص ٤٥٢ ــ أوضحت فيها ملاحظات تتعلق به ، فكان هذا سبب التعارف ، والتواصل بيننا ، بينما كانت كتاباتي .. عن بعض المطبوعات ، التي يقوم بها ، بعض أساتذتنا وإخواننا من العرب .. سبباً للقطيعة ، ومدعاة للوقيعة أيضاً» .

هذا هو المحزن في الأمر . فالمستشرقون والغربيون ، والأمريكيون ، وغيرهم من أمم الأرض ، يقدرونك إذا دللتهم على أخطائهم ، كأنهم يطبقون الحديث النبوي الشريف : «رحم الله امرأً أهدى إلينا عيوبنا» . ونحن المسلمين ، نرفض هذا المسلك ، كأننا نرفض هذا التوجيه النبوي .

والأستاذ الجاسر ، يسلك منهج العلماء ، فلا يستنكف أن يقول : ذهبت إلى أستاذنا ، واتصلت بأساتذتنا ، وقال لي أستاذنا ، هذه صفة العلماء ، فلا يتكبرون ، ولا يقولون : قلنا ، وفعلنا ، وعلمنا ، وقيل فينا ، واحتفى بأثرنا ، وأشيد بقصيدتنا ، ومحاضرتنا ، وكتب عنا إلى غير ذلك من هذه النماذج المضحكة التي تشبه السراب ،

الذي يحسبه الظمآن ماءا ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً .

ملحوظات :

بدأت لي بعض الملحوظات ، وأحسبها نتيجة سرعة ، فلم يتح لأستاذنا الجاسر أن يراجع هذا القسم من الرحلات ، في نقاط محدودة ، قبل دفعه ، إلى المطبعة ، وأخرى .. أحسبها أخطاء مطبعية ، وكان ينبغي تجنبها ، أو عمل جدول بها في آخر الكتاب ، أسوة بالفهارس .. التي ألحقت به ، والفهارس عمل العلماء ، والمحققين ، والمدققين ، والنابهين .

أولى الملحوظات ، أن الأستاذ الجاسر ذكر في صفحة ٤٢ أن المسافة بين مطار الدار البيضاء والمدينة أي الدار البيضاء (٧٣) كم . وفي ص (٩٩) ، أن مطار النواصر ، وهو مطار الدار البيضاء ، يبعد عن المدينة (٢٤) كم .

الثانية : جاء في صفحة (٨٤) أن المسافة بين الرباط والدار البيضاء (٩٢) كم ، وفي صفحة ٤٢ أن المسافة بين المدينتين (٨٠) كم . وفي الصفحة نفسها (٩٢) ومن الدار البيضاء إلى الرباط ٢٤٣ كم ولعل صحة ذلك ومن الدار البيضاء إلى مراكش .

في صفحة ٩٢ كلمة البناء مكرورة في سطري (٩ و١٠) وإحداهما زائدة . وانظر ص ٣٠٢ وقبلها ٢٨٠ و٢٧٨ و٢٧٤ و٢٧٠ و٢٦٠ ، كم فيها من أخطاء مطبعية .

في صفحة (١٠٣) سطر (٧) ذكر اسم الأديب التونسي هكذا «محمد المطوي العروسي» ولكني قرأت في صفحة أخرى الاسم صحيحاً وهو «محمد العروسي المطوي» .

في السطر (٨) من ص (١١٠) كلمة سيده منقوطة ، وهي هاء مهملة .

واترك الأخطاء المطبعية في ص ١١٢ و١٣٧ و٢٣٥ و٢٣٧ و٢٤٨ و٢٥٥ واقف على ص «٢٦٠» عند الحديث عن العقد الثمين ، ومعالي الشيخ محمد سرور الصبان رحمه الله ، وقد فات على الشيخ أن يهمش ، بأن طبع الكتاب المذكور ، قد تم ، وتوفي الشيخ الصبان . وفي ص — ١٧٨ هذه الجملة «لهذا السوق العظيم» فهل يجوز لغة تذكير السوق ؟ . ونجد كلمة ربيع الثاني في ص ٢٠٧ و٢١١ بدل ربيع الآخر . وفي ٢٠٩ كلمة الصحفيين ، بدل الصحافيين .. وسقطت كلمة «إلا» في ص «٢٢٠» . في

معجم قبائل المملكة العربية السعودية

[صدر حديثاً كتاب «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» من جمع صاحب هذه المجلة ، في جُزْءين تبلغ صفحاتهما ٩٥٤ ونعرض للقارىء الكريم فاتحة ذالك الكتاب وخاتمته .

وغاية ما نرومه أن يتناول القُرّاء هذا الكتاب بالنَّقد والتصحيح والاستدراك لكي نتمكن من إخراجه في طبعته الثانية بصورة خير من صورته التي خرج بها في طبعته الأولى] .

المقدمــة :

هذا الْكِتَابُ صِنْوٌ لكتاب «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» الذي قُمْتُ بالدَّعْوَةِ لتأليفه ، وشاركت في ذلك ، حتى قارَبَ التَّمَامَ ، فَمُطَالِعُهُ بِحَاجَةٍ ــ حين

هذه الجملة ــ لا أعرف اللغة العربية . في ٢٢٥ ــ يعطيك بطاقة صغيرة مكتوب فوقها الجهة التي تقصدها .. والصحيح ــ الجهة التي بدأت منها ركوب القطار ..

وجاء اسم قاسم أمين ، بدل عبد الكريم قاسم ص ٢٨٨ . وما جاء في بعض ص ٢٩٠ مكرور سبق ذكره في أوائل الكتاب ، وكذلك الحال في ص «٣٠٤» ، فإن بعض ما فيها ، سبق الإتيان عليه .

أكتفي بهذه الوقفة ، وأترك الأخطاء المطبعية لمسئولية المشرف على طبع هذا الكتاب ، وهو عيب ، وأيسر الواجب ، أن يعمل بها جدول .. في آخر الكتاب ، ليعدلها مقتني الكتاب .

أؤكد أنني استمتعت بمصاحبة أستاذنا الكبير ، في رحلاته الممتعة المشوقة ، ومن أجمل ما فيها التجرد ، والصدق ، واليسر ، فأستاذنا أطلق نفسه على سجيتها ، وهو يسجل ملاحظاته في ترحاله إلى عالم المخطوطات .. والناس . أرجو الله أن يمد في عمره ، لنرى المزيد من ثمار جهده ، وبحثه ، وعلمه ، بآثارنا وجغرافيتنا ، وتاريخنا ، وأدبنا ، والله حسبي ونعم الوكيل

جــدة **عبد الفتاح أبو مَدْيَن**

معجم قبائل
المملكة العربية السعودية

[صدر حديثاً كتاب «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» من جمع صاحب هذه المجلة ، في جزءين تبلغ صفحاتها ٩٥٤ ونعرض للقارىء الكريم فاتحة ذالك الكتاب وخاتمته .

وغاية ما نرومه أن يتناول القرّاء هذا الكتاب بالنّقد والتصحيح والاستدراك لكي نتمكن من إخراجه في طبعته الثانية بصورة خير من صورته التي خرج بها في طبعته الأولى] .

المقدمــة :

هذا الْكِتَابُ صِنْوٌ لكتاب «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» الذي قُمْتُ بالدَّعْوَةِ لتأليفه ، وشاركت في ذلك ، حتى قارَبَ التَّمَامَ ، فَمُطَالِعُهُ بِحَاجَةٍ — حين

هذه الجملة — لا أعرف اللغة العربية . في ٢٢٥ — يعطيك بطاقة صغيرة مكتوب فوقها الجهة التي تقصدها .. والصحيح — الجهة التي بدأت منها ركوب القطار ..

وجاء اسم قاسم أمين ، بدل عبد الكريم قاسم ص ٢٨٨ . وما جاء في بعض ص ٢٩٠ مكرور سبق ذكره في أوائل الكتاب ، وكذلك الحال في ص «٣٠٤» ، فإن بعض ما فيها ، سبق الإتيان عليه .

أكتفي بهذه الوقفة ، وأترك الأخطاء المطبعية لمسئولية المشرف على طبع هذا الكتاب ، وهو عيب ، وأيسر الواجب ، أن يعمل بها جدول .. في آخر الكتاب ، ليعدلها مقتني الكتاب .

أؤكد أنني استمتعت بمصاحبة أستاذنا الكبير ، في رحلاته الممتعة المشوقة ، ومن أجمل ما فيها التجرد ، والصدق ، واليسر ، فأستاذنا أطلق نفسه على سجيتها ، وهو يسجل ملاحظاته في ترحاله إلى عالم المخطوطات .. والناس . أرجو الله أن يمد في عمره ، لنرى المزيد من ثمار جهده ، وبحثه ، وعلمه ، بآثارنا وجغرافيتنا ، وتاريخنا ، وأدبنا ، والله حسبي ونعم الوكيل

جــدة   **عبد الفتاح أبو مَدْيَن**

يَمُرُّ به اسم قبيلة أو فرع من فروعها — في تحديد موضع أَوْ موردٍ ، أَنْ يعرف صلة تلك القبيلة أو ذلك الفرع بالْقَبَائِل الأُخْرَى .

كما أَنَّ القاريء — أَيَّ قاريء كانَ — لا يجد بين يديه كتاباً شاملاً مُرَتباً على الحروف ، مُخَصَّصاً لقبائلِ هذه البلاد ، على كثرة المؤلفات في الموضوع .

وقد حَاوَلْتُ الْإِيْجَازَ بإيْرادِ المعلومات بِقَدْرِ الإِمْكَانِ ، فَلَمْ أَتَطَرَّقْ للبحث في الأُصُولِ ، ولا في إيراد مختلف الأقوال عن تفرّع القبائل الكبيرة ، ولم أتوسَّع في ضبط الأَسْماء ، بَل اكْتَفَيْتُ بإيراد الاسم مضبوطاً بالشَّكْلِ .

ولَمْ أَتَعَرَّضْ لِذِكْرِ القبائل القديمة التي ليس لها بقيّة في هذه البلاد ولا لذكر القبائل التي تحضرت كل فروعها ، ولم يبق لها بادية ، ولا لذكر القبائل التي نزحتْ عَنْها ، سوى فروع بعض قبائل بقِيَ أَصْلُهَا ونزحت تلك الفروع إلى العراق والشام وغيرهما ، ثم لما أنعم الله على هذه البلاد بِنِعْمَةِ الأَمْنِ والرَّخاء بَدَأَ كثير من تلك الفروع في الرجوع إلى مواطنه القديمة بعد غياب طويل ، فكثير من فروع عَنَزَة وشَمَّر والظَّفِير وغيرها من القبائل عادت إلى هذه البلاد ، وقد يَعُودُ غيرها ، ولهذا فقد حاولت ذكر بعض فروع تلك القبائل ، ممن هَاجَرَ ، ولا تزال مُغْرِياتُ العودة إلى هذه البلاد تَزداد بازْدِيَادِ ازْدِهَارِ الْعُمْرَانِ ، وتَوَفُّرِ أَسْبَابِ الْحَيَاةِ الرَّغِيدة .

وَمَع عِنَايَتي بدراسة أصول أنساب القبائل ، واتجاهي لتدوين بعض المعلومات عنها في مؤلف عن « أصول أنساب القبائل في المملكة العربية السعودية » وآخر عن « أصول الأُسَرِ المُتَحَضِّرة في نجد » إلَّا أنَّ عملي في هذا « المعجم » لا يَعْدُو الْجَمْعَ ، فهو مُنْحَصِرٌ في جمع الْمَعْلُومَاتِ وترتيبها مُسْتَقَاة من مؤلفاتٍ معروفة ، مذكورة في آخر الكتاب .

وقد تحاشيت ذكْرَ ما يُثير التساؤُلَ ، أو يُؤَثِّر في بعض النفوس بوسائل : منها : أنني أَدعو القبيلة بالاسم التي تريد أن تُسَمَّى به مثل بني رَشِيْدٍ فقد استعملته بدل (هُتَيمٍ) الذي لا تعترف به تلك القبيلة المنتشرة حول خَيْبر ، وفي سفوح الْحِرَار المحيطة به ، وفي جبلي أَبَانٍ . وإن كان اسم (هُتَيمٍ) يُطلق على غيرها بَلْ أَصْبَحَ من كلمات الشَّتْمِ .

ومنها : أَنَّ بعض نسابي القبائل يختلفون بإضافة هذا الفرع إلى تلك القبيلة ، فلم أُعِزْ

هذا الاختلاف اهتماماً ، ما دام ذلك الفرع ينتسب إلى تلك القبيلة ، بل سِرْتُ على قاعدة : (النَّاسُ مأْمونون على أنسابهم) .

وقد أستعمل كلمة (في) بدل (من) إذا كان لذلك الاختلاف أساس صحيح[1] .

ومنها : أنَّ حَصْرَ جميع فروع القبائل من الصعوبة بمكان ، ولهذا فحين أُوْرِدُ أسْماء الفروع أو الأفخاذ أُعبِّر بكلمة (مِنْهَا) فقد أكون تركت عن جَهْلٍ ما يعرفه غيري ، فكثير من أحوال عشائر جنوب المملكة لا يزال بحاجة إلى الدراسة والبحث . وقد أذكر الفخذ منسوباً إلى فرعين من فروع القبيلة وهذا ناشىء عن اختلاف الرواة في نسبته .

وتَحْسُنُ الإشارة إلى أُمور قد يحتاج إلى معرفتها الباحث في هذا الكتاب منها : أنَّ كثيراً من عشائر تِهَامَة وما يقرب منها من سفوح السَّرَوَاتِ قد تنتمي إلى الأماكن التي تعيش فيها أَوْ حَوْلَهَا ، وتُهْمِل انتماءها إلى الجِذْم الذي يربطها بأَصْل معروف ، فتشتهر بانتسابها إلى الموضع أكثر من اشتهارها بانتسابها إلى الأصل الذي يربطها بأحد الأصول المعروفة ، وهذا معروف منذ القدم ، مثل (بارق) و(غسّان) ولهذا فليس أمام من يُعْنى بتدوين أحوال العشائر ـــ ممن يَجْهل الجِذْمَ الذي تنتمي إليه ـــ سوى ذكر الموضع الذي تحلُّه ، وهذا ما فَعلته ، فذكرت عشائر تهامة بأسماء بلادها مثل (بَيْش) و(جازان) و(صَبْيَا) و(ضَمَد) و(فَيْفَا) و(المِخْلَافَ) و(الْمَوْسَّم) وغيرها ولا شَكَّ أن كثيراً ممن ذكرت ذات أُصول معروفة ـــ كغيرها من القبائل .

ومنها أن القبائل التي تقع بلادها جنوب المملكة في جهات نجران ، وفي بلاد عَسير ، وفي غربها في تهامة من مكة جنوباً ، حتى اليمن ـــ لا تزال مجهولة ، إذ لم تدرس أحوالها ، ولم يؤلف أو يكتب عن أنسابها سوى نُتَفٍ موجزة ، يعتريها الخطأُ ، وعدم التحقيق ، ولهذا فليس أمام من يُعْنى بالكتابة عنها سوى الاختلاط بها في بلادها ، أو أن يقوم بذلك المثقفون من أبناء تلك القبائل ، كما فعل غيرهم من إخوتهم عن قبائل السروات .

ومنها : أن تداخل القبائل سبَّبَ خلافاً واسعاً في نسبة بعض الْفُروع وقد سِرْتُ في هذا الكتاب على ما هو معروف الآن في عهدنا وإنْ خالَفَ الصَّحِيْحَ ، فذكرت

(وَقْدَان) في فروع عُتَيْبَة ، و(ثُمَالَة) في فروع ثقيف .

ومنها : أن لاختلاف لهجات القبائل أثراً كبيراً في طريقة النطق بالأسماء كعدم التفريق بين الضاد والظاء ، والتعاقب بين الجيم والياء ، وتقارب النطق بحروف الجيم والقاف والكاف ، أو السين والصاد وهذا يوقع الخطأ في كتابة الأسماء[1] ، وقد حاولت كتابتها بأقرب الوجوه إلى الصواب ، مع ذكر الصورة التي تنطق بها[2] وإن خالفتُ القاعدة المعروفة .

كما جَرَّدْتُ الأسماء من جميع الزوائد عند ذكرها — مع الإشارة إلى صفة نطقها مثل (بَنْيوس) و(بَلْيَعْرب) و(بَلْجُرَشي) فقد أوردتها في (أوس) و(يعرب) و(الجرشي) بحذف الحروف الزائدة على الأسماء مثل (آل) و(إيل) و(أل) و(ضنا) و(وِلْد)[3] و(بني) و(ذوي) و(عيال) و(أولاد) وأمثالها .

ومنها : أنني قد أنقل الاسم شاكًّا في صحته فأضع بعده علامة الاستفهام (؟) إشارة إلى الشكّ .

ومنها : أنني قد أكتفي بإيراد اسم الفرع من القبيلة عند ذكرها ، ثم أذكره في موضعه ، فحدث عن هذا بعض التكرار ، وقد لا أذكره ، وكان ينبغي ذكر كل فرع في محله ، مع الإحالة إلى القبيلة بدون ذكر فروعها عند ذكرها ، وهذا ما ينبغي تداركه ، مستقبلاً ، إن تسنّى لي الإشراف على إعادة طبع الكتاب .

وسيلاحظ — فيما كتبته —:

---

(١) كأن أقول : (آل فلان في القبيلة الفلانية) أي هم يخالطون لها ومعدودون فيها .

(٢) مثل الضفير ، الجثمة ، المتفك ، البسة ، وهي الظفير ، القثمة ، المنتفق ، البصصة ، وأمثالها كثير ، وقد اضطر لكتابة الاسم بصورتين تَبعاً لما أسمعه من الناطقين به .

(٣) وحرصي على إيراد الاسم كما ينطق اضطرني الى مخالفة قواعد الأعراب في كلمات يسيرة مثل استعمال كلمتي (ذوي) و(بني) دائماً بالياء .

(٤) إيل يكثر استعمال هذه الكلمة محل (آل) في سراة بجيلة وسراة زهران . كما يكثر استعمال (ضَنَا) في قبيلة عَنَزَة ، ويقصد بها (آل) والضَّنْءُ لغة فصيحة بمعنى الابن ، وفي جنوب المملكة يكثر استعمال (آل) وفي الشمال يقال (ال) مثل آل ابراهيم ، وآل محمد وآل عبدالله ونحوها يقال فيها (البراهيم) و(المحمد) و(العبدالله) .

١ ـــ التكرار عند تفريع الفروع أو الأفخاذ ، وقد عملت هذا تحاشياً لوقوع خلط بين تلك الفروع أو للأفخاذ ، لوقوع التشابه في الأسماء.

٢ ـــ أنني قد أسرد أسماء فروع القبيلة وأفخاذها عند ذكر اسمها ، ولكنني لا ألتزم هذا دائماً ، وهذا ناشيء عن أحد أمور : ـــ إما الاختلاف القوي حول فروع تلك القبيلة ـــ أوكثرة تلك الفروع وشهرتها ، أو عدم وجود مصدر أطمئن إليه في تفريعها .

٣ ـــ قد أذكر بعض الأفخاذ عند ذكر فرعه ثم أعيد ذكر الاسم في موضعه في الكتاب ، وكان ينبغي السير على هذه الطريقة عند ذكر أفخاد القبائل ، وهذا ما أرجو ملاحظته حين يعاد طبع الكتاب .

وبَعْدُ : ـــ فكما سَبَقَ أن أوضحته ـــ ليس لي من عَمَلٍ في هذا المؤلف سوى الجمع ، فما كان فيه من صواب فهو لمن سبقتني فرجعت إلى كتابه ، وما كان من خطإٍ فأنا شريك فيه ، ولعلَّ دَعْوَتي إلى نَقْدِهِ ـــ لإصلاح ما فيه من خطإٍ ، أو إكمال ما اعْتَرَاه من نَقْصٍ ـــ تكون شافعةً لي فيما ارتكبت عن غيرِ قَصْدٍ.

وعسى أن يكون في ذلك ما يُمَكِّنني من تدارك الأخْطاء ، ومن إكمال النقص .

الخاتمـة :

[وهذه خاتمة الكتاب] ،

وإلى هنا انتهى ما قدرت على جمعه ـــ لا ما أردت أنْ أُقَدِّمه للقاريء مجموعاً ـــ فالموضوع من السَّعة بحيث لا يَسَع المرءُ تَقديمَ مُؤَلَّفٍ وافٍ فيه .

وحسبي أنّي بَذَلْتُ جُهْدِي في الجَمْع وَحْدَه ، فقدَّمتُ هذا الكتاب ، الذي أرجو من المعنيين بموضوعه أن تكون نَظَرَاتهُم إليه نظرات نَقْدٍ وتصحيح ، لا نظرة إغْضاءٍ وسَتْرٍ لعُيُوبِهِ ، وأخْطَائِه الكثيرة ، التي أدركت كثيراً منها بعد أن تَصَفَّحتُ تجاربَ الطَّبْع ، فلم أتمكَّن من إصلاحها .

ولو أردتُ الاعتذار ، وإلقاء التَّبعة على غَيْرِي لَمَا أعْياني ذالك ، إذْ عملي مُنْحَصِرٌ

في الجمع ، والنَّقل مما كتبه غيري أوَّلاً .

ومجال الاعتذار واسعٌ ، لو جاز لمثلي أن يعتذر . ولكن ما قيمة عمل المؤلف إذا لم يُحقِّق ما يَنْقُلُه ، فيختار الصحيح منه ، ولا يكون (إمَّعةً) يسير على ما رُسِم له ؟!

حَقًّا إنَّ هذا ما كان يجب عمله في موضوع مَحْصُور الجوانب ، ليْسَ من السَّعَة والشُّمول بالدَّرجة التي يتَّصِفُ بها موضوع هذا الكتاب .

ولَنْ أُطِيْلَ فجوانِبُ النَّقْص كثيرة ، أشَرْتُ إلى أسباب بعضها في المقدمة . ومنها :

١ ـــ النقل عن مصادر ألَّفها في أوَّل الأمر مؤلِّفُون أعاجِم ، فكتبوا الأسماء بحروف لاتِينيَّة ، أو مؤلفون حَاكُوا العامَّة في نطقهم محاكاة مخالفة للنطق الفصيح في مثل (الشبيك ـــ الشبيس) (عقيل ـــ عجيل) وهكذا في أسماء كثيرة .

ووقع في الكتاب أسماء من هذا القبيل ، لا يهتدي إلى إصلاحها سوى من له صلة أو معرفة بها ، أما ما كتب بحروف غير عربية ، ثم نقل إلى العربية فما أكثره !! مثل (القطامرة) وهي (الغشامرة) و(العويِّد) وهي (العويِّض) ويصعب التمييز بين الاسمين لمن لم يعرف المُسَمَّين .

٢ ـــ التَّصحيفُ في المؤلَّفات العربية لتشابه الحروف ، وكثرة التطبيع (الأخطاء المطبعية) فيها مثل (المرازيق) قد تكتب (الموازين) وقد وقع في هذا الكتاب أخطاء كثيرة من هذا النوع ، لم يكن في الامكان تداركها قبل الطبع .

ومَنْ يَدْرِي ؟ فقد يَجِدُ هذا الكتاب عِنَايةً من القُرَّاء تكون عَوناً لإبرازه في طبعة أكمل وأصَحَّ وأوفى من هذه .

الريـاض   حمد الجـاسر

المراشدة
من فروع عتيبة

قبيلة المراشدة النسبة إليهم ــ مَرْشدي ــ والمراشدة عشيرة من فخذ المزاحمة من الروقة من قبيلة عتيبة .

وهم بنو مرشد بن مزحم بن روق وأقرب من يواليهم في النسب من الروقة من عتيبة أبناء عمهم العِضْيان والغُبَيَّات قال أحد شعراء البادية من الغبيّات يذكر قرابتهم :

ابنْ مْهَنَّا والفَهارِيْن رَبْعي   ومحمد بن غْبَيْد دامتْ لياليه

ويذكرون أنهم كانوا ثلاثة إخوة مرشد وعضَيّ وغبَيّ عيال مزحم بن روق وروق جد الروقة يعود نسبه إلى غزيَّة[1] بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن من قبيلة هوازن التي تعود اليها في النسب أكثر فروع قبيلة عتيبة كما يذكر نسابو هذه القبيلة وكما هو معروف اليوم .

وعِزْوة المراشدة : هي عزوة قومهم المزاحمة ــ ابن مَزْحَم ــ يقول احدهم وهو الفارس دُليم الطَّرّ المرشدي :

وِلْيَا اعتزَيْنا بالعزوة المزحمية   نادى مناديهم آلاذْ حطَّاب

قال ذلك في حروب بينهم وبين الشَّلاوَى من بني الحارث في الزمان المتقدم .

أما عزوة الروقة فهي ــ ابن رَوْق ــ ونخوتهم في الحرب ــ رَوق يا عيال أبوي

وسم المراشدة : على الإبل الأثافي هكذا .[ا‾]
ومن تحتها الشاهد [ـــ] على رقبة المطية ويسمّى هذا الوسم كذلك الباب
[U]

ديرة المراشدة : في نجد[1] في بلاد كبشان شمال بلدة القاعيَّة بأربعين كيلاً وفي

الجنوب الشرقي من بلده عفيف تقع المَردَمَة والأطولة وخَرْجا من بلادهم ولهم بلدة الْحنابج في جبل النّير.

والصهروج ماء في حرة كُشْب والخضارة غرباً من عفيف.

فروع القبيلة :

تنقسم قبيلة المراشدة إلى بديدتين هما :

١ — ذوي محمد ٢ — ذوي حميد.

وذوي محمد ينقسمون إلى خمس خصل هي :

(١) المثاقبة : بنو مثقاب بن وتيد بن محمد بن عبيد بن مرشد والمثاقبة ثمان خوامس هي :

١ — الدفافات : النسبة إليهم — أبو دفافة — وأبو دفافة لقب على جدهم شفاي بن هادي بن عايد بن عيد بن مثقاب ، وسبب هذا اللقب — فيما يذكرون — أنه كان لابساً نوعاً من العباءة يسمّى — دفافة — فلحق به هذا اللقب حتى اشتهر به نسله من بعده.

وأقرب من يكون للدفافات من المثاقبة بنو عمهم البُختان.

٢ — البختان : نسل بخيت بن ساري بن عابد بن عيد بن مثقاب ، وأم بخيت مُطيرية من بني ميمون من العبادل — بني عبدالله.

وولد لبخيت بن ساري غافل وحباب ولم يعقب حباب أما غافل فمنه انحدر البختان فولد له منير وفالح وغلاب وعوض وزيّاد وأمهم عيدا بنت عايض بن عيد بن شدة من ذوي عبيد من المراشدة ، ولم يعقب منهم سوى اثنين عوض وزياد ، ويقال لنسل عوض اليوم ذوي عوض ولنسل زياد ذوي زيّاد — الزيادين —.

٣ — الخمسان : بنو طلق بن هذال بن سيف بن بُنَيّة بن مسيف بن مثقاب وطلق هو أخو زايد بن هذال جد البلوط من المثاقبة وأمها نَشْوَا بنت ضبيب من المهنين من المراشدة ، قال أحد شعراء البادية فيهم مادحاً :

خوالي الخمسان رَبْعٍ عرايب بيوتهم للمطاليق مِدْهَالْ
وأبو مخلد عطيب المضارب قصَّار من شارب خَصِيمه لِيَاطِالْ

ومن الخمسان : ذوي ضواحي ، وذوي دغيس .

٤ ــ الغصاصيب : نسل غصاب بن رزيق بن عبدالله بن عيد بن مثقاب ومنهم شيخ المثاقبة طعيميس بن كايد بن غصاب وأقرب قريب لهم من المثاقبة بنو عمهم القيعان .

٥ ــ الضعفان : عيال عواض وهو المسمّى ــ الضعيف ــ وهو لقب اشتهر به .

والضعفان ــ حلفاء للمثاقبة وهم من الهجال من بني عبدالله(٢) ــ العبادل ــ من مطير .

٦ ــ البلوط : النسبة إليهم ــ بَلْط ــ والبَلْط لقب على جدهم زايد بن هذال المرشديّ وسبب ذلك ــ فيما ذكروا ــ أنه وجد له شلَفا ــ نوع من الرماح ــ فاتخذها له وسمَّاها البلطة فسمِّي من ذلك اليوم البلط وقيل لبنيه البلوط نسبة إليه .

٧ ــ الْقِيعان : النسبة إليهم ــ قاع ــ والمسمّى القاع هو صقر بن رزيق بن عبدالله بن عيد بن مثقاب وهو أخو غصَّاب جد الغصاصيب من المثاقبة وولد لصقر أربعة أبناء :

عبيد وجزا وجازي وعبدالله وكلهم أعقبوا ما عدا عبدالله وجزا هو جزا بن صقر القاع فارس معروف قال أحد شعراء البادية :

مثل جزا القاع والا أبوذيب والا عسير العطاوي عز عيني له

٨ ــ العروط : المنسوب إليهم ــ عرط ــ جدهم هزاع بن بنية بن مسيف بن مثقاب والعروط المعروفون بهذا الاسم هم :

١ ــ ذوي محمد بن هزاع ويقال لهم ذوي حْمَيِّد .
٢ ــ ذوي جالي بن رماح بن هزاع .
٣ ــ ذوي بنيّة بن سعد بن هزاع(٣) .

ولا أدري ما سبب تسميتهم بالعروط .

(٢) ذوي عبيد : بنو عبيد بن محمد بن عبيد بن مرشد ومن ذوي عبيد :

١ ـــ ذوي خضار وهم :

١ ـــ ذوي شدّة وهم ـــ ذوي معوّض ـــ ذوي عوّيد ـــ المراوين .

٢ ـــ الشماسين ـــ بن شمسي .

٣ ـــ الغباشين ـــ غبّاش .

٤ ـــ الصنادحة ـــ بن صنيدح ـــ

٢ ـــ الحبانية : ومنهم : ذوي شرف ـــ وذوي خالد .

٣ ـــ الجحادلة : ـــ بن جحيدل .

٤ ـــ التّنابكة :ابن تنبيك ـــ شيخ المراشدة اليوم في بلدة حديجة غرب كبشان بثمانية أكيال ولذوي عبيد فروع أخرى لكن لا أعرفها .

(٣) العرامين : بنو عرمان بن محمد بن عبيد بن مرشد ومنهم[٤] :

١ ـــ المعافنة ـــ بن معيفن ـــ وهم : ذوي مُسلم ـــ وذوي عليثه .

٢ـــ الوهقّان : بن وَهْق ـــ شيخ العرامين اليوم في بلدة الخضارة غرب عفيف بنحو سبعين كيلاً .

٣ ـــ الهبعان : الهباع .

٤ ـــ الكذابات : منهم عبدالله العواي .

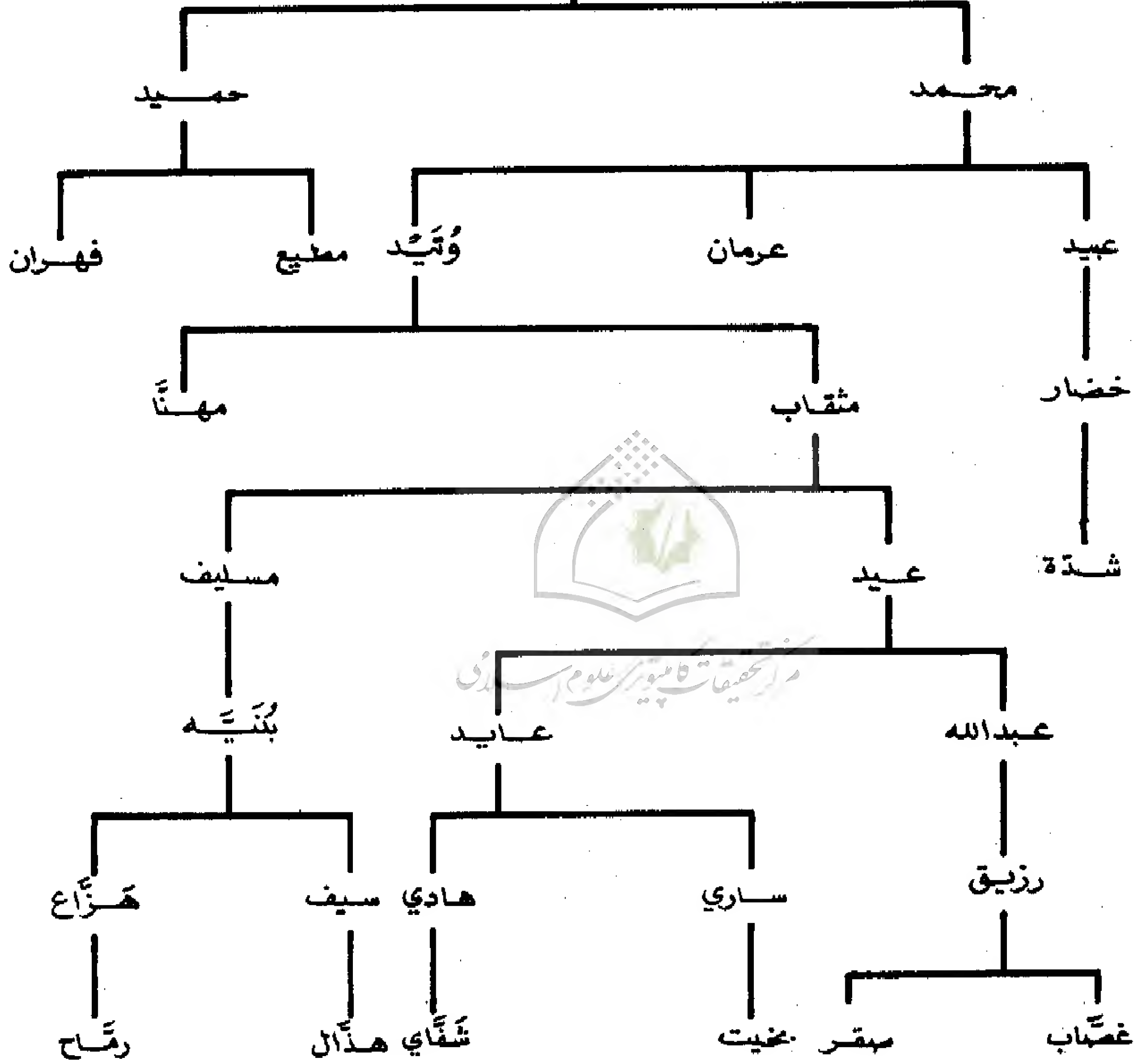
(٤) المهنّين : بنو مهنّا بن وتيد بن محمد بن عبيد بن مرشد ومنهم :

١ ـــ الخشمان : ـــ أبو خشيم ـــ كانوا شيوخ شَمْل المراشدة من عُتَيْبة ، أما اليوم فقد اقتصروا على قومهم المُهنّيْن . والمسمّى أبو خشيم جدهم راجح بن رويشد بن مهنا .

٢ ـــ الدرامين .

٣ ـــ اللهوب ـــ أبو لَهَبْ .

٤ ـــ ذوي شوَيمي .



شجرة نسب قبيلة المراشدة من الروقة من عُتيبة

٥ ـــ الزويان ـــ أبو زوي .

والزويان من قبيلة حرب بلا خلاف بينهم في ذلك .

ومن الزويان : ذوي دهار ، وذوي سعدون .

وهذه الخمس الخوامس من المُهَنَّيْن يقال لهم ذوي رويشد .

٦ ـــ الخواوير ـــ خوَّار ـــ ولهم فروع لا أعرفها .

(٥) الهراجفة : النسبة إليهم ـــ هَرجَفْ ـــ وهم قُرْنَة[٦] المراشدة وليس لهم فروع .

٢ ـــ ذوي حميد : وهم البديدة[٧] الثانية من المراشدة وهم أَرْبع خُصَل هي :

(١) الفهارين : بنو فهران بن حميد بن عبيد بن مرشد . ومنهم :

١ ـــ القوسة : ـــ القوس .

٢ ـــ الكسور : ـــ الكسر .

٣ ـــ الهروس : الهرس ـــ ومنهم آل وُرَيْك ـــ شيوخ ذوي حميد من المراشدة .

٤ ـــ الروبة : روابي .

٥ ـــ المساطير ـــ المسيطير .

٦ ـــ الصفوق ـــ الصَّفق .

(٢) الطرورة : النسبة إليهم ـــ الطِّرّ ـــ منهم الفارس دليم الطِّر وبعض الطرورة اليوم في الحجاز ولهم فروع في غربي نجد في كشب ، ولا أعرف عن فروعهم هذه شيئاً .

(٣) ذوي مطيع : بنو مطيع بن حميد بن عبيد بن مرشد ومنهم :

١ ـــ اللوابين ـــ بن لواباس .

٢ ـــ الكناخرة ـــ بن كناخر .

٣ ـــ الخذمان ـــ خذامي ،

٤ ـــ الحسانية ومنهم ـــ ذوي قبَّا ـــ وذوي حَجْرف .

٥ ـــ ذوي سُوَيْد .

(٤) العناترة[٨] : النسبة إليهم — عنيتري — ومنهم :

١ — العيادين .

٢ — المقارنة : النسبة إليهم — مُقَرِّن — بتشديد الراء وهم حلفاء للمراشدة ويذكرون أنهم من أهل ثَرمداء رافقوا قبيلة المراشدة في الزمان المتقدم .

منهم عور المقرِّن كان من (خويا) الملك عبد العزيز رحمه الله ومن فروع المقارنة :
— المراقيع — والعلاليب — والسحامين .

٣ — ذوي حثّيان .

وللمراشدة فروع وديار بالحجاز هي ديارهم الأولى ولم ينحدروا مع عتيبة في انحدارها الى نجد .

وبعضهم كانت ديارهم قريبة من بني سعد من عُتيبة فَعُدُّوا منهم ولم يكن ذلك موافقاً للحقيقة المعروفة .

الرياض : عبد الرحمن بن زبن المرشدي العتيبي

متوسطة وثانوية تحفيظ القرآن الكريم

الحواشي :

(١) المعروف من القديم أن الروقة من قبيلة عتيبة التي يرجع نسبها إلى هوزان . ورجوع أصل عتيبة إلى قبيلة هوزان مشهور من قبل الباحثين في الأنساب اليوم .

(٢) سكون المراشدة في نجد مع قومهم عتيبة عند انحدارهم من الحجاز إلى نجد ويبدو أن انحدارهم إلى نجد وسكناهم فيه كان في أوائل القرن الثالث عشر الهجري في عهد الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود وابنه سعود بن عبد العزيز رحمهم الله لكن انحدارهم إلى نجد كان بالتدريج فسكنوا أول ما سكنوا في أطراف نجد الغربية في كُشب وما حولها ولم يدخلوا في عالية نجد — إلا بعد ذلك بعدة سنين حيث جاء ذكرهم في تواريخ نجد فذكرهم ابن بشر رحمه الله في تاريخه عنوان المجد في تاريخ نجد — سنة ١٢٤٧ هـ حينما غزاهم الإمام فيصل بن تركي رحمه الله في طلال أحد مياه عالية نجد أنظر عن ذلك ص من عنوان المجد في تاريخ نجد . وقد قبيلة عتيبة عند سكونها نجد بقبائل قحطان ومطير من عرب نجد فحصل بينهم حروب ووقائع في مطلع القرن الثالث عشر الهجري وانساحت قبيلة قحطان قليلاً إلى الجنوب من نجد وهجرت بعض قبائل مطير ديارها إلى شمال شرقي نجد ولا يزال لها بقية إلى اليوم ببلاد الحجاز وبنجد حول ضرية وفي ذلك يقول أحد شعراء مطير :

←

السُّوَدَة : من المناطق الأثرية

[وهذا أحد مباحث القسم المتعلق بالمنطقة الشرقية من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» في الجزء الثاني من ذلك القسم الذي صدر حديثاً.

وهذا المبحث يَتَعَلَّقُ بموضع قديم، عُثِرَ في بعض مواقعه كـ(ثَاج) و(الحِنَّاءة) على آثار عمران قبل العهد الإسلامي.

والغاية من عرض هذا المبحث التَّطَلُّعُ إلى ما قد يُفْضِلُ أحد القُرَّاء بإبدائه من ملاحظات حَوْله، أو حول ما تضمنه ذلك القسم من المباحث].

السُّوَدَةُ :

— بضم السين وإسكان الواو وفتح الدال المهملة وآخره هاء —:

قال الهجريُّ[1] : أرسل بعضُ بني نُمَيْرٍ إلى مزيد بن الجعد يُخْبِره بنعم، بِدار، من

→

واديرني ما حدها السُّر وغادي ... وما حدها ضلع الدفينة على ماه

واديرني فيها العتيبي ينادي ... عقب المخافة فيها بيوت مبناه

(٣) ينطق اسم بني عبدالله بترقيق اللام في لفظ الجلالة.

(٤) لئن كنت اسهبت في الكتابة عن خصلة المناقبة من المراشدة فليس تَعَصُّباً لهم وإنما هو لتوفر المعلومات عنهم لأني منهم فأعرف عنهم ما لا أعرف عن غيرهم.

(٥) بعض فروع العرامين عن مدله بن نشا المرشدي.

(٦) القرنة : القبيلة التي ليس لها فروع تتفرع عنها وإنما ينتسبون إلى الأصل الذي يجمعهم والقرنة ضد الجماجم المعروفة في قبائل العرب قديماً، وقد ذكرت عن القرنة والعزة والنخوة وغيرها في كتاب أنساب عرب البادية — مخطوط.

(٧) البديدة — وجمعها بدايد — عند عرب هذا العصر يقصد بها العشيرة التي تنقسم إلى فروع.

(٨) كنت أنطق هذا الاسم — العناقرة — وعلى ذلك كتبته في بحث عن عتيبة ومن حسن الحظ أنه لم ينشر في المجلة — مجلة العرب — وقد نسبتهم في ذلك البحث إلى العناقرة من بني سعد من تميم لأنهم أو بعض فروعهم كما يقولون أتوا من ثرمداء من بلاد الوشم وحالفوا المراشدة، والحقيقة أن صحة الإسم العناترة كما رواه لي صالح بن عوض المرشدي ومنهم المقارنة حلفاء من أهل ثرمداء.

السُّودَة : من المناطق الأثرية

[وهذا أحد مباحث القسم المتعلق بالمنطقة الشرقية من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» في الجزء الثاني من ذلك القسم الذي صدر حديثاً .

وهذا المبحث يَتَعَلَّقُ بموضع قديم ، عُثِرَ في بعض مواقعه كـ(ثَاج) و(الحِنَّاءة) على آثار عمران قبل العهد الإسلامي .

والغاية من عرض هذا المبحث التَّطَلُّعُ إلى ما قد يُفْضِلُ أحد القُرَّاء بإبدائه من ملاحظات حَوْله ، أو حول ما تضمنه ذلك القسم من المباحث] .

السُّودَةُ :

— بضم السين وإسكان الواو وفتح الدال المهملة وآخره هاء — :

قال الهجريُّ[1] : أرسل بعضُ بني نُمَيْر إلى مزيد بن الجعد يُخْبِره بنعم ، بِدار ، من

واديـرتي مـا حـدهـا الـسِّر وغـادي ... ومـا حـدهـا ضـلـع الـدفـيـنـة على مـاه

واديـرتي فيـهـا الـعـتـيـبي يـنـادي ... عـقـب المخافـة فيـهـا بـيـوت مـبـنـاه

(٣) ينطق اسم بني عبدالله بترقيق اللام في لفظ الجلالة .

(٤) لئن كنت اسهبت في الكتابة عن خصلة المناقبة من المراشدة فليس تَعَصُّباً لهم وإنما هو لتوفر المعلومات عنهم لأني منهم فأعرف عنهم ما لا أعرف عن غيرهم .

(٥) بعض فروع العرامين عن مدله بن نشا المرشدي .

(٦) القرنة : القبيلة التي ليس لها فروع تتفرع عنها وإنما ينتسبون إلى الأصل الذي يجمعهم والقرنة ضد الجماجم المعروفة في قبائل العرب قديماً ، وقد ذكرت عن القرنة والعزة والنخوة وغيرها في كتاب أنساب عرب البادية — مخطوط .

(٧) البديدة — وجمعها بدايد — عند عرب هذا العصر يقصد بها العشيرة التي تنقسم إلى فروع .

(٨) كنت أنطق هذا الاسم — العناقرة — وعلى ذلك كتبته في بحث عن عتيبة ومن حسن الحظ أنه لم ينشر في المجلة — مجلة العرب — وقد نسبتهم في ذلك البحث إلى العناقرة من بني سعد من تميم لأنهم أو بعض فروعهم كما يقولون أتوا من ثرمداء من بلاد الوشم وحالفوا المراشدة ، والحقيقة أن صحة الإسم العناترة كما رواه لي صالح بن عوض المرشدي ومنهم المقارنة حلفاء من أهل ثرمداء .

السُّودَة ، بشقِّ البحرين ، ما بينه وبين البصرة عن يوم من البحرين — وتقدم كلامه في رسم دار .

وأورد ياقوت اسم السُّودة مصحفاً ، فقد جاء في «معجم البلدان» : السُّوَدَدُ — هكذا رويت عن الحفصي بضم السِّين — قال : وهي فلاةٌ تُنْبِتُ الغَضَا والأَرْطَى والبُقُولَ ، وهي لبني مالك بن سعد - بين البَحْرَيْن والبصرة . انتهى .

وتقدم ما نقل ياقوت عن الأزهري : السّتارانِ واديان يقال لها السُّودَة .

والسُّودَةُ عدَّهَا الهمدانيُّ من أَرْضِ البُحْرَيْن[٢] .

وقَدْ لَمَحَ في خاطري تَعْلِيْلٌ لإطلاق اسم السودة على هذه الأَرْض ، أُعرضه لِلْقَارِيء ، بدون أَنْ أَقْنَعَ بصحته . هو أن الأرض المتخامة لساحل البحر ، الممتدة من شمال واحة الأحساء حتى قُرب رأس الْخَفَجي لها مَظْهَرَانِ بارِزَانِ : ما قرب من الشاطيء تكثر فيه الرِمَال ، فَيَبْدُو للناظر صافي اللون ، إلى البياض ، ولهذا أُطْلِقَ عليه اسم البيضاء ، بيضاء الْخَطِّ . أَوْ بيضاء بني جذيمة — وهاؤلاء من عبد القيس سكان هذه البلاد .

وما حاذى هذه الأرض غَرْباً من الأغوار والمُنْخَفَضَات التي تكثر مياهها وأشجارها ، فيخالف لونها لون الأرض الواقعة شرقها ، ولهذا أطلق عليها اسم السُّودَة — مقابل البيضاء — وإن لم تتفق الكلمتان وَزْناً ، فهما متقاربتان مَعْنًى ، والسَّوَادُ يطلق على اللَّون الأَخْضَر[٣] ، كما أَنَّ الخُضْرَةَ قد يقصد بها السَّواد .

ولنعد إلى ذكر بعض النصوص المتعلقة بالسودة .

قال الفرزدق :[٤]

نُبِّئْتُ سَعْداً عَلَى أَمْوَاهِ سُودَتِها ... تَفْسُو الْعَصِيْرَ وتَدْعُو الْغَدْرَ كَيْسَانَا
يا سَعْدُ لَنْ تُدْرِكُوا مَسْعَاةَ أَوَّلِنَا ... أَوْ يُنْقَل الرَّمْلُ عَنْ جَرْعَاءِ حسَّانا

والسودة كانت من بلاد بني سعد بن زيد مناة بن تميم هي وما حولها من المواضع .

وجاء في «شرح ديوان ابن الْمُقَرَّب» الأحسائي : — كان الفضل ابن عبدالله بن

علي العُيُوني ، قد حَمَى من (ثاج) إلى (يَبْرِيْنَ) وكان مقر الفضل في أوال في قرية تدعى (نار برد) أو (زاد برد) ولكنه يأتي إلى مواضع من حِمَاهُ فرأى أعْرابياً يرعى في جانب من الحمى ، وأعرابياً آخر يقول له : إنَّ هذا حِمَى الفضل ؟ فقال :

مَتَى يَلْتَقِي مَنْ (نار بَرْدٍ) مَحَلُّهُ   وآخَـرُ سُوْدِيٌّ بَـعِـيْـدٌ مـذاهـبُـهْ

فما أتمَّ البَيْتَ إلَّا والفضل في جريدة من الْخَيْل قد ظهر عليه ، فكان ذلك من عجيب الاتفاق .

وفي ذلك يقول ابن مُقَرَّب :

هُمَامٌ حَمَى الْبَحْرَيْنِ سَبْعاً وَمِثْلَهَا   سِنِيْنَ وَسَارَتْ في الفيافي مواكِبُه
وَلَـمْ يَرْعَ مِنْ(ثاج)إلى(الرَّمل)مُضْرِمٌ   عَلَى عَهْدِهِ إلَّا اسْتُبِيْحَتْ حَلَائِبُهْ
زَمَانَ يَقُولُ الْعَامِرِيُّ لِمَنْ غَدَا   يُحَذِّرُهُ عَنْهُ وذُو الحُمْقِ غالِبُهْ
وأيْن امْرُؤٌ في (زادَ بَرْدٍ) مَحَلُّهُ   وَأَغْنَامُ سُوْدِيٌّ بَعيد مَذَاهِبُهْ؟
فَلَمْ يَسْتَتِمَّ الْقَوْلَ حَتَّى إذَا بِهِ   يُسَايِرُهُ والـدَّهْـرُ جَمٌّ غَـرَائِـبُـهْ
فقالَ لَهُ : الآنَ الْتَقَيْنَا فَأُرْعِدَتْ   فَرَائِصُهُ ، والْجَـهْـلُ مُرٌّ عَـوَاقِبُهْ

وذكر الصَّاغاني اسم السُّودَة مُثَنّى ، ولم يُحَدِّدِ الموضع . ويظهر أنه في بلاد هذيل ، لأنه ورد في شعر أحدهم .

يفهم من أقوال المتقدمين أن اسم السودة يطلق على أرض واسعة ، فالهجريُّ ذكر أنها تبعد عن البحرين بيوم ، ولعله يقصد عن قاعدة البحرين الأحساء ، ويدل على هذا أنَّهُ عَدَّ داراً من السُّودة ، فهذا جانبها الجنوبي ، وتقَدَّم القول بأن الستارين يقال لها السُّودة ، والسِّتَارَان يمتدان من الجوف جنوباً حتى النِّقار شمالاً .

ولا يزال اسم السودة يطلق على القسم الشرقي من وادي المياه (الستار) ثم على أرْض النِّقار كلها حتى شمال رأس الخَفْقي — بل وراء ذلك .

ويمتدُّ مُسَمَّى السودة غَرْباً إلى أبرق الكِبْرِيْتِ ومَنْهَل عِرْق ، وهو من مناهلها ، ومن تلك المناهل — في أسفل السودة —: طَمَا والطَّرايف ، وطُرَيف ، وحَمَض والنقيرة

ونُقَيْر ، ورُكُبَة والجِنْجُوبُ ، وفُضَيخ والفضيخيَّة والطيَّار والبجسا . وجنوبها الطويلة في الحبل . وفي أسفلها السفَّانية ومُنَيْفة .

وسكان السُّوْدَة الآن فروع من قبائل متعددة ، من بني خالد والعُجْمَان وبني هاجر ، والعوازم .

وجاء في كتاب «دليل الخليج»[٥] : السودة : سهل كبير يكون المنطقة الجنوبية لإمارة الكويت ويقع على البحر ، ويحد من الشمال بمنطقة الحزيم HAZAIM التي يفصلها عن السهل نهير المقطع MAQTA ، ويحد من الجنوب بالراديف RADAIF وسبحة المطايا MUTAYA وزور لوذان[٦] ويشمل الطريق الشمالي وادي لبيبة (؟) ، وطول السودة من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي يقدر بحوالي ستين ميلاً ، ويقال إن سطحه مُستَوٍ ، ويتكون من رمال متماسكة داكنة اللون .

ولا توجد به أشجار وإنما يوجد به شجيرات صغيرة من العرفج والكافور والكازورين[٧] والثمام من مراعي الإبل إلى جانب بعض المراعي الأخرى .

وفيما يلي أهم المظاهر الطبيعية للمنطقة :

العرفجية : وتقع على بعد ٧ أميال غرب جبل عمودة AMUDAH وهي آبار ، يمكن شرب المياه التي تبلغ عمق آبارها ١٥ قدماً .

عرق : آبار تقع على بعد ١٢ ميلاً شمال غرب تخاديد و١٨ ميلاً جنوب شرق مراغة (؟) في الحزيم و٢٠ ميلاً من البحر .

كما يلاحظ أنه لا يمكن شرب المياه في الغالب والتي عمقها ١٢ قدماً .

البعال[٨] في اتجاه الركن الجنوبي الغربي لمنطقة السودة وهي تلال مستوية . يخيم فيها البدو .

حَمَض : آبار تقع على بعد ٢٠ أو ٢٥ ميلاً شمال غرب جبل النُّعيرية والمياه بها على عمق ١٢ قدماً وهي ضاربة للملوحة .

ركبة
السّفانية
النقيرة
البجسة
نقير
جبل البعال
دوحة كلبول
الطّرفية
النعيرية
أبوحدرية
مليجة
نطاع
الشّبّاك
عتيق (عُتَيْد)
الحجرة
الحناءة
ثاج



نُفَير : آبار تقع على بعد ١٢ ميلاً جنوب شرق حمض ، وعلى بعد أميال كثيرة من شمال شرق بعال .

شاذي (؟) : SHADHI : آبار تقع على بعد أميال قليلة من العرفجية وعمق الآبار ستة أقدام وهي عذبة .

تخاديد : آبار تقع على بعد ١٢ ميلاً جنوب شرق عرق وعلى بعد ١١ ميلاً شمال غرب حمض .

ويلاحظ أن المياه هنا عذبة على عمق ١٢ قدماً .

النُّقيرة : آبار على بعد ٤ أميال شمال غرب نقير .

ويلاحظ أن المياه هنا عذبة وعمقها ١٢ قدماً .

وقد ورد في مقالة الكويت وصف تفصيلي للمظاهر الطبيعية لساحل السودة بالترتيب من الشمال إلى الجنوب وهي : رأس الحفقي وحِدُّ المشعاب وجزيرة المَقْطَع ، وبندر المشعاب وجبل العمدة وأبو راسين ورأس السّنافية ودوحة الخريس ورأس التناجيب ودوحة بُلْبُول وجبل مُنيفةَ . انتهى . ويلاحظ :

١ ــ أن كثيراً من الأسماء وردت مُحرَّفة ولم أهتد إلى وَجْه الصواب فيها .

٢ ــ أنَّ كثيراً من المياه التي في تلك الجهات قد درست ، بعد إنباط المياه القوية من اعماق جوف الأرض ، في عصرنا الحاضر.

٣ ــ أما المياه الباقية والمواضع المعروفة فقد ورد تحديد مواقعها في أماكنها من هذا « المعجم » .

حمد الجاسر

ما اتّفق لفظه وافترق مسمّاه من أسماء الأمكنة

للإمام محمد بن موسى الحازمي

(٥٤٨ / ٥٨٤ هـ)

— ٧ —

١٦٥ — بَابُ جَاسِمٍ وَحَاسْم[1]

أَمَّا الأَوَّلُ — قبل المِيْم سِيْنٌ مُهْمَلَةٌ مَكْسُورَةٌ — : ناحِيَةٌ بِالشَّامِ ، بَيْنَ دِمَشْقَ وَطَبَرِيَّةَ[2] .

وأَمَّا الثَّانِيْ — أَوَّلُهُ حاءٌ مُهْمَلَةٌ والْبَاقِي نَحْوَ الأَوَّلَ — : مَوْضِعٌ بِالْبَادِيَةِ ذَكَرَهُ

الحــواشي

(١) أورده نصر في (حرف الحاء) ولم يَزِد الحَازِميُّ على ما ذكر نَصْرٌ شيئاً في تعريف الموضعين .

(٢) جَاسِم — على ما حدَّد ياقوت في «معجم البلدان» : قَرية بَيْنَها وبين دمشق ثمانية فراسخ ، على يمين الطريق الأعظم إلى طبرية ، وأورد شعرا فيها لحسّان وعدي بن الرقّاع ، وذكر أن أبا تمّام حبيب بن أوس الطائي الشاعر منها — وَلي بريدها وذكر بعض مَن نُسِبَ إليها . وجاسم معدودة من قُرى حوران في سُورية .

حواشي السودة :

(١) ص ٣٢٦ .

(٢) «صفة جزيرة العرب» : ٣١٧ .

(٣) في «تاج العروس» : الحبة السوداء هي الحبة الخضراء ، لأن العرب تسمى الأسود أخضر ، والأخضر أسود .

(٤) ٨٧٤ .

(٥) القسم الجغرافي : ج ص ٣٥١٢ .

(٦) في الترجمة العربية لهذا الكتاب سماه : (زور الأوذن) .

(٧) كذا في الترجمة العربية وهي غير صحيحة .

(٧) جبل البعال يقع شمال النعيرية وغرب ماء الجليقة . وجنوب ماء نقير ، وشرق جبل المعيقل . ومشاش (أبو حدرية) يقع في جبل بعال .

صَاحِبُ كتاب «الْعَيْن»(١) .

١٦٦ ــ بَابُ جَاكَه وَحَاكَه(٢)

أمَّا الأَوَّلَ بجيم غَيْر خَالِصَةٍ ، وهي بَيْنَ الْـجِيْمِ والشِّيْن ، لُغَةٌ عَجَمِيَّةٌ وبعد الأَلِف كافٌ ــ : ناحِيَةٌ مِنْ أَعْمَال الأَهْوَاز .

وأمَّا الثَّانِيَ أَوَّلُـهُ حَـاءٌ مُهْـمَلَةٌ والْبَاقِي نَحْـوَ الْأَوَّلِ ــ : وَادٍ فِيْ بِلَادِ عُذْرَةَ ، كَانَتْ بِهَا وَقْـعَةٌ .

---

(٣) نَقَل ياقوت تَعريف حاسم عن الحازميّ ، ونسبه إليه ، ولَمْ يَزِدْ ، والتَّعريف لِنَصْر كما تقدَّم ، وجاء في «القاموس» وشرحه : وقال ثَعْلَبُ : حُسُمٌ وحُسَمُ وحَاسِمُ مواضعُ بالبادية . وما أكثر مواضع البادية ، وما أوسعها !! وما أرى الاسم سوى تصحيف (جاسم) بالجيم ، وقد أطال الأزهري الكلام فيا ورد في كتاب «العين» المنسوب للخليل بن أحمد ــ من التَّصحيف ، وأورد في «التهذيب» أمثلة كثيرة لذلك .

(١) في كتاب نصر في (حرف الحاء) بهذا النص : (باب حالة وخالة وخاكة وجاكة) ولم يذكر (حاكة) .

عَرَّفَ نَصْرٌ جَاكه بما هذا نَصُّهُ : وما بجيم فارسية بين الجيم والشين والكاف ــ ناحية من بنات آذر ، من أعمال الأهواز ، انتهى .

أمَّا ياقوت فقال : جاكه : جيمه عجميَّة غير خالصة بين الجيم والشين ، وبعد الألف كافٌ : ناحية من بلاد الأهواز . انتهى . والهاء في الكتب الثلاثة غير منقوطة .

وفي «تاج العروس» : ومما يُسْتَدرك عليه : جاكه : ناحية من بنات آذر ، من أعمال الأهواز ، نقله نصر في كتابه . قلت : ومنها الإمام ... بدر الدين حسين بن ابراهيم بن حسين الجاكي الكردي نزيل القاهرة ، توفي بها سنة ٧٣٩ وزاويته بالحسينيَّة مشهورة انتهى .

ولم أر في تعريف هذا الموضع أكثر ممَّا تقدَّم . ولم أهتَد الى معرفة (نبات آدز) أو (بنات آذر) الواردة في كتاب نصر و«تاج العروس» ولعلَّ عدم وضوحها هو الذي دفع الحازمي والحمويَّ إلى عدم ذكرها .

وعرَّف نَصْر المواضع الثلاثة التي لم يذكرها الحازميُّ بما هذا نصه : حَالَة بالحاء : بين المدينة والشام من أرض بَلْقَين قرب حَرَّة الرَّجلاء وبالخاء المنقوطة . من مياه كَلْبِ بن وِبرة ، من بادية الشام ، وبالخاء أيضاً والكاف : وادٍ من بلاد عُذْرة ، كانت به وقعة . انتهى .

وما أرى الأسماء الثلاثة إلاَّ لمُسَمَّى واحد هو حَالة ــ بالحاء المهملة بعدها ألف فلام فهاء منقوطة ، وصُحِّفَ هذا ، فبلاد كَلْبٍ وبني القين وعذرة مُتجاورة ، ومُختلطة ، وحالة لا تزال معروفه ، تحدثت عنها في «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» ــ قسم شمال المملكة .

١٦٧ — بَابُ جَبَاء جَبَاء ، وَجُبًّا وَحَيًا[1]

أمَّا الأَوَّلُ — بَعْدَ الجيمِ الْمَفْتُوحَةِ بَاءٌ مُوحَّدَةٌ مَفْتُوحَةٌ أيْضاً ثُمَّ هَمْزَةٌ عَلَى وَزْنِ جَبَلٍ — : جَبَلٌ بِالْيَمَنِ يُنْسَبُ إلَيْهِ شُعَيْبٌ الْجَبَايِ ، حدَّثَ عنه سَلَمَةُ بْنُ وَهْرَامَ[2] .

وَأمَّا الثَّاني — آخرُهُ أَلِفٌ والْباقِي نَحْوَ الأَوَّلِ — : شُعْبَةٌ مِنْ وَادِي الجِيِّ ، وَهِيَ عِنْدَ الرُّوَيْثَةِ بَيْنَ مكَّةَ والمَدِينَةِ[3] .

وصُحِّف هذا ، فبلاد كلْبٍ وبني القين وعُذْرة مُتجاورة ، ومُخْتَلِطة ، وحالة لا تزال معروفة ، تحدثت عنها في «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» — قسم شمال المملكة .

---

(١) في كتاب نصر : (باب الجَبَا والجُبَّا والجَبَّا والْجَبَّا والحيا) .

(٢) جَبَأُ مَدِينَةٌ أَثَرِيَّةٌ ، وصفها الهمداني في «صفة جزيرة العرب» — ٧٨ — وحَدَّدَ الأستاذ محمد بن عليّ الأكوع موقعها في فَجْوَة جَبَل صَبِر مِنْ غَرْبِيِّه وصَبِر من أشهر جبال اليمن ، تقع مدينة تعز في سفحه ، وشعيب الجَبَايِ تابعي من أقران طاووس ، وممن روى عنه محمد بن إسحاق — صاحب «السيرة» .

(٣) هذا تعريف نَصْرٍ بدون زيادة أو نَقْص ، ومثله في «معجم البلدان» بزيادة شعرٍ لِتأبَّطَ شرّاً يَرْثِي الشَّنْفَرى ، ومنه :

عَلَيْكَ جَزَاءٌ مِثْلُ يَوْمِكَ بِالجَبَا ... وقد رَعَفَتْ مِنْكَ السُّيُوفُ البَوَاتِرُ

وما أرى الشاهد هذا ينطبق على الموضع المذكور ، لأن غارات الشَّنْفَرى في بلاد السَّراة — سراة أزدشنوءة في جهات بلاد عَسِير الآن ، بعيدة عن هذا الموضع .

كما أورد ياقوت لِكُثَيِّر قوله :

أهاجكَ بَرْقٌ آخرَ اللَّيْلِ وَاصِبُ ... تَضَمَّنَهُ فَرْشُ الجَبَا فَالْمَسَارِبُ

ولم أعرف الجَبَا ، ولكنَّ وادي الجيِّ التي الجبا شُعْبَةٌ من شعابه ، لا يزال مَعْرُوفاً ، وادٍ تنحَدِرُ فروعه من جبل قُدْس (دِقِسْ وجبل عَوْفٍ الآن) ويفيض في وادي الصَّفْراء فَوْق مضيقها يجزعه المتَّجِهُ إلى المدينة قبل أن يصل إلى المُسَيجيد (المُنْصَرَف قديماً) بعد أن يجتاز وادي العَرْج — من الطريق القديم .

والرُّوَيْثَةُ كانت من أشهر منازل ذلك الطريق ، وقد يرى بعض الباحثين أن موقعها يعرف الآن باسم (محطَّة خَلْص) التي تبعد الآن عن المُنْصَرَف بنحو سبعة عشر كيلاً .

وكنت ذكرت في تعليقي على كتاب «المناسك» ص ٤٤٧ — أنَّ الرُّوَيْثَةَ تُعرَفُ الآن باسم (بِئْر عباس) التي تبعد عن المنصرف سبعة أكيال . وقلت : ولكنَّها ليست على الطريق ، بَلْ منحَرِفَةٌ ذات اليسار كثيراً — قُلْتُ ذالك اعتماداً على ما كتب به إليَّ مؤرخ المدينة ، الشريف ابراهيم العياشي — رحمه الله ونشرته في «العرب»

وأمّا الثّالِثُ — أوَّلُهُ جيمٌ مَضمومَةٌ ثم ثاءٌ مُثَلَّثَةٌ — : مَوضع بَيْنَ فَدَكَ وخَيْبَرَ قال بَشيرٌ أبو النُّعْمان :

لَعَمْرِي لَحَيٌّ بَيْنَ دَارِ مُزاحِمٍ
وَبَيْنَ الجُثَا لا يَجْشُمُ الصَّبْرَ حَاضِرُ[1]

وَأمَّا الرَّابعُ — أوَّلُهُ حاءٌ مُهْمَلَةٌ ويَاءٌ تَحتَها نُقطَتَانِ مَمْدُودَة — : وادٍ مِنْ أقْصَى دِيَارِ قُشَيْرٍ[2] .

السنة الأولى — ص ١١٥٨ — .

ولكنني بعد أن مررت ببير عباس في خامس من شهر ربيع الأول سنة ١٣٩٠ هـ اتَّضحَ لي أنّها لا تَقعُ على الطريق القديم مِمَّا يَحْمِلُ على الشكِّ في أن تكون هي الرُّوَيْثَة ، وتوقَّعْتُ أن يكون موقع الرُّوَيْثَة هو ما يعرف الآن باسم مَحَطَّة خَلْصٍ — على ما ذكر الأستاذ عاتق البلادي — في كتابه «طريق الهجرة» — ص ٢٢٨ — ووصف ذلك الموضع عن مشاهدة .

(١) عَرَّفَ نَصْرٌ الجُثا : بضم الجيم وثاء مثلَّثة — ناحيَةٌ يطَؤُها الطَّريقُ بَيْنَ فَدَكَ وَخَيْبَر . انتهى . وياقوت أورد نَصَّ كلام الحازميّ — غير مَنْسُوبٍ — وزادَ في شعر بشير — في «المعجم» بِشْر — بَيْتاً قَبْلَهُ . وفي كتاب «الهجري» — ٣٣٧ — لِعَمْرو بن عَوْنٍ الصاردي :

يَهِيجُ عليَّ الشوقُ أنْ شَطَّتِ النَّوى ... بِسَهْمِيَّةٍ ما شَمْلُهَا بِمُداني
تَحُلُّ جَثَا والظَّهْرَ رَابِعَةً بِهِ ... وَمَحْضَرُها بالصَّيْفِ جَوْعِتَانِ

— سَهميَّة من سَهمُ بن مُرَّةَ . انتهى ومُرَّة من غَطَفَان ، وما بَيْنَ خَيْبَرَ وفَدَك (الحائط الآن) من بلادهم . وجَثَا هذا — على ما يفهم من النُّصوص المتقدمة — وسط حرَّة خَيْبَر ، غَرْب بلدة الحائط ، وبشير أبو النعان هو ابن سعد بن ثعلبة الخزرجيُّ الأنصاريّ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل شهيداً سنة اثنَي عشرة للهجرة وابنه النُّعْمَان الصحابي الجليل أوَّلُ مولود في الإسلام من الأنصار في المدينة في السنة الثانية من الهجرة ، وقتل شهيداً سنة ٦٥ هـ .

(٢) تعريف حَيًا هو نَصُّ تعريف نَصْرٍ ، وهو ما في «معجم البلدان» ولم ينسب التعريف .

وزاد نَصْرٌ : الجُثَّا — بضم الجيم وتشديد الثَّاء — جبل من جبال أجا ، مُشْرِفٌ على رَمْلِ طَيِّء ، وعنده المناعان جَبَلان . انتهى . ومثل هذا في «معجم البلدان» .

١٦٨ ـــ بَابُ الجَبَاجِبِ والحَبَاحِبُ *

أمَّا الأَوَّلُ ـــ بعد الجِيْمِ المَفْتُوحَةِ بَاءٌ مُوحَّدَةٌ ، وبعد الأَلِفِ جِيْمٌ أُخْرَى ـــ : جِبَالُ مَكَّةَ قال الزُّبَيْرُ : الجَبَاجِبُ والأَخَاشِبُ جِبَالُ مَكَّةَ يُقَالُ : ما بَيْنَ أَخْشَبَيْهَا وبَيْنَ جَبْجَبَيْهَا أَكْرَمُ مِنْ فُلَانٍ وقال كُثَيِّر :

إِذَا النَّضْرُ وافَتْهُمْ عَلَى الخَيْلِ مالِكٌ وعَبْدُ مَنَاةٍ والتَقَوا بالجَبَاجِبِ

وقيل : هِيَ أَسْوَاقُ مَكَّةَ(١) .

وأمَّا الثَّاني ـــ أوَّله حاءٌ مُهْمَلَةٌ مَفْتُوحةٌ وأُخْرَى بَعْدَ الأَلِفِ مَكْسُورَة ـــ : بَلَدٌ(٢) .

---

* زاد نَصْرٌ : (والجُبَاجِبة) .

(١) قال نصر ـــ عن الجَبَاجِب ـــ : بفتح الجيم ، مجمع الناس بِمِنَى ، وقيل : الجَبَاجِبُ الأسواقُ . وقال السكريُّ : الجَبَاجِبُ والأخاشِبُ جِبَالُ مَكَّة ، وبخط (فا) بضم الجيم . انتهى . وفوق (فا) كلمة (كذا) مما يدلُّ على أن الكاتب هكذا وجدها ونقل ياقوت من كلام نَصْرٍ أَوَّلَهُ إلى قول السكري ، وقول الحازميّ ، وزاد : وقال العِمْرانيُّ : الجَبَاجِبُ شجر (؟) معروف بِمِنَى ، لأَنَّهُ كانَ يُلْقَى بهِ الجَبَاجِبُ وهي الكُرُوش . كما فَسَّرَ الجباجب من الناحية اللُّغويَّة . وأورد قول كُثَيِّر :

إذا النصر وَافَتْهَا ـــ وهي في مخطوطة كتاب الحازمي : (وافيهم)

وكلمة (شجر) قد تكون مُحَرَّفَة إذ في «تاج العروس» : قال البرقيُّ ـــ في تفسير الجباجب ـــ حَفَرٌ بمنى كان يُلْقَى به الكروش .

(٢) لم يُعَرِّف الحازميُّ الحَبَاحِبَ تعريفا وافياً ، وكذا نَصْرٌ الذي قال : وأما بضم الحاء المهملة وبعد الألف مثلها (؟) مكسورة : بَلَدٌ . انتهى . وعن الحازميّ نقل ياقوت ولَمْ يزِدْ إلاَّ المعنَى اللُّغَوِيَّ لكلمة حَبْحَاب ـــ مفرد حباحب ـــ : الصغير من كل شيء .

وعَرَّفَ نَصْرٌ الجُبَاجِبَة بقوله : بضم الجيم الأولى وآخره هاء ـــ : ماء في ديار بني كلاب ، لِرَبِيْعَة بْن قُرْطٍ ، عليها نَخْلٌ ، ولَيْسَ على شيء من مِيَاهِهِم نَخْلٌ غَيْرَها وغَيْرَ الجَرْوَلَة . انتهى ونقل هذا ياقوت غير منسوب ، وأصله في كتاب «بلاد العرب» ـــ ص ١٣٧ ـــ في الكلام على مياه بني ربيعة بن قُرْطٍ ـــ ونَصُّهُ : ثم الجُبَاجِبَةُ وهي ماءةٌ لِرَبيعة بن قُرْطٍ ، عليها نَخْلٌ ، وليس على شَيءٍ ممَّا سَمَّيْنَا نَخْلٌ غيرها وغير الجَرْوَلَةِ ، فإنَّ عليها نَخْلاً مُحْدَثاً . انتهى . ويظهر مما أورده صاحب كتاب «بلاد العرب» عن مياه بني ربيعة بن قُرْط أن الجُبَاجِبَة من مياه نَمَلَى (رَغْبَا الآن) في جنوب عالية نَجْد .

مقتطفات :

من كتاب "الإيناس"

[سيصدر قريباً كتاب «الايناس في علم الأنساب» من منشورات (النادي الأدبي في الرياض) أعده للنشر صاحب هذه المجلة ، والكتاب وإنْ كان خاصاً بضبط الأسماء ، إلا أن المؤلف كثيراً ما يستطرد بإيراد نصوص أدبية وتاريخية ، معتمداً على مصادر قديمة ، مما يجعل لتلك النصوص أهميّة خاصة لدى الباحثين.

وها هي نماذج منها مما يتعلق بالشّعراء ، والترتيب ليس من عمل مؤلف الكتاب] .

أوسُ بن حَجَرٍ :

في تَميم : حدَّانُ بنُ قُرَيْعِ بْنِ عَوْف بن كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ زَيدِ مَنَاة بْنِ تَميمٍ ، منْهُم فَارسُ هبُّود ، وهو بُرْثُنُ بن شِهَابِ بْنِ النُّعْمَانَ بن جُبَيْل بْن حَدَّان بْنِ قُرَيْعٍ ، وكَانَ شَرِيفاً قَائِدَ بَنِي سَعْدٍ وَرَئِيسَهُمُ فِي الجاهليَّةِ .

ومنهُم عَلقَمةُ بنُ سَبَّاحِ بن جُبَيْل بْنِ حَدَّان . وكانَ في فُرسَان بَني سَعْدٍ ، ومَدَحَهُ أوْسُ بنُ حَجَرِ التَّميْميُّ .

أنشدني أبو سُلَيْمٍ قال أنشدني أبو بكْرِ بْنِ دُرَيْدٍ عن أبي حاتمٍ عن الأصمعيِّ عن أبي عَمْرِو بْنِ الْعَلاءِ ، وعَن أبي حاتم عن أبي عُبَيْدَةَ لِأَوْسِ بْنِ حَجَرَ في جملة ديوانه(١) يمدح عَلْقَمَةَ هذا :

وَدّعْ لَميسَ وَدَاعَ الصَّارِمِ اللاَّحي ... إذْ أفْنكَتْ في فَسَادٍ بَعْدَ إصْلاح
قَاتَلَهَا اللهُ تَلْحَانِيْ وَقَدْ عَلِمَتْ ... أنِّي لِنَفْسي إفْسادي وإصلاحي
إنْ أشْرَبِ الْخَمْرَ أوْ أرزَا لَهَاثَمناً ... فَلاَ محالةَ يَوْماً أنَّنِي صَاحي
وَلاَ مَحَالَةَ مِنْ قَبْرٍ بِمحْنِيَةٍ ... أو في مَلِيْعٍ كَظَهْرِ التِّرسِ وضَّاحِ
وَقَدْ لَهوْتُ بِمِثْلِ الرِّيمِ ، آنِسَةٍ ... تُصْبِي الْحَلِيْمَ عَرُوبٍ غَيْرِ مِكْلاَحِ
كأنَّ رِيقَتَها بَعْدَ الْكرَى اغْتُبِقَتْ ... مِنْ مَاءِ أدْكَنَ في الْحَانُوتِ نَضَّاح
أوْ مِنْ مُشَعْشَعَةٍ. ورهاء نَشْوَتُهَا ... أوْ مِنْ أنَابِيْبِ رُمَّان وتُفَّاح
يَاهَل تَرَى الْبَرْقَ لَمَّا نُمْتُ أرَّقني ... فِيْ عَارِضٍ مُسْتَطِيرِ الْبَرْق لَمَّاح

دَانٍ مُسِفٌّ فُوَيْقَ الأَرْضِ هَيْدَبُه ... يَكَادُ يَدْفَعُهُ مَنْ قَامَ بالرَّاحِ
يَنْفِي الحَصَا عَنْ حَدِيْدِ الأَرْضِ مُبْتَرِكاً(؟) ... كَأَنَّهُ فَاحِصٌ أو لاعِبٌ داحِ
فَمَنْ بِنَجْوَتِهِ كَمَنْ بِمَحْفِلِهِ ... والمُسْتَكِنُّ كَمَنْ يَمْشِي بِقِرْوَاحِ
سَقَى دِيَار بَنِي عَوْفٍ ومسكَنَهُم ... ودَار عَلْقَمَةِ الْخَيرِ ابْنِ سَبَّاحِ

أفْنُون التغلبي :

في رَبيعَةَ : حُبَيْبُ بْنُ عَمْرِو بن غَنْمِ بن تَغْلِبَ ، واسْمُ تَغْلِبَ : دِثَارٌ . مِنْهُم : الملقب بأفْنُونَ[٢] وهو صُرَيم بن مَعْشَر بن ذُهْل ابن تَيْمِ بن عَمْرِو بن مَالِكِ بْنِ حُبَيْبٍ القَائِلُ[٣] :

ألا لَسْتُ في شَيْءٍ فَرُوحاً مُعَاوِياً ... وَلاَ الْمُشْفِقَاتُ يَتَّبِعْنَ الحَوَازِيَا

أي لست في شيء من الحياة ، ولا المُشفِقَاتُ عليَّ في شيء من حَيَاتي .

فَطَأْ مُعْرِضاً إنَّ الخُطُوبَ كثيرةٌ ... وَإنَّكَ لا تُبْقي بِنَفْسِكَ بَاقِيا
وَلاَ خَيْرَ فِيمَا يَكْذِبُ المَرْءُ نَفْسَهُ ... وَتَقْوالِهِ لِلشَّيْءِ يا لَيْت ذَالِيا
لَعَمْرُكَ ما يَدْرِي امْرُؤٌ كَيْف يَتَّقِي ... إذَا هُوَ لَمْ يَجْعَل لَهُ اللهُ واقِياً
كَفَى حَزَناً أنْ يَرْحَل الرَّكْبُ غُدْوَةً ... وَأُصْبِحَ في أعْلَى إلاَهَةَ ثَاوِيا

إلاَهَةُ هَا هُنَا قَارةٌ بالسَّمَاوَة[٤] .

وَإنَّما أوردْنَا هذين البَيْتَين لاعتمادِنا أن لا نُخْلي فَصْلاً من مَعْلُوم غَيْرِ الأسْماءِ ، وبالله التوفيق .

جِعَالُ بْنُ زَيْدٍ :

وفي هَمْدَانَ نِهْمٌ ـ بِكَسْرِ النُونِ وإسْكَانِ الهَاءِ ـ بنُ رَبِيْعة بْنِ مَالِكِ بْنِ صَعْبِ بْنِ دَوْمَانَ بن بَكِيْلِ بْنِ جُشَمَ بْنِ خَيْرَانَ بْنِ نَوْفِ بن هَمْدَان ، وقَد قِيلَ : دُومَانُ بِالضَّمِّ والأَوَّلُ أثْبَتُ .

مِنهم : جِعَالُ بْنُ زَيْدِ بْنِ رَبِيْعَةَ ، ويُقَالُ : جِعَالُ بْنُ عَبْدِ بن رَبيعةَ كانَ شاعِراً ،

وله أقاصيص يطُولُ ذِكرُها .. وأنشدَني بعضُ أشياخنا لِجعَالٍ هَذَا وهِيَ قِطْعَةٌ من أحْسَنِ مَا حُفِظَ وذُوكِرَ به :

أَتَبَرَّمَتْ سَلْمَى مُدِلَّهْ ... أَمْ لِلصَّرِيمَةِ تِلْكَ عِلَّهْ
ويلُ أمِّ سَلْمَى لو وَفَتْ ... لَكَ بالَّذِي مَنَّتْكَ خُلَّهْ
من حُبِّهَا عَبَرَاتُهُ ... في الصَّدْرِ تَسْفَحُ مُسْتَهِلَّهْ
فَسَقَى الإلَهُ الدَّارَ إذْ ... بالدَّارِ تَجْتَمِعُ الأخِلَّهْ
قَدْ كُنتُ تُعْذَرُ في الصِّبَى ... أَيَّامَ أَنتَ عَلَيْكَ بَلَّهْ
أَوْدَى بِهَا رَيْبُ الزَّمَانِ ... وَكُلُّ ذَلِكُمُ تَعِلَّهْ
مَا مِنْ أَخٍ لَكَ لاَ تَعُدُّ ... وَلَوْ حَرَصْتَ عَلَيْهِ زَلَّهْ
والدَّهْرُ يَعْثُرُ بِالْفَتَى ... وَيَرِيشُهُ من بَعْدِ قِلَّهْ
وَالْمَرْءُ يَأْمَلُ أن يَعيشَ ... وَطُولُ هَذَا العَيْشِ مَلَّهْ
وَيَخُونُهُ وَيَمَلُّهُ ... أَهْلُ البِطَانَةِ والدُّخُلَّهْ
وَالْمَوتُ أَهْوَنُ حَادِثٍ ... مِمَّا يَمُرُّ عَلَى الجِبِلَّهْ

جَمِيلُ بن عبدالله بن معمر :

بن الحارث بن خَيْبَري بن ظَبْيان — وهو ضبيس — بن حُنٍّ بن ربيعة بن حرام بن ضِنَّة بن عبد كبير بن عُذْرة .

صاحب أم عبد الملك بُثينَةَ بنتُ حَبَّاءَ ابْنِ ثَعْلَبَة بن الْهَوذَاءِ بنِ عَمْرِو بْنِ الأَحَبِّ بْن حُنٍّ . التي يَقُول فيها :

إنَّ بَنِي عَمِّكَ أوعَدُونِي ... أنْ يَقْطَعُوا رَأْسِيْ إذَا لَقُونِيْ
وَيَقْتُلُوني ثُمَّ لا يَدُونِي ... قَدْ عَلِمَ الأَعْبُدُ أَنَّ دُونِي
ضَرْباً كإيْزَاغِ الْمَخَاضِ الْجُونِ ... أُنْمَى إلى عَادِيَةٍ زَبُونِ
يَشُقُّ عَنْها السَّيْلُ ذُو الشُّجُونِ

وَمِنْ قَوْلِهِ لَهَا :

قَالَتْ بُثَيْنَةُ مَا تُبَالي هَجْرَنَا   وَبَـلَـى ورَبِّكِ إنّي لأُبَـالِـيْ
صَدَأُ الـحَـدِيْـدِ بِمَنْكِبَيَّ كَأنَّني   جَـمَـلٌ يُغَشِّيْـهِ العنيَّةَ طَالِيْ
أبُثَيْـنَ هَـلْ تَـدْرِيْنَ كَمْ كَلَّفتِني   مِنْ عَقْرِ نَاجِيَةٍ وحَرْبِ مَوالي

وبُثَيْنَةُ شاعِرَةٌ والبيتان النُّونيَّانِ مَعْرُوفَان لها .

ومِنْ غَرِيْبِ شِعْرِها ما أنْشَدَهُ أبو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَن بن دُرَيْدٍ الأَزْديُّ لِبُثَيْنَة في خَبَرٍ طويْلٍ :

لا هُمَّ فَارِعَ الْغَيْب مِنْ جَمِيْل   واحْـفَـظْهُ فِي الْـبُـكْـرَة والأَصِيْل
واكْـنـفْـهُ في الرَّحِيْـل والنُّزُوْلِ   واطْوِ عَـلَـيْـهِ شُـقَّـة السَّـبِـيْـل
حَتَّى يُؤُوبَ سَالِماً خَلِيْلِيْ

حَاتِمُ الجواد :

ومَنْ هَزُومةَ ــ بن ربيعة بن جَرْوَلِ بن ثُعَلِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْغَوْثِ بن طَيِّءٍ ، حاتِمُ الجَوادُ بْنُ عبدالله بن سعد بن الحَشْرج بن امريءِ القيس بن عديٍّ بن أخزم بن هَزُومة .

السيِّدُ الشريف ، والشاعر الفصيح ، وهو القائل :

ألا أَبْلِغَا وَهْمَ بْنَ عَمْرٍو رِسَالَةً   فَإنَّكَ أنْتَ الْـمَرْءُ بالخَيْر أجْدَرُ
رَأيْتُكَ أدْنَى مِنْ أُنَاسٍ قَرَابَةً   وغَيْرُكَ مِنْهُم كُنْتُ أحْبُو وأنْصُرُ
إذا ما أتَى يَوْمٌ يُفَرِّقُ بيْنَنا   بِمَوْتٍ فكُنْ يا وَهْمُ ذُوْ يَتأخَّرُ(٥)

يُخَاطِبُ وَهْمَ بْنَ عَمْرو بن حُوَيص بن مالك بن امريءِ القيس ، وكان حاتِمُ مُصَارِماً له ، عِنْدَ مُفَاخَرَةٍ لبني لأُمٍّ بالْحِيْرة ــ وذلك يَمُرُّ بك مشروحاً في «أدب الخَوَاصِّ» إن شاء الله ــ فأتى حاتِمٌ وَهْمَ بْنَ عَمْرٍو ، فقالت له امْرَأَتُهُ : أيْ وَهْمُ هذا والله أبو سَفَّانة قَدْ طَلَع ! قال : ما لنا ولحاتِم ؟! أثْبِتِي النَّظَر ! ! فقالت : هُوَ هُو . فأقْبَلَ حاتِمٌ حتَّى سَلَّمَ عَلَيْه ، فقال : ما بَثُّك أبا سَفَّانَةَ ؟! قال : أخْطَرْتُ عَلَى حَسَبِي وحَسَبِكَ . فقال : في الرَّحْبُ والسَّعَة ، هذا ما لي فَخُذْهُ ، وكان عندهُ سَبْعُ مِئَةِ بَعِيْرٍ ، فأقْبَلَ يَحُوزُهَا لَهُ ، مِئَةً ، مِئَةً ، فانصرف عنه ، وقال هذه الأبيات .

وأكثر شعر حاتِمٍ حَسَنٌ ، ولكن ليس من شرط هذا التَّعليق الإطالة وبالله التوفيق[٦] .

دِجَاجَةُ بن أهْوَى :

ابن عَلْقَمة بن مَرْهُوب بْنِ هَاجِرِ بْنِ كَعْبِ بْنِ بَجَالَة بْنِ ذُهْلِ بْنِ مَالِكِ بن بَكْرِ بْن سَعْدِ بْنِ ضَبَّة ، وهُو حَسَنُ الشِّعْرِ ، ومن قولِهِ يَمْدَحُ رَجُلَيْن :

فَكَرًّا وَلَو شاءا لنجّاهُمَا معاً ... مِنَ الْمَوْتِ جَيَّاشَا الضُّحَى رَبِذَانِ
هُمَا تَرَكَا دَارَ الْهَوَانِ لأَهْلِهَا ... وغُودِرَ قَيْسِيٌّ بِهَا ويَمَانِ

دِجَاجَةُ بن عَبْدِ قَيْسٍ :

وفي تَيم عَبْدِ مَنَاةَ : دِجَاجَةُ بنُ عَبْدِ قَيْس بْن امْرِيءِ الْقَيْس بْن عِلْبَاء بْن رُبَيْع بْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِالله بْنِ لُؤَيٍّ بْن عَمْرِوبْن الحَارِث بْنِ تَيْم بن عَبْدِ مَنَاة بْنِ أُدِّ بْنِ طَابِخَة ، شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ وهُو القَائِلُ :

تَعَجَّبُ ممَّا قَدْ عَلاَ الرَّأسَ جَارَتِي ... وقد شَمِطَتْ قَبْلِي فَلَمْ أَتَعَجَّبِ
وَلَسْتُ بفَحَّاشٍ ولاَ ذِي نَمَامَةٍ ... يُزجِّي إلَيْهِمْ كُلَّ أَفْعَى وعَقْرَبِ

وإيَّاهُ عَنَى ذَبَّابُ بنُ مُعَاوِيَة العُكْلِيُّ ، إذْ يَقُولُ :

ألاَ أبْلِغَا تَيْماً فإنِّي مُكَلِّمٌ ... دِجَاجَتَكُمْ هَذَا الَّذِيْ لا يُكَلَّمُ
سَتُقْصِرُ أو تَنْهَاكَ عَنّي عَظِيمَةٌ ... مِنَ الأمْرِ تَعْيَاهَا القَوابِلُ مُتْئِمُ

تعياها بمعنى تَعيي بها .

دِجاجة بنت صفوانَ :

بن حُصَيْن بن مُوَيْلِك بن مُلَيْل بن رفاعة بن سالم بن عُبَيْد بن سعد بن عوف بن كعب بن جلاّن بن غَنْم بن غَنِيٌّ .

وكانت شاعرة ، وهيَ الْقَائِلَةُ تَنْصُرُ أُمَّها في مُفَاخَرَةٍ كانَتْ بيْنَها وبيْنَ بَعْض نِسآء قَوْمِها .

تَقُول ما قَالَتْ لَهُمْ قطَام   وَكُلُّ قَوْمٍ لَهُمُ إمَامُ
أوْلاَدُ سَعْد عِزُّهَا اللُّهَامُ   وَذَادَةٌ إذْ وَقَفَ الْخُصَّامُ

وأُمُّها قَطَام بِنْتُ حَنَش بْنِ مُوَيْلِكٍ ابْنَةُ عَمِّ أَبِيهَا ، شَاعِرةٌ أيضاً مُحْسِنَةٌ ، وَهِي القَائِلَةُ :

فذَرذَاً وَلَكِنْ ما تَرَى ضَوْءَ بَارِقٍ   يُضِيءُ سَنَاهُ الْبَاءَ باللَّيْل أكْدَرَا
تَحدَّرَ من غَوْرِيَّةٍ وانتحَى بِهِ   صُدُور غَمَام فاسْتَهَل فَامْطَرَا
كَأنَّ خُزَامَاهُ إذا اعْتَمَّ نَبْتُهُ   وَسَاوَى بأطْرَافِ العِضَاهِ وَنَوَّرا
قُطُوعُ رِحَالٍ أوزرانيٌّ تَاجِرٍ   عَلَى حِيْنَ أنْ بَثَّ العِيَابَ وَنَشَّرَا

ومِنْ قَوْلِهَا لِعَوْفِ بْنِ الأَحْوَص الْكِلاَبِيِّ ، واسمُ الأحْوص : رَبِيْعَةُ ، وكَانَ عَوْفٌ يُهَاجِيهَا فَقَالَتْ لَهُ :

أَعَيَّرتَنِي دَآءً بِأُمِّكَ مِثْلُهُ   وَذَلِكَ دَآءٌ طَاهِرٌ لا يَضِيْرُها
بَنُو غَنَوِيَّاتٍ كِرَامٍ مَوَاجِدٍ   أَعَاشَكَ ما ضَمَّتْ عَلَيْكَ حُجُورُهَا

في أبياتٍ طَوِيْلَةٍ ، وقصَصٍ مُمْتَدَّةٍ .

أبو ذَهْلَبٍ[٨] الراجزُ :

وقال أبو اليقظان : ومن حَدَّان هاولاء[٩] : أبو ذَهْلَبٍ الراجزُ ، وهو القائِل وكان يَزِيْدُ بنُ مُعاوِيَةَ أمَرَهُ أنْ يرجُزَ بالأُرْدُنِّ :

حَنَّتْ قَلُوصِي أمْس بِالأُرْدُنِّ
حِنِّي فَمَا ظَلَمْت أنْ تحنِّيْ
حَنَّتْ بِأعْلَى صَوْتِهَا المُرِنِّ[١٠]

الزُّبَيْرُ بن عَبْد المطَّلب :

وفي قُرَيْش : الزُّبيرُ ــ مفتُوح الزَّاي ــ في قَولِ أحمدَ بْن يَحْيَ البَلاذِريِّ والبَاقُونَ كُلُّهم عَلَى ضَمِّهَا ، ابْنُ عَبْدِ المطَّلِبِ ابن هَاشِم عَمُّ رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّم ،

وأخو أبيه لأُمِّهِ وماتَ ورسُول اللهِ صلى الله عَلَيْهِ وسلَّم لَمْ يُبْعَثْ ، لِبْنُ تِسْعٍ وثلاثين سنةً ، وقَدْ قيل أَنَّهُ مَاتَ أيامَ المَبْعَثِ ، وهُوَ كَانَ المتَكَلِّمُ في عقْدِ حِلْفِ الفُضول الَّذِي تعاقَد فيه بَنُو هَاشِمٍ ، وَبَنُو المُطَّلب بن عَبْدِ مَنافٍ وَبَنُو أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى بْنِ قُصَيٍّ ، وَبَنُو زُهْرَة بن كِلاَبٍ وَبَنُو تَيْمِ بن مُرَّةَ بْنِ كِلاَب ، في دَارِ أَبي زُهَيْرٍ عَبْدِاللهِ بْنِ جُدْعَانَ التَّيمِيِّ ، عَلَى مَنْعِ الظُّلْم .

وفي هذا الحِلْفِ يَقُولُ نُبيْهُ بْنُ الْحَجَّاج السَّهْميُّ ، وَكَانَ أَرادَ أَنْ يَغْصِبَ رَجُلاً مِنْ خَثْعَمَ بِنْتاً لَهُ ، يقال لَهَا الْقَتُولُ ، فَمَنَعَهُ هَؤلاءِ الأَحْلاَفُ .

زَالَ صَحْبِيَ ولَمْ أُحيِّ الْقَتُوْلا ... وَأودِّعْهُمْ وَدَاعاً جَمِيْلا
لا تَخَالِي أَنِّي عَشِيَّةَ رَاحَ الـ ... رَكْبُ هُنْتُمْ عليَّ أَلاَّ أَقُوْلاَ
بَلْ خَشِيْتُ الفُضول فيْكِ وقِدْماً ... قَدْ أرانِي وَلاَ أَخَافُ الْفُضُوْلاَ

وقال نُبيْهُ أيْضاً :

حَيِّ الْمَلِيْحَةَ إذْ نَأتْ ... مِنَّا عَلَى عُدَوائِهَا
لاَ بِالْفِرَاقِ تُنِيلُنَا ... شَيْئاً ولاَ بِلِقَائِهَا
لَوْلاَ الْفُضُولُ وَأنَّهُ ... لاَ أَمْنَ من غُلَوائِهَا
لَدَنَوْتُ مِنْ أبْيَاتِهَا ... وَلَطُفْتُ حَوْلَ خِبَائِهَا
وَلَجِئْتُهَا أمْشِي بِلاَ ... هَادٍ عَلَى ظَلْمَائِهَا
فَشَرِبْتُ فَضْلَةَ كَأْسِهَا ... وَلَبِتُّ فِي أحْشَائِهَا

وكان الزُّبيْرُ شاعِراً ، وأنا لاَ أُفَضِّلُ عَلَيْهِ مِنْ شُعراء قُرَيْشٍ إلاَّ الْقَلِيْلَ ، وَمِنْ قَوْلِهِ :

وَلَسْتُ كَمَنْ يُمِيْتُ الْغَيْظَ عجزاً ... وَلَكِنِّي أُجِيْبُ إذَا دُعِيْتُ
وَيَنْهَى عَنِّي الْمُخْتالَ صَدْقٌ ... رقِيْقُ الْحَدِّ ضَرْبَتُهُ صَمُوتُ
يكَفِّيْ مَاجِدٍ لَم يَقْنَ ضَيْماً ... إِذَا يَلْقَى الْكَتِيْبَةَ يَسْتَمِيتُ
ولَوْلاَ نَحْنُ لَمْ تَلْبس رِجَالٌ ... ثِيَابَ أعزَّةٍ حتَّى يَمُوتُوا

وقال الزُّبيرُ أيضاً :

تَرْمِي بَنُو عَبْد مَنَافٍ إذَا ... أُظْلَمُ مِنْ حَوْلِيَ بالْجَنْدَلِ
لا أَسَدٌ تُسْلِمُني لا ولا ... تَيْمٌ ولا زُهْرَةُ لِلنَّيْطَل

ومن قوله :

إنِّي إذَا مَرَّ مَالَى لاَ أُكَلِّفُهُ ... إلاَّ الغُزَاة وإلاَّ الرَّكْضَ في السُّرُبِ
وَأَنْ أُقِيمَ بِأَرْضٍ لا أَشُدُّ بها ... صَوْتي إذَا ما اعْتَرَتْني سَوْرَةُ الغَضَبِ

ومن قول الزُّبَيْر :

تَذَكَّرْتُ مَا شَفَّنِي إنَّما ... يُهَيِّجُ مَا شَفَّهُ الذَّاكِرُ
وَيَمْنَعُهُ النَّوْمَ حَتَّى يُقالُ ... بِهِ سَقَمٌ بَاطِنٌ ظَاهِرُ
فَلَو أنَّ حَجْلاً وأَعْمَامَهُ ... شُهُودٌ وَقُرَّةُ والطَّاهِرُ

حَجْلٌ ، وقُرَّةُ ، والطَّاهِرُ : بَنُو الزُّبَيْر ، وقَدْ كَانَ لَهُ أَخٌ يُقَال له حَجْلُ أيضاً .

وَلَكِنَّ غُوْلاً أَصَابَتْ بِهِمْ ... وَفِيهِم لِمُضْطَهِدٍ نَاصِرُ
فلا يَبْعد القومُ إذ وَدَّعُوا ... وأَسْقَى قُبُورَهُم المَاطِرُ
نَجَاء رَبِيعٍ لَهُ وَابِلٌ ... لَهُ خَضِرٌ ولهُ زَاهِرُ

وَكَانَتْ للزُّبَيْر بِنْتٌ يُقَالُ لَهَا : ضُبَاعَةُ ، تَزَوَّجَهَا المِقْدَادُ ابْنُ عَمْرٍو ، المَعْرُوفُ بالمِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ ، والأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثَ زَوْجُ أُمِّهِ ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى جَوَازِ النِّكاح في المُسلمِينَ غَيْرِ الأكفاءِ في النَّسَب .

طَيْسَلَةُ بن بَسِيلٍ :

وَفِي تَمِيمٍ : بَسِيلُ بنُ مَحْكَانَ بن جِرْوَة بن قَبِيصَة ، بن مَجْدِ بن أُبَيٍّ ابن الحَارِثِ بن حُنْجُودِ بن .

وابنه طَيْسَلَةُ بْنُ بَسِيلٍ ، شاعِرٌ .

وَجِدتُ له بِخَطِّ يعقوبَ بْنِ السِّكِّيتِ في أنْسَابِ بَنِي حُنْجُودٍ يُرَقِّصُ ابْنَهُ مُقَلَّداً :

مُقَلَّدٌ يُحِبُّهُ فُؤادي ... حُبَّ المُمَنَّى المَاءَ وهو صَادِي

بِغَدَوَاتِ نَازِحِ الْبِلَادِ حَيْثُ يَضِلُّ الشَّمَّرِيُّ الهَادِي

ومنْ قَوْله يَرْثِي زَوْجَهُ رِبحلَةَ بِنْتَ جَميل بْنِ جِرْوَةَ :

لقد نَزَعَتْ رِبَحْلَةُ من حِبَالي بِأَسْبَابِ وكنْتُ بها ضَنِينَا
وَكَانَتْ لاَ يُهَالُ الجَارُ مِنْها ولا تَلْحَى عَلَى العَدَمِ القَرِينَا

وقَالَ لابْنِهِ قُرَيْطٍ ، وافْتَرَض :

غَزَا لَمْ يُؤَامِرنِي قُرَيْطٌ ولَمْ يكنْ لِينْهَاهُ أَمْرٌ للصَّرامةِ عن أمْرِي
يَقُولُ لَهُ الأَعْدَاءُ إذْ يُزْعِجُونَهُ لفَيْءُ الرُّدَيْنِيَّاتِ خَيْرٌ مِنَ الفَقْرِ
ومَا في اجْتِلَادِ الأَزرقيَّةِ راحَةٌ ومَطْرُورة الأَعْرَاضِ جَائِرَة الْهَبْرِ

عَبْدَةُ بْنُ الطَّبِيب :

واسْمُ الطَّبِيبِ زَيْدُ بْنُ مَالِكِ بْنِ امْرِيءِ الْقَيْس بْن مَرْثَدِ بْنِ حَنْظَلَة بْن سُبَيْع بْنِ عَبْدِ نُهْمِ بْنِ جُشَم بن عَب الشَّمْسِ ، وقَد قِيل في نَسَبِهِ غَيْرَ ذَلِكَ ، إلاَّ أنِّي كَذَا وَجَدْتُ بِخَطِّ إِسحَاقَ وعَرْضِهِ على عُلماءِ دَهْرِهِ ، وأنا بِهِ أَوْثَقُ ، وكَذَا وَجَدتُ بخطِهِ (عب الشمس) عَلَى مَا صَوَّرْتُهُ لَكَ وَهَذَا يُوهِمُنِي أنَّهُ كَانَ يَقُولُ : عَبشمْس ، بِكَسْرِ البَاء ، لِأَنَّ اللَّفظَ بِذَلكَ يقاربُ اللَّفْظَ بصُورَة الكَلِمةِ منْ خَطِّ اسْحَاق .

قال إِسْحَاقُ : قالَ أَبو زَيْدٍ : قَدْ أَدْرَكَ عَبْدَةَ الإسْلام ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ أَبُوهُ الطَّبِيبَ بقوله :

كَفَفْتُ الأَذَى عَنَّا بِعَضْبٍ مُهَنَّدٍ وَإِنِّي بِجَهْلِ الْجَاهِلِيْنَ طَبِيبُ

وكَانَ حَمَّادُ بْنُ أبي لَيْلَى الرَّاوِيَةُ يَقُولُ : كَانَ عَبْدَةُ حَبَشياً ، وعَبْدَةُ شَاعِرٌ مَعْدُودٌ مَشْهُورٌ صَاحِبُ القَصِيْدَةِ التي فيها :

وَالْمَرْءُ سَاعٍ لِأَمْرٍ لَيسَ يُدْرِكُهُ والْعَيْشُ شُحٌّ وإشْفَاقٌ وتأمِيْلُ

وصَاحِبُ القَصِيْدَةِ الْعَينِيَّةِ التي أَوَّلُها :

أَبُنَيَّ إنّي قَد كَبِرْتُ وَرَابَنِيْ بَصَرِي وفيَّ لِمُصْلِحٍ مُسْتَمتعِ

وَأَشْعَارُهُ حِسَانٌ ولكنَّني يُعْجِبُني مِنْ قَوْلِهِ :

نَمَا الشَّوْقُ حَتَّى ظَلَّ إنسَانُ عَيْنِهِ يَمِيحُ بِمَعْنُودٍ منَ الدَّمعِ مُتْأَقِ
وَمَا يَرْعَ مِنْ وصْلٍ أَخٌ لاَ يَزَلْ لَهُ جَدِيْداً ومَا يَتْرُك مِنَ الوَصْلِ يُخْلِقِ

وابْنُهُ : أُثَالُ بْنُ عَبْدَةَ بْنِ الطَّبِيْبِ القَائِلُ :

وَلَمَّا الْتَقَى الأَبْطَالُ واشْتَجَرَ الْقَنَا سِجَالاً وأَسْبَابُ الْمَنايا سِجَالُها
تَبَيَّنَ لِيْ أَنَّ الْقَمَاءَة ذِلَّةٌ وَأَنَّ أعِزَّاءَ الرِّجَالِ طِوَالُها
هَتَفْنَا لِسَعْدٍ واعْتَزَوْنَا لِطَيِّئٍ أُسُوْد الشَّرَى إِقْدامُهَا وَنِزالُها

ابن هَرْمَةَ الشاعر :

وفي قُريش ثم في فِهرٍ منها : هَرْمَة بن .... ومنهم : ابنُ هَرْمَةَ الشاعِرُ[١١] الذِي كانَ يَقولُ أبو عَبْدِاللهِ محمد بنُ الأعرابي ، مَوْلَى مُجَالِدٍ ، ومُجَالِدٌ مَولَى أبي جَعْفَرٍ المنصُور : (خُتِم بابْنِ) هَرْمَةَ الشِّعْرُ ، واجْتَازَ يوماً بالمدِينَةِ على إخْوَانٍ لَهُ ، وَهُوَ بأَقْبحِ حَالٍ تكُونُ من السُّكْرِ ، فَلاَمُوهُ لمَّا صَحَا فقَال :

يَا سُبحَانَ اللهِ ما أعجَبَكُمْ ، أَنَا في طَلَبِ مِثْلِ هَذِهِ السَّكْرةِ منْذُ حِيْنٍ ، أما سَمِعْتُموني أقولُ :

أَسأَلُ اللهُ سَكْرَةً قَبْلَ مَوْتِي وَصِيَاحَ الصِّبْيَان : يا سَكْرَانُ ! !

وقَالَ ابنُ هَرْمَةَ :

مَا أَظُنُّ الزَّمَانَ يَا أُمَّ عَمْرٍو تَارِكاً إنْ هَلَكْتُ مَنْ يَبْكِيني

قَالَ مُصْعَبٌ الزُبَيْرِيُّ :

فأخبرَني مَن رَأَى جِنَازَتَهُ ، ومَا معَها إلاَّ أَرْبَعَةٌ يَحْمِلُونَهَا حَتى دَفَنُوهُ بالبَقِيع .

وَحدَّثني بَعضُ أَصحَابِنَا ، قَال : سَأَلَهُ أَبو جَعْفَرٍ من القائِل :

وَمَهْمَا أُلاَمُ عَلَى حُبِّهِمْ ... فَإِنِّي أُحِبُّ بَنِي فَاطِمَهْ
بَنِي بِنْتِ مَنْ جَآءَ بِالْمُحْكَمَا ... تِ وَالدِّينِ وَالسُّنَّةِ الْقَائِمَهْ

فقال : قائِلُها مَنْ مَصَّ بظْرَ أُمِّهِ ، فلما خَرَجَ قَالَ لَهُ ابنُهُ وكان معه ـ : أَلَسْتَ قَائِلَهَا ؟ قَالَ ؟ يَا بُنَي (أَيّمَا خَيْرٌ أَمَصُّ [بظر الأمّ] أو يأخُذُني ابْنُ قَحْطَبَةَ ؟! وقال عيسى بنُ عَلِيِّ بن عَبْدِاللهِ بْنِ العَبَّاسِ : كُنْتُ جَالِساً عِنْدَ أَبِي جَعْفَر حتّى دَخَلَ عَلَيْهِ ابْنُ هَرْمَةَ ، فقَالَ : يَا عَمّ مَا رأيْتُهُ إلاَّ هَمَمْتُ بِقَتْلِهِ ، فقُلْتُ : يا أَمِيرَ الْمُؤمِنِينَ أَلَيْسَ الَّذِي يَقُولُ فِيكَ :

كَرِيمٌ لَهُ وَجْهَانِ وَجْهٌ لدَىَ الرِّضَا ... أَسِيلٌ وَوَجْهٌ فِي الكَرِيهَةِ بَاسِلُ
لَهُ لَحظَاتٌ عَنْ حفَافِيْ سَرِيْرِهِ ... إِذَا كَرَّهَا فِيهَا عِقَابٌ وَنَائِلُ

فقَالَ : نَعَمْ ، أَوَ لَيْسَ الذِيْ يَقُولُ في عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ سُلَيْمانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْن مَرْوَان ؟ :

إِذَا قِيلَ مَنْ خَيْرُ مَنْ يُجْتَدَى[١٢] ... لِمُعْتَرِّ فِهْرٍ وَمُحْتَاجِهَا
وَمَنْ يُعْمِل[١٣] الخَيْلَ يَوْمَ الوَغَى ... بِالْجَامِهَا قَبْلَ إِسْرَاجِهَا
أَشَارَتْ نِسَآءُ بَنِي مَالِكٍ ... إِلَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَزْوَاجِهَا

وقَالَ عيسَى بنُ عليّ : مَا زَالَ المنصوُرُ يُشَاوِرُنَا في أَمْرِهِ حتَّى مَدَحَهُ ابْنُ هَرْمَةَ ، فقال :

إِذَا ما أَرَادَ الأَمْرَ نَاجَى ضَمِيْرَهُ ... فَنَاجَى ضَمِيراً غَيْرَ مُخْتَلِفِ الْعَقْلِ
وَلَمْ يُشْرِكِ الأَدْنَيْنَ في جُلِّ أَمْرِهِ ... إِذَا انتَقَضَتْ بِالأَضْعَفِيْنَ عُرَى[١٤] الْحَبْلِ

وَكَانَ أَبُو جَعْفَرٍ لَمَّا ابْتَنَى مَدِينَتَهُ ، كَتَبَ إِلى عُمَّالِهِ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ وَبَلَدٍ ، يَأْمُرُهُم أَنْ يوجِّهُوا إِلَيْهِ بِالخُطَبَآءِ والشُّعَراءِ فَوَجَّهَ إِليهِ أَهْلُ المدِينَةِ خُطَبَاءَهُمْ وشُعَرَاءَهُمْ وفيهم ابْنُ هَرْمَةَ .

قال ابْنُ هَرْمَةَ : فَدُعِيَ قَبْلِي الشُّعَرَآءُ كُلُّهُمْ والخُطَبَآءُ حتّى لَمْ يَبْقَ غَيْرِي ثم قِيْل لِيْ : قُمْ فأدْخُلْ ، فقُمْتُ أَمَامَ سِجْفٍ كَانَ أَبُو جَعْفَرٍ ورآءهُ يَرَى النَّاسَ ولاَ يَرَوْنَهُ ، وأَبو

الْخَصِيبِ مَوْلاَهُ قَائِمٌ مع السَّجْفِ والرَّبِيعُ يَمْشِي بَيْنَهُ وبَيْنَ النَّاس فَقَالَ الرَّبِيعُ : هَذَا ابْنُ هَرْمَةَ ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ :

فلاَ أَنعمَ اللهُ بِه عَيْناً ، ثم استَدنيتُ ، وَقِيلَ لِيّ : أَنْشِدْ أَمِيرَ الْـمُؤْمِنِينَ فَأَنْشَدْتُهُ حَتَّى قُلتُ :

تَزُورُ امْرأً لاَ يُبْرِمُ الْقَوْمُ أَمْرَهُ وَلاَ يَنْتَجِي الأَدْنَيْنَ فِيمَا يُحَاوِلُ
وَلَيْسَ بمُعْطِي الْعفُوَ عَنْ غَيْرِ قُدْرَةٍ وَيعْفُو إِذَا مَا أَمْكَنَتْهُ الْمَقَاتِلُ
لَـهُ لَحَظَاتٌ عَنْ حِفَافَي سَرِيْرِهِ إِذَا كَرَّهَا فِيهَا عِقَابٌ ونَائِلُ

قَالَ : فَقَالَ ارْفَعِ السِجْفَ ، فَرُفِعَ ثُمَّ استَدْنَاني ، فدنَوتُ حتَّى قَرُبْتُ مِنهُ ثم قَالَ لِي : اجْلِسْ فَجَلَسْتُ ، ثم قال لِي : قَدْ كُنتُ نَذرتُ أَنْ أَقْتُلَكَ وَأَعْجَبَتْنِي أَبْيَاتُكَ هَذِهِ ووُقُوعُكَ فِيهَا عَلَى صِفَتي . وسكَت ، فأَطْرَقْتُ فَمَا رَاعَنِي إِلاَّ قَضِيبُ خَيْزُرانٍ قَد أَخَذَ قَفَاي فَضَرَبني ضَرْبَةً ما رَأَيْتُ مِثْلَهَا قَطُّ ، فَقُلْتُ : أَصْبَرُ مِن عَوْدٍ بِجَنْبَيْهِ جُلَبْ[١٥] ، قَالَ : فدعَالي بِعَشرَةِ آلاَفِ دِرْهَمٍ وَقَالَ : لَولاَ أَنِّي أَكْرَهُ تَفَضُّلَ الْمُسِيءِ عَلَى الْمُحْسِنِ لَفَضَّلْتُكَ على جَمِيعِ الشُّعَرَاءِ ، فدَعَوتُ لَهُ ، فقَالَ لِي : لَعَلَّكَ تَعُودُ ! ! فقُلْتُ : لاَ وَاللهِ لاَ أَعُودُ لشَيءٍ يكْرَهُهُ أَمِيرُ الْـمُؤْمِنِينَ أَبداً ، فقَالَ : وَاللهِ لَئِنْ عُدْتَ لأَقْتُلَنَّكَ . ورُوِيَ في خَبَرٍ آخر أَنَّهُ قال لَهُ ـــ وقَدْ أَعطَاهُ عَشَرَةَ آلاَفِ دِرْهَمٍ ـــ : احْتَفِظ بِهَا ، فقَالَ : يَا أَمِيرَ الْـمُؤْمِنِينَ أَلقَاكَ بِهَا عَلَى الصِّرَاطِ بِخَاتِمِ الْجِهْبَذِ .

الحواشي

(١) «ديوان أوس» مطبوع ، وهذه القصيدة قد تُنْسَبُ لعَبِيْدِ بن الأبْرَص ، وهي في ديوانه أيضاً ، وجاء في هامش مخطوطة (المتحف البريطاني) من كتاب «الايناس» : على البيت الأول : (بخط ابن المغربي : أفنكْت أتَتْ بالفِنْك ، بوزن الفِعْلِ وهو العَجَبُ . قلت : في شعر أوس بن حَجَر روايتي بخط الحامض : إذ فنكت . وقال المُفَسِّر : فنكت : لَجَّتْ وتمادتْ . ويقال : اعتمدت . وهذه القصيدة تجيءُ في شعر عَبِيد بن الأبرص ، وفي روايتي بخط ابن السِّكِّيتَ : إذ أفنكت . وقال : أفنَكتْ : أفندت : من [الفند] الكذب انتهى ما هو واضح من تلك الحاشية .

(٢) قال الآمديُّ في «المؤتلف والمختلف» : قيل له أُفنون لقوله :

مَنَّيْتَنا الْوُدَّ يا مضنون مضمونا أَيامنَا إنَّ للشُّبَّانِ أُفْنُونا

(٣) الأبيات من قصيدة في «المُفَضَّلِيَّات».

(٤) في هامش مخطوطة (جستربتي) : (الجوهري : وقيل اسم موضع بالجزيرة قال ابن بَرِيٍّ : قال بعض أهل اللغة : الرواية : وأَتْرُكُ في عُلْيَا أُلَاهَةَ ثَاوِياً — بضم الألف ، وهي مفازة سَمَاوة كَلْبٍ قال : وهذا هو الصحيح لأنَّ بِهَا دُفِنَ قائِلُ هذا البيت) انتهى.

وأقول : أنظر عن ألاهة قسم (شمال المملكة) ص ١٢٣ — وهي قارة لا تزال معروفة ، تشاهد من بلدة طُرَيْفٍ في الشمال الشرقي منها على نحو أربعين كيلاً ، ولكن الاسم ينطق الآن بحذف الهمزة (لاهة) ومن شعر إحداهنَّ :

بعدك من خِلِّي بعد الركعا عن لَاهَةَ

وهو مثل يضرب للشيئين المتباعِدَيْن ، والركعاء جَوٌّ فيه آبارٌ يقع في الحزول — المعروفة قديماً باسم حَزْن بني كلب ، في الجنوب الشرقي من السماوة حيث تقع لاهة على نحو ثلاثين كيلاً غرب لوقة والمسافة بين الموضعين لاهة والركعاء تقارب مئتي كيل.

(٥) الأبيات الثلاثة وردت في «ديوان شعر حاتم» ص ٢٧٢ — تحقيق الدكتور سليمان جمال ، وورد ذكر وَهْمٍ الممدوح (ص ١٨٠/ ١٨٨/ ١٩٠) ولم أر فيه الخبر الذي أورده صاحب «الإيناس».

(٦) وورد ذكر حاتم الطائي في أول هذا الكتاب أيضاً بما نَصُّه : (والغريبُ المُشْكِلِ أنَّ في طَيِّءٍ رَجُلاً يقال له عَبْدُ مالِكٍ بن عبد الأُلَةِ — مثل العُلَةِ مخفَّفاً — قال النَّسَّابُونَ : أرادُوا بعَبْدِ الأُلَةِ : عَبْدَالله ، وهو عبد الأُلَةِ بن حارثة بن غَزِيَّةَ بن صُهْبَانَ بن عَمَمِ بن عَمْرٍو ، بن سِنْبِسَ بن معاوية بن جَرْوَل بن ثُعَلِ بن عمرو ، بن الغوث بن طَيِّءٍ — ويقولونهُ موصولاً بلفظٍ قد صَوَّرْتُهُ لكَ (عَبْدُ لُلَةَ) بغير تحقيقٍ للهمزة ، وعبد مالكٍ هذا يُقَالُ له (ذُو الحَصِيْرَيْنِ) لأنه كان له حَصِيْرَانِ من جَرِيْدٍ ، مُقَيَّرَانِ ، يَجْعَلُ أحَدَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، والآخَرَ خَلْفَهُ ، ثُمَّ يُسْنِدُ نَفْسَهُ بإزاء السَّلْفِ إذَا جَاءَهُمْ عَدُوٌّ ، وهو الذي يقول فيه حاتِمٌ الطَّائِيُّ :

وذُو الحَصِيْرَيْنِ امْرُؤٌ في أُسْرَةٍ غُلْبٍ السَّوَالِفِ مَنْ يُلاقُوا يَفْرِسُوا
وَمُوَطَّأُ الأَكْنَافِ غَيْرُ مُلَعَّنٍ بالحَيِّ ، مشاءٌ إلَيْهِ المَجْلِسُ

— بالحيِّ : أراد في الحيِّ —.

ومن ولد ذي الحَصِيرَيْن : أُمَيَّةُ بِنْتُ عُقْبَةَ بْنِ زَحْرِ بْنِ ذِي الحَصِيرَيْنِ ، القائلة لأبيها زَحْرٍ ، وكانَ زَوَّجَهَا من رَجُلٍ من هَمْدَانَ ، فقالت أُمَيَّةُ :

فَقُلْ لأبِيْ ، زَحْرٍ إذَا مَا لَقِيْتَهُ
فَفِيمَ — السَّمَوَالِيْ مِنْ رُكُوبِ النَّجَائِبِ

وجاء في حواشي مخطوطات الكتاب :

١ — السَّلْفُ قال ابن السكيت : السلفُ طريق في الجبل مُسْتَوٍ عن نسخة المتحف البريطاني) وفي هامش نسخة (جستربتي) : (قال الوزير السَّلَفُ — بتحريك اللام ، والذي وجدته بخطوط العلماء بسكونها ، وفي رواية ابن الكلبي : ثم يَسُدُّ بنَفْسِهِ بَابَ السَّلْفِ ، إذا جاءهم العدوُّ ، والسَّلْفُ طريق في الجَبَل مُسْتَوٍ). انتهى.

وأقول : السَّلْفُ — بفتح السين وإسكان اللام وآخره فاءٌ — لا يزالُ معروفاً ، وهو وادٍ يَشُقُّ وسط جبل أجا ، وترفده شعاب من الجبل ، من أشهرها شِعْبُ بُلْطَةَ ، وشعبُ مَدَرٍ ، وشِعْبُ مِسْطَحٍ ، ويَنْحَدِرُ وادِي

السَّلْفِ مشرقاً بِمَيْلٍ نَحْوَ الجنوب حتى يخرج من الجبل ، فيلتقي بوادي الأُدَيْرِع ، حيث تجتمع سيول أكثر الأودية الواقعة شرق الجبل وجنوبه .

ولم أر للسَّلْفِ ذِكراً فيما اطلعت عليه من معجمات الأمكنة ، وما ورد هنا يفيد بقدم التسمية . ولكن يلاحظ أن السَّلْف المذكور وادٍ واسع ، بحيث لا يستطيع سدَّهُ سوى كثير من الناس ، ولعله في القديم كان ضيِّق المجْرى ، أو أن المقصود أحد منافذه الضيقة .

٢ ــ وفي هامش نسخة (المتحف البريطاني) حاشية لم يتضح منها إلا : (وجدت بخط الفزاريّ في شعر حاتم : ذُو الحَصِيرَيْنِ : عبد مالك بن عمر بن ... سِنْبِس ، أحد .. عُقْدَة ، وعُقْدَة ...) انتهى

ويفهم من هذا أنه من بني عُقْدَة من سِنِبِس ، وبِعُقْدَةَ سُمِّيَتْ قرية عُقْدَة التي لا تزال معروفة داخل جبل أجا ــ وانظر عنها قسم (شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» .

٣ ــ وفي هامش نسخة (المتحف) فوق أول بيت : (وذو الْحَصِيرَين) ما نَصُّهُ : (مخزوم) وفيه : (ليس مخزوماً ، بل موقوص ، والوقص حَذْفُ الثاني المتحرِّك في آخر الكامل) انتهى .

وقد ورد في البيت في «ديوان شعر حاتم» تحقيق الدكتور عادل سليمان جمال ــ أنظر عنه «العرب» س ١٣ ص ٧٢/ ٤٧٧/ ٦٠١ وس١٤ ص ٣١٣ ــ في قصيدة بهذا النص :

أَوْ ذُو الْــحَصِيرِ ، وفَــارِسٌ ذُو مِــرَّةٍ
بِــكَــتِــيْــبَــةٍ مَنْ يُــدْرِكُوهُ يُــفْــرَسُ

وعلّق المحقق عليه : (كان في الأصل «الأغاني» : ذو الحصين ، خطأ ، والتصويب من «المحكم» .

وأرى أن صواب البيت ما جاء في كتاب «الايناس» لقدم المؤلف ، ولجودة أصول الكتاب .

(٧) ورد اسم (أهوى) في «المؤتلف والمختلف» للآمدي (زهري) وأراه تصحيفاً ، ووصفه بأنه فارس شاعر ، وأورد له :

قومي تَـمِـيـمٌ ، والـرِّبـابُ عِـادِي وأنـا ابْنُ ضَبَّةَ ، في النِّصَابِ الأكْرَمِ
مَنْ يـأتـنـا لِـجَـلِـيْـلِ أمْرٍ خـائِـفـاً أوْ قـاصِـداً لِـسماحَـةٍ وتَـكَـرُّمِ
يـجـدِ النَّدَى والعِزَّ حَوْلَ بُيُوتِنَا والخافِـقـاتِ وكـلُّ طِـرْفٍ مِـرْجَـمِ
وَعَـلـيْـمُـنـا مُـتـعَـفِّـفٌ مُـتـكَـرِّمٌ وعلى الْـغَـنِيِّ ضَـمَـانُ حَقِّ الـمُـعْـدِمِ

(٨) كذا ورد الاسم معجم الذال في الأصول ، وكذا ورد في «تاج العروس» نقلاً عن كتاب البلاذري في الأنساب ، ويظهر أن كتاب البلاذري هو مصدر صاحب «الايناس» .

وجاء في مطبوعة كتاب «المؤتلف والمختلف» للآمدي ــ كما سيأتي ــ مهملة الدال .

(٩) ومنهم ــ يقصد بني حَدَّان بن قُرَيْع ــ المار ذكرهم عند ذكر أوس بن حَجَر .

وأبو اليقظان اسمه عامر بن حفص توفي نحو سنة ١٩٠ ومن مؤلفاته : «أخبار تميم» وكتاب «النسب الكبير» .

(١٠) وورد الرجز في كتاب «المؤتلف والمختلف» للآمدي ــ ص ١١٧ ــ تحقيق المستشرق (فريتس كرنكو) منسوبة إلى أبي دَهْلَبٍ أحد بني ربيعة بن قُرَيْع بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ــ وفي آخرها :

في خَرْعَبٍ أجَشَّ مُسْتَجِنِّ
فيهِ كتهذيمِ نَوَاحِي الشِّنِّ

←

تاج العـــروس
من جـــواهـــر القامـــوس
— ٢٠ —

وكان زَمَنُ صدور الجزء الثالث عشر من «تاج العروس» متقدماً أي في سنة ١٣٩٤ (١٩٧٤ م) غير أنَّ النسخةَ التي وصلت إليّ في ذلك الحين عندما تصفَّحتُها وجدتُ فيها نقصاً ١٦ صفحة من ٢٤٠ إلى ٢٥٧ مكان النقص أوراقٌ مكررةٌ .

فطلبتُ من الأخ الأستاذ سعود الجُمْرَان الْعَجْمِيِّ أن يبعث إليّ نسخة من ذلك الجزء ، فكرم بِبَعثِها ولكن وصولها تأخَّر ثم بعثَ إليَّ نسخة أخرى وعند تصفح النسختين وجدتُهُمَا ناقصتين أيضاً وبعد ذلك وجدتُ نسخة كاملة في (مكتبة كلية الآداب في جامعة الرياض) .

← أو نقب الضِّنْج ارتِجَاسَ الغَنّ .

وانظر رسم (عوير) من «معجم البلدان» .

(١١) اسمه إبراهيم وهناك اختلاف في اسم أبيه والأكثرون على أنه علي ، وهو كناني مدني توفي سنة ١٧٦ وله ديوان شعر مطبوع .

وفي هامش نسخة (جستر بيتي) : هو إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هَرْمة بن الْهُذَيْل بن الرَّبِيْع بن عامر بن صُبْح بن عَدِيّ بن قَيْس) — وهو الْخَلِيْجُ — بن الحارث بن فِهْر .

(١٢) في نسخة (جستربتي) : يُرْتَجَى . وفي هامشها : يُجْتَدَى .

(١٣) وفيها : (ومن يَعْجِل) .

(١٤) وفيها : (قَوَى) .

(١٥) : الْجُلَبُ : عِيدَانُ الرَّحْلِ ، يقصد أنّهُ كالْجَمَلِ الذي أثّرَ في جَنْبَيْهِ الرَّحْلُ من كثْرَةِ الحمل عليه ، فهو مُذَلَّلٌ ، والمثَلُ في رَجَزٍ تمثَّلَ به حَلْحَلَةُ بن قيس الفزاري لما قُرِّبَ للقَتْلِ :

أَصْبَرُ مِنْ عَوْدٍ بِدَفَّيْهِ الْجُلَبْ قَدْ أَثَّرَ الْبِطَانَ فِيْهِ والْحَقَبْ

— وانظر رسم (العاه) من قسم (شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» — ص ٨٧٦ —.

تاج العروس

من جواهر القاموس

— ٢٠ —

وكان زَمَنُ صدور الجزء الثالث عشر من «تاج العروس» متقدماً أي في سنة ١٣٩٤ (١٩٧٤ م) غير أنَّ النسخةَ التي وصلت إليّ في ذلك الحين عندما تصفَّحْتُها وجدتُ فيها نقصاً ١٦ صفحة من ٢٤٠ إلى ٢٥٧ مكان النقص أوراقٌ مكررةٌ .

فطلبتُ من الأخ الأستاذ سعود الجُمْران العَجْميّ أن يبعث إليّ نسخة من ذلك الجزء ، فكرم بِبَعثِها ولكن وصولها تأخَّر ثم بعثَ إليَّ نسخة أخرى وعند تصفح النسختين وجدتُهُمَا ناقصتين أيضاً وبعد ذلك وجدتُ نسخة كاملة في (مكتبة كلية الآداب في جامعة الرياض) .

← أو نقب الصِّنْج ارتِجَاسَ الغَنّ .

وانظر رسم (عوير) من «معجم البلدان» .

(١١) اسمه إبراهيم وهناك اختلاف في اسم أبيه والأكثرون على أنه علي ، وهو كناني مدني توفي سنة ١٧٦ وله ديوان شعر مطبوع .

وفي هامش نسخة (جستربيتي) : هو إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هَرْمة بن الهُذَيْل بن الرَّبيع بن عامر بن صُبَيح بن عَدِيّ بن قَيْس) — وهو الخَلَج — بن الحارث بن فِهْر .

(١٢) في نسخة (جستربيتي) : يُرْتَجَى . وفي هامشها : يُجْتَدَى .

(١٣) وفيها : (ومن يَعْجِل) .

(١٤) وفيها : (قُوَى) .

(١٥) : الجُلَبُ : عِيدَانُ الرَّحْلِ ، يقصد أنّه كالجَمَلِ الذي أثَّرَ في جَنْبَيْهِ الرَّحْلُ من كَثْرَةِ الحمل عليه ، فهو مُذَلَّلٌ ، والمَثَلُ في رَجَزٍ تمثَّلَ به حَلْحَلَةُ بن قيس الفزاري لما قُرِّبَ للقَتْلِ :

أَصْبَرُ مِنْ عَوْدٍ بِدَفَّيْهِ الجُلَبْ   قَدْ أَثَّرَ البِطَانُ فِيهِ والحَقَبْ

— وانظر رسم (العاه) من قسم (شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» — ص ٨٧٦ — .

فكان أنْ طالعتُ ذلك الجُزْء ، وعلقتُ عليه هذه الملاحظات .

وأكرر القولَ بأنّ أكثَر الملاحظات لا يَنْصبُّ على عمل المحقّق ، بل يتعلَّقُ بجوهر الكتاب الذي لا شك أنه أصبح من أهَمّ مصادر اللغة ، ولهذا ينبغي أن تكون المعلومات التي يحويها على درجة من الصحة تتناسب مع منزلة الكتاب لدى الباحثين .

وأُعيْدُ القولَ بأنَّ مؤلفَ الكتاب على جلالة قدره ، وقعتْ منه أخطاء يمكن إرجاعُها إلى أسباب :

١ — منها أنه ينقل من مؤلفات قديمة نقلاً غَيْرَ صحيح ، فقد ينسب إلى كتابٍ ما ليس فيه ، ومن ذلك أنه قد ينسب إلى «معجم ما استعجم» للبكري ما نقله من كتاب «معجم البلدان» .

٢ — ومنها أنَّه قد يَخْتَصر النقولَ اختصاراً مُخِلاً فياقوت مثلاً قد يورد أقوالاً متعددة في تحديد مَوْضع وهي تنطبق على مواضع اسمها واحدٌ فيأتي صاحب التاج فَيُلَفِّق بين قولين متغايِرَيْن ظناً منه أنهما ينطبقان على مَوضع واحد .

٣ — ومنها أنه قد يُضيف إلى النَّص الذي يَنقله من زياداته ما لا يتّصل به كأن يقول ياقوت مثلاً : القنفذة من مياه بَني نُمَيْر فيزيد صاحب «التاج» على هذا النص بأنها مِيْنَاء علَى البحر وما أَبْعد ما بين الموضعين ! !

٤ — ومنها أنه يأتي بزيادات من عنده على ما يذكره صاحب «القاموس» وكثير من تلك الزيادات لا تعتمد على أصول صحيحة بل يعتورها التصحيف .

٥ — ومنها أنه عوّل كثيراً على مؤلفات الصاغانيّ وهي وخاصة في أسماء المواضع التي لا يعرفها الصَّاغانيُّ نَفْسُه لا تخلو من التصحيف الذي هو داءٌ قلَّ أَنْ يَسْلَمَ منه مخطوط لُغَويٌّ .

وبعد هذه المقدمة ألْقِي نظرة على هذا الجزء الذي حققه الدكتور حسين نصّار وراجعه الأستاذان عبد العليم الطحاويُّ وعبد الستار أحمد فراج .

إنه يبدأ بمادَّة (ع ر ر) من باب الراء وينتهي بمادة (ق ي ر) من باب الراء أيضاً .

ويقع في (٥٠٢) من الصفحات.

والكتاب من حيث جودة الطبع وحسن الإخراج على الدرجة المعهودة في جميع الكتب التي تصدرها وزارة الإعلام الكويتية بعنوان (التراث العربي).

أما عمل المحقق الجليل الدكتور حسين نصار فعلى دَرَجة من الجودة والإتقان تتّضح لمطالع ذلك الجزء.

ولولا أنّي أَخَذْت على نفسي تَحْقِيق رغبة أَبْدَتْهَا لي إحدى الجهات للاستمرار في الحديث عن كل الأَجْزاء التي صدرتْ من ذلك الكتاب بعناية وزارة الإعلام الكويتية لولا ذلك لما تَعرَّضْتُ للحديث عن شيء من أجزائه، فقد أَوْضَحْتُ فيما كتبته عنه جَوَانِبَ تعتبر أساساً لما يمكن أنْ أقوله عن كل ما بقِي من تلك الأجزاء.

وأنا وأنْ كنتُ أُجل الإخوة الأجلَّة الذين حققوا ذلك الكتاب، وتربطني بكثير منهم روابط قوية من المعرفة والصّلة والمحبة، والأُخُوَّة، إلا أنني لا أرى في موقفي من بعض أعمالهم في التحقيق ما يُؤَثِّر في تلك الرَّوابط، وخاصة بالنسبة لمن ينظر إلى الموضوع نظرةً متسامية عن كل غاية لا تَمُتُّ إلى العلم بِصلة.

ولن أُطيل فأنا لا أَتَصَوَّرُ أنَّ واحداً من أولئك الأخوة يتأثّر من إبْدَاء ملاحظات حول عمله، وليست منه في الصَّميم.

ولن يَبْلُغَ منّي حُسْنُ الظنِّ بنفسي أنْ أعتبر تلكَ الملاحظات صحيحة كُلَّهَا، ولكنني أنظر إليها باعتبارها وسيلة من وسائل التباحث مع عُلَماء قد يَبْدُو لي من آرائهم ما يُغَيِّر وجْهة نظري فيما أبديته من تلك الملاحظات.

وقد يكون في التباحث معهم ما يُفِيْدُ مَنْ يقتني ذلك السِّفْرَ الذي صدر منه الآن نحو عشرِيْن جُزْءاً ومن المُحْزِنِ أن تَذْهَبَ الجهود العظيمة المبذولة في سبيل نشره، دون إشادةٍ أو ذكرٍ، أو استفادة منه.

١ — ص ١٧:

(فجَعَلا بينهما رَجُلاً منْ بني حُمَيْري بْنِ قُرانَ، وكانَتْ أُمُّهُ ضَبِّيَّةً. فحَكَمَ أنَّ ناصية

خَزِيمة لأُنَيْفِ بن جَبَلَة) انتهى .

صواب الجملة — على ما في كتاب «الخيل» للغندجانيّ والكتاب لا يزال مخطوطا — و«شرح المفضَّليَّات» لابن الأنباري — ج٢ ص ٢٣ —: فجعلا بينهما رَجُلاً من بني حِمْيَرِيِّ بْنِ يَرْبُوع ، يقال له الحارث بن قُرَّان . انتهى .

وحِمْيَرِيٌّ — بكسر الحاء وإسكان الميم وفتح المثناة التحتية الأولى وكسر الراء بعدها مثناة تحتية — لا كما وقع في المطبوع — وهو ابن رِيَاح بن يَرْبُوعٍ ، بطن من بني يربوع .

وقُرَّان — بفتح الراء مشددة وضم القاف .

٢ — ص : ٢٠ — :

(وعِرَارُ بْنُ عِجْلِ بن عبد الكريم ، منْ آل قَتَادَة) انتهى .

ضَبْطُ اسْمُ عرار — بكسر العين — يخالف ما هو معروف الآن بين العرب ، فهم ينطقونه بالفَتْح ، أمَّا بالكسر فَيُسَمُّونَ بِهِ الدُّبُرَ .

٣ — ص ٢٧ —:

(يَحْيَى بْنُ مُعين) .

المعروف في ضبط اسم (معين) أبي يحيي العالم المحدث المشهور — فَتْحُ العَيْنِ (مَعِين) لا ضمها ، كما وقع في المطبوع وقد نَصَّ على ذلك صاحب «القاموس» نفسه ، قال في رسم «معن» : ومَعِيْن — كأَمِيْرٍ — بلدٌ بالْيَمَنِ ، ووالد يحيي بن مَعِيْنٍ الإمام الحافِظ ، وزاد صاحب «التاج» تقدمتْ ترجمَتَهُ في عَون وعَين انتهى .

ومَا هُنَا تطبيع ينبغي التنبيه عليه لأنَّهُ يُغَيِّرُ المعْنَى .

٤ — ص : ٦٩ —:

(وفي حَديث خَيْبَر : سَلَكَ رسُول الله ، صلى الله عَلَيْهِ وسلَّم ، في مَسِيرة إلَيْها عَلَى عِصْر ، هُوَ (بالكسر) ، هَكذا ضَبَطَه الصاغانيُّ في التَكْمِلَةِ ، وضَبَطَه ابنُ الأثير بالتحريك ، ومثلُه في مُعْجَم أبي عُبَيْدٍ : (جَبَلٌ بين المَدِينَةِ) الشَّرِيْفَةِ (ووادي الفَرْع) ،

وعِنْدَهُ مَسْجِدٌ صَلَّى فيه رَسُولُ الله ، صَلَّى الله عليه وسلم) انتهى .

الذي في «معجم ما استعجم» لأبي عُبَيْدٍ البكري — في رسم (خيبر) بعد أن أورد الحديث — : (هكذا رُوِيَ عنه — يعني ابْنِ اسحاق — بفتح العين وإسكان الصاد المهملة بعدها راءٌ مهملة ، وفي بعض النسخ : عَصَر — بفتح الصاد — انتهى . فقد ذكر للاسم ضَبْطَيْنِ ، ولم يقْتَصِرْ على التَّحْرِيك .

٥ — ص : ٨٤ —

قال :

خَلَا الجَوْفُ من أَعْفَار سَعْدٍ فَمَا بِهِ لِمُسْتَصْرِخٍ يَشْكو البُتُولَ نَصيرُ

أحال المحقق إلى «اللسان» ولم يذكر القائل ، وهو الأُحَيْمِر السَّعْدِي التيمي من قصيدة أورد ياقوت بعض أبياتها في «المعجم» في رسم (الجوف) وفي رسم (الأبرشية) وفي رسم (دَوْرق) . والبيت في «المعجم» :

خَلَا الْجَوْفُ من قُتَال سَعْدٍ فما بها لمستصرخ يدعو الثبور نصيرٌ

وإذنْ فلا شاهد فيه على (أعفار) وقد تكون كلمة (قتال) تصحيف (فُتَّاك) .

وانظر عن الأُحَيْمِر السَّعْدِي كتاب «المؤتلف والمختلف» للآمدي .

٦ — ١٠٩ —:

(وعَقْرٌ : اسْمُ (أرْضٍ ببلاد قَيْسٍ) بالعَالِيَةِ ، قال الشاعر :

كَرِهْنَا العَقْرِ عَقْرَبني شُلَيْل إذَا هَبَّتْ لِقَارِئِهَا الرِّيَاحُ

(و) عَقْرٌ : بِبلاد بَجِيْلَةَ) .

يلاحظ هنا أن المؤلف استشهد بالبيت على الموضع الذي في بلاد قيسٍ ، في العالية ، وعطف عليه الموضع الذي ببلاد بَجِيلة مع أن الشاهد لا ينطبق إلّا على الذي في بلاد بَجيلة .

ولو رجع المحقّقُ الفاضل إلى أقرب المصادر منه وهو «معجم البلدان» لوجد ما

نَصُّهُ : وعَقْرُ بني شُلَيْلٍ ، قال تأبَّطَ شرًّا :

شَنِئْتُ الْعَقْرَ عَقْرَ بَني شُلَيْلٍ إذَا هَبَّتْ لِقَارِئِها الرِّيَاحُ

وشُلَيْلُ من بَجِيلَةَ ، وهو جَدُّ جَرِيْرِ بنِ عبداللهِ البَجَلي — انتهى — فقد أوضح خطأ صاحب «التاج» وذكر قائل البيت الذي فاتَ الْمُحقِّق تخرِيْجُهُ .

٧ — ص ١١٠ —:

(و العَقَارُ : (رَمْلَةٌ) بالْقَرِيَتَيْنِ (قُرْبَ الدَّهْنَاء . و) العَقَارُ : (أرضٌ لِبَني ضَبَّة) بنِ أُدٍّ ، (و) أيضاً (أرضٌ لِبَاهِلَةَ) ، بأكْنَافِ اليَمَامَةِ) . انتهى .

العقار ضبطه أبو أحمد الْعَسْكَري بضم العين والقول بأن العقار رملةٌ بالقريتين قرب الدَّهنا خَلْطٌ ومَزْجٌ بين قولين أوردهما ياقوت فقال : والعَقَار رملة قريبة من الدهناء عن الْعمْرَانِيِّ . وقال نَصْرٌ : العقار موضع في ديار باهلة . وقيل العقار رَمْلٌ بالْقَرْيَتَيْنِ . وقال أَبو عُبَيْدَةَ في قول الفرزدق :

أَقُولُ لِصَاحِبيَّ مِنَ التَّعَزِّيْ وقَدْ نَكَّبْنَ أكْثِبَةَ الْعِقَار

— أكثبة : جمع كثِيْبٍ . والْعِقَارُ : أرضٌ ببِلاد ضَبَّةَ —

أَعِيْنَانِي عَلَى زَفَراتِ قَلْبٍ يَحِنُّ بِرَامَتَيْنِ إلَى النَّوارِ

— إلى آخر ما ذكر ياقوت —

والخَلْطُ بين القولين نشأ عنه خَطَأٌ ، فالْقَرْيَتَانِ لَيْسَتَا قُرْبَ الدَّهْنَاء ، بل في وسط بلاد القَصِيْم — انظر عن تحديد موقعهما مجلة «العرب» س١٥ جزء جمادى سنة ١٤٠١هـ وكتاب «بلاد القصيم» أحد أقسام «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» .

والمدقق في النصوص التي أوردها ياقوت يتضح له أن العقار الذي بقرب القريتين هو الذي ببلاد ضبة ، ولتوضيح هذا يحسن الرجوع إلى رسم (الشُّقَيِّقَةِ) في كتاب «بلاد القصيم» فقد أوضح مؤلفه الأستاذ الشيخ محمد العبودي أن العقارَ جانبٌ من نُفُود

الشُّقَيِّقَةِ الوَاقع بينَ رامتَيْنِ وبين القريتين .

وفي كتاب «أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع» في الكلام على انتهاء سيل وادي التسرير (وادي الرشاء الآن) جاء قوله : (وإنَّما يَرِدُّ التَّسْرِيْرُ الْعَقَارُ ، وهو حَبْلُ رَمْلٍ عظيم ، عرضه ثمانية أميال ، وهو على طريق أهْلِ أُضَاخ إلى النَّبَاج — انتهى — وهذا يُؤَيِّد رأي الشيخ الْعبُّوْدِيِّ .

٨ — ص : ١١٣ —:

(والْعُقَيْر ، (كزُبَيْر : د ، بهَجَرَ عَلِي) شاطِيء (الْبحْرِ . و) العُقَيْرُ : (نَخْلٌ لِبَنِي ذُهْلٍ) بن شَيْبَانَ (باليَمَامَةِ . و) العُقَيْرُ : نَخْلٌ لِبَنِـي عامِرٍ) بن صَعْصَعَةَ ، (بِهَا) أيضاً . انتهى .

العُقَير البلد الذي بهَجَر ، لا يزال معروفاً ، وهو مَرْفأ على ساحل الخليج ، ولكنَّ إضَافَتِي صاحِبِ «التَّاج» وهما : (ذهل بن شيبان) و(عامر بن صعصعة) أبعدتا بالموضعين الآخرين عن مكانهما الصحيح ، فبنو ذُهْل مِنْ حنيفة وكذا بنو عامر وها هو نَصُّ كلام ياقوتٍ في «معجم البلدان» وهو مصدر صاحب «القاموس» : (العُقَيْرُ قَرْيَةٌ على شاطيء البَحْرِ ، بِحِذَاءِ هَجَرَ .

والْعَقَيْرُ باليمامة نَخْلٌ لبني ذُهْل بن الدُّيْلِ بْنِ حَنِيفَةَ ، وبها قبر الشيخ إبراهيم بن عَرَبِيٍّ ، الذي كان وَالِي اليمامة في أيَّام بني أُمَيَّة .

والْعُقَيْرُ — أيضاً — نَخْل لبني عامر بن حَنِيْفَةَ ، باليمامة ، كلاهما عن الحفصي . انتهى أمَّا بلاد بني عامر بن صعصعة فَلاَ تَصِلُ إلاَّ إلى الحُدود الغربية الجنوبية من اليمامة وهي بعيدة عن بلاد حَنِيْفة في عِرْضِها المعروف الآنَ باسم (باطن الرياض) .

وبلاد بني ذهل بن شيبان شرق الجزيرة في أطراف العراق بعد ظهور الإسلام .

٩ — ١٣٩ —:

(والْعَمَّارَةُ) ، بالتَّشْدِيد : (مَاءَةٌ جاهلِيةٌ) لها جِبَالٌ بيضٌ ، ويَلِيها الأَغْرِبة وهيَ

جِبَالٌ سودٌ ، ويَلِيهَا بِرَاقٌ رزْمَة بَيْضٌ . انتهى .

ولكن أيْنَ تَقع هذه المواضع من أرض الله العريضة ، ولمن هي مِنَ القبائل ؟! أنظر لمعرفة ذلك كتاب « بلاد العرب » لِلُغْدَةَ — ص ٢١٥ — تلك المواضع في عالية نجد ، وكانتْ منْ بلاد بني كِلَابٍ منْ هوازن ، وهي في عَالِيَةِ نَجْدٍ .

١٠ — ص : ١٤٠ —

(وبُسْتَانُ ابنِ عَامِرٍ بنَخْلَةَ) ، وهو عبدُاللهِ بن عامِرِ بن كُرَيْزِ بن رَبِيْعَةَ . (ولا تَقُلْ) بُسْتَانَ (ابنِ مَعْمَرٍ) فَإِنَّه قَوْلُ العَامَّة ، هَكذا قاله الصاغانيُّ ، وتَبِعَه المصنِّف . ونقلَ شيخُنا عن « مراصِدِ الاطّلاع » للصَّفيِّ الحَنْبليِّ ما نصُّه : وبُسْتَانُ ابنِ مَعْمَرَ مُجْتَمع النَّخْلَتَيْن : النَّخْلَةَ اليَمَانيَة والنَّخْلَة الشامِيَّة ، وهُمَا وَادِيَان ، والنَّاسُ يقولون بُسْتَانُ ابنِ عامِرٍ ، وَهُو غَلَطٌ ، انتهى . قال : وعَلَيْهِ اقتَصَرَ أكثَرُ المُتَكَلِّمينَ على الأماكن ، ولا أَدْرِي ما وَجْهُ إنْكَارِ المُصَنّف له ، ولعلَّه التَّقْلِيْدُ . انتهى .

ولكن صاحب « مراصد الاطلاع » لَخَّص كتاب « معجم البلدان » تلخيصاً مُخلاً ، وكان الأَوْلَى بصاحب « التاج » الرجوع إلى « معجم البلدان » لِيَجِدَ أنَّ مؤلف « القاموس » عكس الأمر ، فقد جاء في « معجم البلدان » عن الأصمعي وأبي عُبَيْدَةَ — وهما أوثق وأعلم بالمواضع من صاحب « مراصد الاطلاع » :— بستان ابن مَعْمَرٍ مُجْتَمِعُ النَّخْلَتيْنِ ، النخلة اليمانيةِ والنخلة الشاميّةِ ، وهما واديان ، والناس يسمونه بستان ابن عامرٍ وهو غلط ، قال الأصمعي وأبو عُبَيْدَة وغيرهما : إنّما هو لعمر بن عبدالله ابن مَعْمَرٍ — ثم ساق نسبه وأضاف :— ولكن الناس غلطوا فقالوا : بستان ابن عامر ، وبستان بني عامرٍ ، وإنما هو بُسْتَان ابن مَعْمَرٍ ، وقوم يقولون ، نُسِبَ إلى حَضْرَمِيٍّ بْنِ عامر ، وآخرون يقولون : نُسِبَ إلى عبدالله بن عامر بن كُرَيْزٍ ، وكلُّ ذلك ظَنٌّ وتَرْجيم — وأطال ياقوت في هذا — ومنه يتَّضح أن صاحب « القاموس » وقبله الصاغاني انعكس عليهما الأَمْرُ .

١١ — ص : ١٤٠ —:

(والعُمَيْرُ ، كزُبَيْرٍ) : مَوْضِعٌ (قُرْبَ مَكَّةَ) حَرَسَها الله تعالى : وقد جاء في شعْرِ عَبِيد

ابْنِ الأبْرَص) انتهى .

وَعَلَّق المحقق : ليس في ديوانه المطبوع.ولكنَّ الاسمَ ورد مصحفا بالعين المهملة ، وهو بالغَيْنِ المعجمة على ما في «معجم البلدان» : قال أبو المُنْذِرِ : سُمِّيَ الْغُمَيْر لأنَّ الماءَ الذي غمر ذلك الموضع غَيْرُ كثير ، موضع بين ذات عِرْقٍ والبُسْتَان ، وقبله بميلين قبر أبي رِغالٍ . وغُمَيْر أيضاً — موضعٌ في ديار بني كلاب ، عند الثَّلَبُوتِ ، وغُمَيْرُ الصَّلْعَاء من مياه أجَإٍ أحدِ جَبَلَيِّ طَيِّءٍ بقرب الْغُرَي ، قال عَبِيْدُ بنُ الأبْرَصِ :

تَبَصَّرْ خَلِيلِيْ هل تَرَى مِنْ ظَعَائِنٍ
سَلَكْنَ غُمَيْراً دُوْنَهُنَّ غُمُوْضُ ؟

— ثم أورد بعده ثلاثة أبيات —

فأنتَ ترى أنَّ الاسم يطلق على مواضع ، وأنَّ كلام عَبِيْدٍ لم يُوْرِدْه ياقوتُ شاهداً على الموضع الذي قرب مكة ، وعَبِيْد أسَدِيٌّ وبلاد بني أسَدٍ هي التي عند الثَّلَبُوْتِ ، شمال الْقَصِيْمِ وحَوْلَهُ ، بعيدةٌ عن مكة .

وقد ورد اسم هذا المواضع في رسم (غَمَرَ) — بالغين المعجمة — في «القاموس» وشرحه — ص ١٦٢ وكما سيأتي : ولكنَّ ياقوتاً — رحمه الله — أورد الاسم أيضاً مُصَحَّفاً في رسم (عمر) بالعين المهملة قائلاً : الْعُمَيْرُ موضع قرب مكة يصب منه نخلة الشامية ، وبِئْر عُمَيْرٍ في حَزْم بني عوال — وهو ها هنا اسم رجل ، وعُمَيْر اللصوص : قرية من قرى الحيْرة ، — وأورد شعرا لِعَدِيّ بن زَيْد — وقال بعده : وهو في شعر عبيد أيضاً عن نَصْر . وقد رَجَعْتُ إلى مخطوطة كتاب نَصْرٍ فوجَدْتُ ما نَصَّهُ : (باب الغُمَيْر ، والْعُمَيْر : أما بِالْغَيْنِ : موضع بين ذات عِرْقٍ والبُسْتَان ، وقبله بميلين قَبْرُ أبي رِغَالٍ ، وأيْضاً في ديار بني كلابٍ عند الثَّلَبُوْتِ .

وأمَّا بِالْعَيْنِ المُهْمَلَةِ في شعر عَبِيْدٍ انتهى .

ومجمل القول :

١ — أنَّ ياقوتاً ومَنْ حَذَ حَذْوَهُ لم يتحقق لديه صواب الاسم الواقع في طريق مكة

في وادي نَخْلَة هل هو بالغين المعجمة أو العين المهملة ، فأورده في الموضعين ، وتلك عادة ياقوت فيما لم يتحقق عنده وجه الصواب فيه . من أسماء المواضع . ولكن اسم الموضع بالغين المعجمة على ما ورد في كتب علماء سبقوا زَمَن ياقوت .

منهم الإمام الحربي في « المناسك » ولُغْدَةُ الأصبهانيّ في « بلاد العرب » وغيرهما ممن لا داعي للإطالة بذكر أقوالهم .

٢ ـــ قول عَبِيْد بن الأبرص ـــ سواء ورد الاسم فيه بالعين أو الغين ـــ لا ينطبق على الموضع الذي في وادي نَخْلَةَ ، في قول أحد من المتقدمين الذين اطَّلَعْتُ على كلامهم ، وكما يفهم من إيراد ياقوت له . وقد ينطبق على الموضع القريب من الثَّلَبُوتِ ، حيث بلاد بني أَسَدٍ ، قَوْم عَبِيْدٍ .

٣ ـــ لا أَستَبْعِدُ أنَّ في قول نَصْر : وأيضاً في ديار بني كلاب عند الثَّلَبُوْتِ ـــ نَقْصاً أو خَطَأً ، فالثَّلَبُوتُ بعيد عن ديار بني كلاب ، إذا كان الوادي المشهور الواقع شمال القصيم ، المعروف الآن باسم وادي (الشُّعْبَة) . وقد يكون المقصود موضعاً غيره ، فأسماء المواضع ـــ كأسماء الناس ـــ قد لا تختص بواحدٍ .

١٢ ـــ ص : ١٤٨ ـــ :

قال : وسَمِعْتُ ناساً من أَهْلِ مَكَّةَ يقُولون : هُوَ صفع ثَوْرٍ في بَحْرِ الْهِنْدِ . انتهى يَعْنِي العَنْبَرَ .

وردت كلمة (صفع) بالصاد المهملة والصواب إعجامها (ضَفْع) ولا تزال الكلمة . مُسْتعملة لدى البادية في نَجْدٍ ، فيقولون للرجل الحقير هو ضَفْعٌ وضَفْعَةٌ ويقصدون سَلْحُ البَقَرِ (خِثْيُهُ) .

١٣ ـــ ص ١٨٢ ـــ :

قال في « ع ي ر » : وتِعارٌ ، بالكَسْر : اسمُ جَبَلٍ ، قال بِشْرٌ يصف ظُعْناً ارْتَحَلْن من منازلهن فشبههنّ في هَوَادِجهن بالظِّبَاء في أَكْنِسَتِهَا :

بَـلِـيْـلٍ مـا أُتَيْنَ على أرُومٍ   وشـابَـةَ عنْ شَمَائِـلِـهـا تِـعـارُ
كَـأنَّ ظِـبَـاءَ أسْـنُـمَـةٍ عَـلَيْهَـا   كَوَانِسَ قـالصـاً عنهـا الـمَغَارُ

قال المَغَارُ : أمَاكنُ الظِّباءِ ، وهي كُنُسُها .

وأُرُوم : موضعٌ . وشابَةُ وتعارُ : جَبَلَانِ في بلاد قَيْس) . انتهى .

ما أوسع بلاد قيس عَيْلَان ، وجبل تِعَار في بلاد بني سُلَيْمٍ ، في عَالِيَةِ نَجْدٍ ، بقُرْبِ أَبْلَى ، بمنطقة مَعْدَنِ بني سُلَيْم (مَهْد الذّهَب) .

١٤ ــ ص ٢١٠ ــ :

(و) غُدَرُ ، (كزُفَرَ : مِخْلَافٌ باليَمَن) ، فيه ناعِط ، وهو حِصْنٌ عَجِيبٌ قيل : هو مَأْخُوذٌ مِنْ الغَدْرِ ، وَهو المَوْضع الكَثيرُ الحجارةِ الصَّعْبُ المَسْلك ، ويُصَحَّف بغُذَر ، كذا في «مُعْجَم ما اسْتعجم» . انتهى .

ولم أجد في مطبوعة «معجم ما استعجم» هذا الكلام ولا ذِكْراً لموضع في اليمن بهذا الاسم ، وإنما ورد فيه عَرَضاً في ذكر الرَّامُوسَة اسم غدر ، بين حلب والرّقة ــ أي في بلاد الشام وصاحب «تاج العروس» كثيراً ما يخلط بين «معجم البلدان» و«معجم ما إستعجم» فينسب لأحدهما ما هو في الثاني ، وهكذا فعل هُنَا ، فالكلام في «معجم البلدان» رسم غُدر ، وعَدَّهُ من مخاليف اليمن .

ولم أجد هذا الاسم أثنا تَصَفُّحي لكتاب «صفة جزيرة العرب» مع أنَّ ياقوتاً نقل وصف مخاليف اليمن عنه . ولا أستبعد أنَّ الاسم مُصَحَّفٌ .

١٥ ــ ص ٢٢٠ ــ :

(و) الأَغَرُّ : فَرَسُ مالِكِ بنِ حَمّادٍ . انتهى .

وأشار المحقق إلى أن في «التكملة» و«العُبَاب» ونسخة من «القاموس» : حِمَار .

وأُضيف : حِمَار ــ بالراء وتخفيف الميم ــ هو الصواب ، وهو مالك بن حِمَارٍ الشمخي الفزاري ، على ما في كتاب «النقائض» ــ ٦٧٤ ــ وكتاب «الخيل» للأسود

الغندجاني وورد اسمه في شعر النابغة :

زَيْدُ بْنُ بَدْرٍ حاضِرٌ بِعُرَاعِرٍ وعلى كُنَيْبٍ مالِكُ بن حِمَارِ

ـــ «ديوان النابغة» ص ١٢٩ ـــ و«معجم البلدان» رسم كُنَيْبٍ ـــ من قصيدة رَائِيَّةٍ منها :

وعَلَى الرُّمَيْثَةِ من سُكَيْنٍ حاضِرٌ وعلى الدُّثَيْنَةِ من بني سَيَّارِ

١٦ ـــ ص ٢٢٠ ـــ :

(ولكنَّ فَرَسَ تَمِيمِ بنِ طَرِيفٍ قِيل إنَّهَا الغَرَّاءُ لا الأَغَرُّ ، كما في «اللِّسَان» ، وسيأتي) انتهى .

وأقول : صواب الاسم : طَرِيْفُ بْن تميم ـــ وهو ابن نامية بن عَدِيّ بن جُنْدَب الْعَنْبَرِيّ ومن شعره في فرسه :

تَحْتِي الأَغَرُّ ، وفوْقَ جِلْدِي نَثْرَةٌ زَغَفٌ تَرُدُّ السَّيْفَ وهْوَ مُثَلَّمُ

فهو الأغَرُّ ـــ وبهذا الاسم ورد في كتابي ابن الأعرابي والأسود الغندجاني ، وهما أعلم من صاحب «اللسان» في هذا الشأن .

١٧ ـــ ص ٢٢٠ ـــ :

(وفاتَه الأَغَرُّ فَرَسُ بَنِي جَعْدَةَ بنِ كَعْبِ بنِ رَبِيْعَةَ) .

وفيه يقول النابِغَةُ الجَعْدِيُّ :

أَغَرُّ قَسَامِيٌّ كُمَيْتٌ مُحَجَّلٌ خَلَا يَدَهُ اليُمْنَى فَتَحْجِيْلُهُ خَسَا

لم أر في كتب الخيل لابن الكلبي وابن الأعرابي والأسود الغندجاني من ذكر أنَّ لبني جَعْدَةَ فرسا يُدْعى الأَغَرّ .

وقول النابغة لا يقوم دَلِيْلاً على ذلك فالْغُرَّةُ صِفَةٌ من صفات الخيل ، والأَغَرُّ في قول النابغة وَصْفٌ كالكميت وليس عَلَماً .

ويقال مثل هذا في قول صاحب «التاج» —:

ص : ٢٢٠ — :

(وكذَلك الأَغَرُّ فَرَسُ بَني عجْل ، وهو من وَلَدِ الحَرُونِ ، وفيه يقول العِجْليُّ :

أَغَـرّ من خَيْـل بَنِي مَيْمُون   بَـيْـنَ الـحُـمَـيْـلِيَّاتِ والحَرُونِ

١٨ — ص ٢٢٣ —:

(وغُرَّةُ : أُطُمٌ بالمَدِيْنَةِ لِبَنِي عَمْرِو بنِ عَوْف) من قَبَائل الأَنْصَار ، بُني (مكَانَه مَنارَةُ مَسْجِدِ قُبَاء الآن) . انتهى .

كلمة (الآن) من زيادات صاحب «التاج» الذي عاش في القرن الثاني عشر الهجري ، والبناء متقدم على عهده بأكثر من خمسة قرون ، فقد ذكره ياقوت ، ثم نقله عنه صاحب «القاموس» وقد يكون البناء قبل زمن ياقوت .

ومسجد قُبَاء أُصْلِحَ وأُعِيْدَ بناؤه وَوُسِّعَ مِرَاراً . ولهذا فكلمة (الآن) لا محلَّ لها — فيما أرى ، إذْ يُفْهَمُ منها عَدَمُ تغيير وضع المسجد في قرون كثيرة .

١٩ — ص ٢٢٨ —: (والغراء فرس ابنة هشام بن عبد الملك بن مروان هكذا نقله الصاغاني) انتهى .

ووجه الإشكال هنا في (ابنة) حيث نقطت الهاء ، وكذا ورد في مطبوعة كتاب «التكملة» للصاغاني — ج٣ ص ١٤٠ —

وأرى الصواب عدم نقط الهاء (ابنه) وأنَّ الصاغاني نقل عن كلام يتعلق بعبد الملك بن مروان ، ورد بعده ذكر ابنه هشام ، فعطف عليه .

٢٠ — ص ٢٢٨ —:

(والغَرَّاءُ : (ع بديارِ بني أَسَدٍ) بِنَجْدٍ عند ناصِفَةَ : قُوَيْرَةٍ هُنَاك ، قال معْنُ بْنُ أَوْسٍ :

سَرَتْ مِنْ قُرَى الْغَرَّاءِ حَتَّى اهْتَدَتْ لَنَا   ودُونِي حَزَابِيُّ الطَّرِيْقِ فَيَثْقُبُ

إيراد قول مَعْنٍ شاهداً على الغَرَّاء الذي هو موضع في ديار أَسَدٍ غير واضح ، فالْغَرَّاء التي ذكرها مَعْنٌ ذات قُرى ، والموضع الذي في بلاد بني أَسَدٍ ، جُرَيْعَةٌ في وَسَطِ قارةٍ نَاصِفَةَ ــ أي أرض صغيرة ذات رَمْلٍ ، في تلك القارة ، على ما ذكر صاحب كتاب « بلاد العرب » ص ٦٠ ــ وهي بقرب الأَجْفُرِ ، شَرْقِيَّ نَجْدٍ ، ومعن بن أوس مِنْ مُزَيْنَة وبلادُ قومِهِ حوْلَ المدينة ، بعيدة عن بلاد بني أسد .

ولهذا فالشاهد ليس في محله .

٢١ ــ ص : ٢٣٠ ــ :

(والغَرَّانِ ، بالفتح : ع) نقله الصاغانيُّ . قُلْتُ : وهُمَا ماءَان بِنَجْدٍ أَحَدُهُمَا لِبَنِي عُقَيْل . انتهى .

ذكر ياقوت أنَّ الْغَرَّيْنِ اسم موضع في شعر مُزَاحِمٍ العُقَيْلي :

أَتَـعْرِفُ بِـالْـغَـرَّيْـنِ داراً تَـأَبَّـدَتْ مِنَ الْوَحْشِ واستَفَّتْ عليها الْعَواصِفُ

ــ ثم أورد أربعة أبيات من قصيدة أوردها الهجري في « التعليقات والنوادر » في نحو مئة بيت .

والموضع أي موضع ــ قَلَّ أن يَخْلُو من الماء ، ولكن استدراك صاحب « التاج » بقوله : (قلت : وهما ماءان) . استدراك في غير مَحَلِّهِ .

والْغَرَّان المذكورانِ لا يزالانِ معروفين ولَيْسَا ماءً ، هُمَا شَعِيْبَان ينحدران من جبل الكَوْرِ ، أحدهما من جهته الشمالية الغربية ، ويَتَّجِهُ نَحْوَ الجنوب حتى يَمُرَّ ببلدة الرَّوْضَةِ قاعدة منطقة رَنْيَةَ ، حيث يَجْتَمِعُ بوادي رَنْيَةَ المعروف .

والشَّعِيب الثاني يتجه من جبل الكَوْرِ شرقاً حتى ينتهي غرب ناضحة وبُرْقَتِها وفَحْلَيْنِ ، على مقربة من رملة بني عبدالله بن كلاب (نفود سُبَيْع الآن) .

٢٢ ــ ص : ٢٣١ ــ :

(والأَغَرَّانِ : جَبَلانِ) هكذا في النُّسَخ بالجيم والباء المُحَرَّكَتَيْنِ) والصَّوابُ

(حَبْلَان) بالحاءِ والمُوحَّدَةِ الساكنَةِ ، من حِبَال الرَّمْلِ المُعْتَرِضِ (بطَرِيق مَكَّة) شرَّفها الله تعالى . قَالَ الراجِزُ :

وقدْ قَطَعْنَا الرَّمْلَ غَيْرَ حَبْلَيْن   حَبْلَيْ زَرُوْد وَنَقَا الأَغَرَّيْنْ

مَا أَكْثَرَ طُرُق مكَّة ، في أيِّها يقعُ الحَبْلَانِ المذكوران ؟!

إنّهما يقعان في الطريق العراقي الكوفي ، وهما في غَرْبِي الدَّهْنَاء ، على مسافة تقرب من ٣٨ كيلاً غربي منهل زَرُوْد شرقي منطقة حايل — وانظر قسم (شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» ص ١٠٥/١٠٧ — فهناك النصوص المتعلقة بتحديد الأَغَرَّيْنِ .

٢٣ — ص : ٢٣٦ —:

(وغَرَّتَانِ ، بالفَتْح : من الأَمَاكِنِ النَّجْدِيَّةِ ، وهُمَا أُكْمَتَانِ سَوْدَاوَانِ يَسْرَةَ الطَّرِيقِ إذَا مَضَيْتَ من تُوزْ إلى سُمَيْرَاء) .

سَمِيْرَا — بفتح السين وكَسْرِ الميم — لَا كمَا وقع في المطبوع — وهي بلدة معروفة .

وصاحب «التاج» نقل كلام ياقوت في «معجم البلدان» .

ويظهر أن ياقوتاً اعتمد على ما جاء في كتاب نَصْرٍ ونَصُّهُ : في كتابه الذي لا يزال مخطوطاً —

(بابُ الْغَرِيَّيْن والْغَرَّتَينِ : ما هو تثنية غَرِيٍّ فهما بظاهر الكوفة عند الثَّوِيَّة . حيث قبر أمير المؤمنين رضي الله عنه وخيالان من أخيلَةِ حِمَى فَيْد . يَطَؤُهُمَا طريقُ الحاجّ ، بينهما وبين فيد ستة عشر ميلاً .

وأما بفتح الراءِ المشددة تثنية غُرَّةٍ : من الأماكن النجدية . وقيل : أُكَمَتَان سَوْدَاوان يَسْرة الطريق ، إذا مَضَيْتَ من تُوزٍ إلى سَمِيْراء لا أدري هما أم غيرهما) انتهى .

وكذا في كتاب الحازمي مع حذف (من الأماكن النجدية وقيل ولا أدري) إلخ .

ونقل ياقوت ما في كتاب نصر : هما خيلان من أخيلة حمى فيد بينهما وبينه ١٦ ميلاً يطأهما طريق الحاج . في كلامه على الغرِيَّيْن ، ونسبهُ للحازمي .

وفي كتاب «المناسك» الغريان أكيمتان سوداوان عن يسار الطريق .

وفي «معجم ما استعجم» ورد اسمها (القرنين) .

وهكذا جاء في كتاب «أبو علي الهجري وأبحاثه» .

وقد ورد هذا الاسم مصحفاً في صور مختلفة :

١ ـــ الغريان :

٢ ـــ العزيان : كما في «تاج العروس» ـــ عزز .

٣ ـــ المعرس : كما في مخطوطة مكتبة الحرم المكي من كتاب «وفاء الوفاء» وهذا من أغرب أنواع التصحيف .

٤ ـــ القرنين كما في «معجم ما استعجم» ومطبوعة «وفاء الوفاء» .

والصواب في كل ذلك (الغُرَيَّان) مثنى غُرَيِّب تصغير غُراب .

والغُرَيّان : أُكَيْمَتَانِ سوداوان في أرضٍ منقطعة من الحرة ، يَمِين المتجه من سَمِيراء إلى فَيْد ، بعد تُوز ، يُشَاهَدانِ من الطريقِ على اليمين بمسافة قريبة جداً .

وكُلُّ أوصاف المتقدمين تنطبق عليهما .

٢٤ ـــ ص : ٢٤١ ـــ :

(وغَضْوَرُ : (ماءٌ لِطَيِّءٍ) قال امرؤ القيس :

كـأثْـلٍ من الْأَعْـرَاضِ مِنْ دُوْنِ بِـيْشَـةٍ
ودُونَ الـغُـمَـيْـرِ عـامِـدَاتٍ لِـغَضْـوَرَا

وقال الشماخ :

كَـأنَّ الشَّـبَـابَ كَـانَ رَوْحَـةَ راكب
قَضَى حـاجَةً مِنْ سُقْفَ في آلِ غَضْوَرَا

غَضْوَرُ — كانَ ماءً لطيّءٍ ، أمّا الآنَ فَقَدْ أَصْبَحَ قَرْيَةً ، وسُكّانُها الآنَ من بني تَميمٍ لا مِنْ طيّءٍ ، وهو في وادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ جبل رَمّانَ الْغَرْبِيَّةِ ، يفيض سَيْلُهُ في الشُّعْبَةِ (الثَّلَبُوت قديماً) ثم في وادي الرُّمةِ .

ويَبْعُدُ غَضْوَرُ عن مدينة حايلٍ نحو مئة وسبعة أكيال جنوبها .

وبَيْتُ الشَّمّاخ — كما في ديوانِهِ ص ١٣٠ —

كَأَنَّ الشَّبابَ كانَ رَوْحَةَ رَاكِبٍ   قَضَى أَرباً مِنْ أَهْلِ سَقْفٍ لِغَضْوَرَا

وقد أشار المحقق إلى ورود البيت في «ديوان الشماخ» باختلاف ، وكان ينبغي إيراد هذا الاختلاف الذي به يختلف المعنى أيضاً .

وغَضْوَرُ — أيضاً — موضع آخر ورد في شعر عُرْوَةَ بْن الْوَرْدِ الْعَبْسِيِّ :

عَفَتْ بَعْدَنَا مِنْ أُمِّ حَسَّانَ غَضْوَرُ   وفي الرَّحْلِ (؟) منها آيَةٌ لا تَغَيَّرُ
وبِالْغَرِّ والْغَرَّاءِ مِنْهَا منازِلٌ   وَحَوْلَ الصَّفَا مِنْ أَهْلِهَا مُتَدَوَّرُ

قال البكريُّ في «معجم ما استعجم» بعد إيراد الْبَيْتَيْنِ —: غَضْوَر ثَنِيَّةٌ فيما بين المدينة إلى بلاد خُزَاعة . ونقل ياقوت هذا عن ابن السِّكِّيت ، ووقعت كلمة (ثنية) في مطبوعة «معجم البلدان» محرفة (مدينة) .

أمّا سَقْفُ — فإنه ينطق الآن بفتح السِّين ، ويظهر أنّه هُوَ الصّواب ، فقد جاء في كتاب نَصْر — وهو من مصادر ياقوت : (باب سَقْف وشَعْف وَشَغْف : أَمّا بفتح السِّين وسكون القاف — جبلٌ في دِيَار طَيِّءٍ . وقيل بِضَمِّ السِّينِ ، وقيل : منهل في دِيَار طَيِّءٍ بِوَادِي القَصَّة قاصِداً الرِّمّانَ — إلى آخر ما ذكر. وسَقْفُ وادٍ ذو نَخْلٍ ، وجَبَلٌ ، وقَرْيَةٌ في سفح ذلك الجبل ، في الجنوب الغربي من حايل على نحو مِئَةِ كِيل — انظر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» قسم (شمال المملكة) — ص ٦٧١ وما بعدها.

٢٥ — ص : ٢٦٥ :—:

(وغُمَارَةُ ، كثُمامَةَ : عَيْنُ مَاءٍ بالبَادِيَةِ نُسِبَ إلى غُمَارَةَ من وَلَدِ جَرِير ، نَقَلَهُ الأَزْهَرِيُّ) انتهى .

وما في كتاب «التهذيب» ج٨ ص ٥٦ يُخَالِفُ ما نقل صاحبُ «التاج» ونَصُّهُ :
وعينُ غُمَازَةَ ، معروفة ، ذكرها ذُو الرُّمَّةِ فقال :

تَوَخَّى بِهَا الْعَيْنَيْنِ عَيْنَيْ غُمَازَةٍ أَقَبُّ رَبَاعٍ أَوْ قُوَيْرِحُ عَامِ

ورَأَيْتُ بالسُّودَةِ عَيْناً أُخرَى يقال لها عُيَيْنَةَ غُمَازَةَ ، وقَدْ شَرِبْتُ مِنْ مَائِهَا . وأَحْسِبُهَا نُسِبَتْ إلى غُمَازَة من وَلَدِ جَرِيرٍ — كذا ورد في «التهذيب» .

أوردها بالزاي المعجمة لا الراء المهملة .

وما أرى غمارة وغمازة — في الموضعين عن اسم ولد جرير سوى تصحيف عُمَارة — بالعين المهملة — وهو من أشهر أحفاد جرير ، عمارة بن عَقِيل بن بلال بن جرير .

وأرى غمازة التي شرب منها الأزهريُّ هي غمازة التي ذكر ذُو الرُّمَّة ، فأكثر العيون الواردة في شعره في نواحي السُّودَة .

٢٦ — ص : ٢٧٨ :—

(ومُغِيرَةُ ابْنُ الحارث) بن عبد المُطَّلب ، مشهورٌ بكُنْيَته ، سَمَّاه جماعةٌ ، منهم الزُّبَيْر بن بَكَّار وابنُ الكَلْبيِّ) وقد وَهِمَ ابْنُ عَبْدِ البَرِّ في «الاسْتيعاب» هُنا ، فَجَعَلَهُ أخا أبي سُفْيانَ ، فتَنَبَّهْ — انتهى .

كان الأولَى بصاحب «التاج» أن يَذْكُرَ الاختلاف الواقع في اسم ابي سفيان المذكور ، ثم بعد ذلك يَجْزِمُ بما يراه صحيحا . وها هو نَصٌّ ما في كتاب «الاستيعاب» لابن عبد البر — ج٣ ص ٣٧٦ — على هامش كتاب «الاصابة» الطبعة الأولى — :

(المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ، أخو أبي سفيان بن الحارث ، بْنِ عَمِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، له صُحْبَةٌ ، وقَدْ قيل : إنَّ أبا سُفْيان بن الحارث اسمه المُغِيرةُ ، ولا يَصِحُّ ، والصحيح أنه أخوه ، والله أعلم) انتهى فابن عبد البرّ قد علم الاختلاف ، فصحح ما يراه صحيحاً ، وإن لم يُوَضِّح معتمده في ذلك .

وابْنُ حَجَر في «الإصابة» ج٣ ص ٤٥٣ — أَوْرَدَ نَصَّ كلام ابن عَبْدِ البَرِّ ، وعَقَّبَ

عليه بقوله : (وتعقَّبَ ابنُ الأثيرِ هذا بأن أصحابَ الأنْسَاب ـــ كالزُّبَيْرِ وابنِ الكلبِيِّ ذكروا بأنَّ أبا سُفْيَان اسمه المُغِيرَةُ ابن الحارث . والله أعلم) انتهى كلام ابن حَجَر ، وكأنَّه لم يَتَرَجَّحْ عنده شيءٌ ، فقدْ وَكَلَ الْعِلْمَ إلى عالمِهِ .

ويظهر مما ذكره كثير من علماء النَّسَب أنَّ أبا سُفْيَان اسمه المغيرة ـــ على ما نَصَّ على ذلك ابن حَزْم في «جمهرة أنساب العرب» وأن له أَخَوَيْنِ لا ثلاثة ، على ما ذكر مُؤَرِّج السَّدُوسِيّ في كتابه «حَذْف من نسب قُرَيش» ـــ ص ٢٢ ـــ قال : (وولد الحارث بن عبد المطلب ثلاثة : ربيعة ونَوْفلاً وأبَا سُفْيَانَ) على أَنَّ ابْنَ حَزْم سَمَّى أبناء الحارث بن عبد المطلب : أبا سُفْيَان ـــ واسمه المغيرة ، وهو الشاعر ، وعبد شَمْسٍ ، سمّاه النبي صلى الله عليه وسلم عبدالله ، وأُمَيَّةَ ، فأنْتَ تَرَى عالمَيْن جليلين مُؤَرِّجاً وهو من أول من ألف في الأنساب من أهل القرن الثاني الهجري ، وابْنَ حَزْمٍ العالم المعروف ـــ لم يَتَّفقا على أسماء أبناء الحارث .

على أنَّ أبا عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْبَرِّ ـــ رحمه الله ـــ له في كتابه «الاستيعاب» أَوْهامٌ تعقَّبها ابْنُ فَرْحُونَ ، وغيرُهُ ، ولكن عِلْمَ الأنْسَاب لم يُحَرَّرْ وَلَمْ يُضْبَطْ ضَبْطاً كافِياً .

٢٧ ـــ ص : ٢٨٠ ـــ :

(والْغَوارَةُ ، كَسَحَابَةٍ : ة بِجَنْبِ الظَّهْرَانِ) نقله الصَّاغَانِيُّ ـــ انتهى .

وإذا صح النقل عن الصاغاني فهو من الأسماء التي تصحَّفَتْ عليه ، فالاسم بالفاء ، لا بالغين المعجمة وسيأتي في رسم (فور) ص ٣٤٩ والْفَوَّارَةُ : (ة بِجَنْبِ الظَّهْرَانِ) .

نقله الصاغاني : وهذا هو الصحيح إذ الْفَوّارَةُ على ما في كتب من تَصَدَّوْا لتحديد المواضع محددة مضبوطة الاسم ، ولا تزال معرفة ، أنظر كتاب «بلاد القصيم» أحد أقسام «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» .

٢٨ ـــ ص : ٣١٨ ـــ :

(وعَمْرو بنُ فُرْفُرٍ الجُذَامِيّ ـــ بالضمِّ ـــ : سَيِّدُ بَنِي وائل) بنِ قَاسِط بْنِ هِنْبِ بْنِ

أَفْصَى بْنِ دُعْمِيِّ بْنِ جَدِيْلَةَ بنِ أَسَدِ بْنِ رَبِيْعَةَ الفَرَسَ . وضَبطَهُ الحافِظُ بالْفَتْح ، وقال : هُوَ أَحَدُ الأَشْرَافِ ، شَهِدَ فَتْحَ مصر. انتهى .

ولكن كيف يكون جُذَامِيًّا ويَسُوْد بني وائِلٍ الذين من رَبِيْعَةَ ثم من عَدْنَان ، وَجُذَامُ من قَحْطَان ؟!

أرى أنَّ الزَّبِيْدِيَّ أخطأ في نَسَبِ وائِلٍ ، إذْ أَوْرَدَ نَسَبَ مَنْ هُوَ المشهور عند الإطلاق ، وفاته أن في جُذَام وائل بن مالك بن زيد مناة ابن أفصى بن سعد بن حرام بن جذام ، وهو الذي يغلب على الظَّنِّ أن المذكور سيِّد بَنِيْه ، إذْ هُمْ من قَوْمِهِ جُذَام .

٢٩ — ص : ٣٣٣ —:

(وَفِغْرَى كَضِيزَى : ع) قال كُثَيِّر عَزَّةَ :

وأَتْبَعْتُهَا عَيْنَيَّ حَتَّى رَأَيْتُهَا ... أَلَمَّتْ بفِغْرَى والْقِنَانِ تَزُوْرُهَا

كذا ورد الاسم في رسم فغر ، وصوابه فِعْرَى بالعين المهملة بعد الفاء المكسورة والعين ساكنة والراء مفتوحة بعدها ألف مقصورة . كما أشار المحقق الفاضل إلى أن صاحب «معجم البلدان» أوردها بالعين المهملة .

وفِعْرَى سلسلة جبال لا تزال معروفة ، يمرُّ وادي العَرج بينها وبين جبال ثافل تقع فِعْرَى شماله وثافل جنوبه ، وهي في بلاد بني صبح من مَيْمُون من قبيلة حرب فيما بين مكة والمدينة ، وَلَمْ أرَ فيما اطَّلَعْتُ عليه من كلام من حَدَّدَ المواضع من العلماء المتقدمين ، مَنْ قال إن هذا الاسم بالغين المعجمة .

وها هي بعض نُصُوصهم . قال ياقوت في «معجم البلدان» : فِعْرَى : قال ابن السكيت : فَعْرَى ، بفتح الفاء ، جبل ، قال البكريُّ : فَعْرَى تصحيف إنما هو فِعْرَى : هو جبل يَصُبُّ في وادي الصفراء ، وقال في موضع آخر : فِعْرَى جبل تَصُبُّ شعابُه في غَيْقَة ، قال كثير — وأنشد البيت وكلمة (البكري) صوابها السكريّ لأنَّ البكريَّ لم يرد في كتابه المطبوع سوي قوله : (فِعْرَى) بكسر أوّله ، وإسكان ثانيه ، بعده راء مهملة ، مقصور ، على وزن فِعْلَى : جبل أَحمرُ تَدْفع شعابُه في غَيْقَة : قال محمّد بن حبيب :

ويقال فُعْرى ، بضمّ الفاء ، وقد تَقدَّم تَحْديد غَيْقة في رسمها وفي رسم رَضْوَى ، وقال كُثيِّر : وأورد البيت ـــ

وياقوت لم يطلِعْ على كتاب «معجم ما استعجم» للبكريّ ، كما صَرَّح بذلك في مقدمة كتابه ، وإذا ورد نقلٌ عنه فبواسطة يُصَرِّح بها ـــ ككتاب السُّهَيْلي «الروض الأُنف» .

٣٠ ـــ ص : ٣٦٢ ـــ :

(والغُمَيْرُ ، كزبَيْرٍ : ع قُرْبَ ذاتِ عِرْق) ، بينهَا وبَيْنَ البُسْتَانِ ، وقَبْلَهُ بِمِيلَيْن قَبْرُ أبي رِغَال .

وقال امْرُؤُ القَيْس :

كأثْلٍ مِنَ الأَعْرَاضِ من دُوْنِ بِيْشَةٍ ودُون الْغُمَيْرِ عَامِدَاتٍ لِغَضْوَرا

يلاحظ على هذا :

١ ـــ الغُمَيْر هو الذي سبق أن ورد ذكره مصحفاً ـــ بالعين المهملة ـــ :

٢ ـــ أقدم من رأيته ذكر أنَّ قبر أبي رغالٍ بين ذات عِرْقٍ وبين البستان هو صاحب كتاب «المناسك» من أهل القرن الثالث الهجريّ ، وهذا نَصُّ كلامه ـــ في وصف طريق المتجه من ذات عرق إلى مَكَّة ـــ قال : ـــ ص ٣٥٢ ـــ في وصف طريق المتجه إلى مكة ـــ : وعلى ميلين من ذاتِ عِرْقٍ عَيْنٌ وآبارٌ ونَخْلٌ ، على يسار الطريق .

وإذا جاوزْتَ البَرِيْد تَسِيْر في عِقَابٍ صعبةٍ وجبال وخُشُوْنَةٍ .

وقبل الغُمَيْر بنحو من ميلين قَبْرُ أبي رِغالٍ ، وكان دَلِيْلَ أَصْحَابِ الفِيْلِ ، وعنده قَبْرٌ آخر .

ـــ ثم أورد بسنده إلى عبدالله بن عَمْرو : خرجنا مع رسول الله (ص) فلما كُنَّا عند قَبْر أبي رِغَالٍ قال رسول الله : «هذا قبر أبي رِغَالٍ ، وكان امْرأً كافراً ، وكان من ثَمُودِ ، وكان يسكن الحرم ، وأنه خَرَجَ حتى إذا صارَ في هذا الموضع مات فدفنوه ، ومعه

غُصْنٌ من ذهب ، فاستَخْرِجُوه » . فابتدرنا فاستخرجناه ، — ثم وصف الطريق —

وفي سُنَنِ أبي داود عن عبدالله بن عَمْرٍو ، سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرجنا معه إلى الطائف ، فمررنا بِقَبْرٍ فقال : « هذا قبر أبي رِغال ، وهو أبو ثقيف ، وكان بهذا الحرم يدفع عنه ، فلما خرج منه أصابته النقمة التي أصابت قَوْمَهُ بهذا المكان ، فَدُفِنَ فيه » — إلى آخر الحديث —.

وقد علَّق ابن كثير في « البداية والنهاية » على حديث عبدالله بن عَمْرو بقوله : تفرَّد به بُجَيْرٌ بن أبي بُجَيْرٍ ، ولا يُعْرَف إلا بهذا الحديث ، ولم يَرْوِ عنه سوى اسماعيل بن أُمية ، قال شيخنا الحافظ المِزِّيُّ : فيحتمل أنه وَهِمَ في رفْعِهِ ، وإنَّما يكون من كلام عبدالله بن عمرو ، مِنْ زَامِلَتِهِ . انتهى .

٣ — ولكن ياقوتا وقد أطال في « معجم البلدان » القول عن أبي رغالٍ فذكر أنه :

أ — كان ملكاً بالطائف ظَلُوماً رماه الله بقارعة أهْلَكته فرجمتِ العربُ قَبْرَهُ ، وهو بين مكة والطائف .

ب — وقيل بل كان قائدَ الْفِيْل ، ودليل الحبشة لما غزَوْا الكعبة ، فهلك فيمن هلك منهم ، فدفن بين مكة والطائف ، فمَرَّ النبيُّ — صلى الله عليه وسلم — بقبره ، فأمر بِرَجْمِهِ فصار ذلك سُنَّةً .

جـ — وقال السُّكَّرِيُّ في شرح قول جَرِيرٍ :

إِذَا مَـاتَ الْـفَـرَزْدَقُ فَارجُـمُـوهُ   كَـمَـا تَرْمُـونَ قَـبْرَ أَبِـي رِغَـالِ

أبو رغال كان عَبْداً لصالح النبي (ص) فبعثه مُصَدِّقاً فأتَى قوماً ليس لَدَيْهِم لَبَنٌ إلَّا شاة واحدة ، ولهم صَبِيٌّ قد ماتَتْ أُمُّهُ ، فَهُمْ يُعَاجُوْنَهُ بِلَبَنِ تلك الشاةِ ، فأَخَذَهَا فنزلت به قارعة من السَّماءِ ، ويقال : قتله رَبُّ الشاة ، فلما فقده صالح (ع . م) قام في الموسم فنشد الناس ، فأُخْبِرَ بصنيعه فلعنه ، فقبره بين مكة والطائف ترجمه الناس .

د — ثم قال ياقوت ما مُلَخَّصَهُ : وذكر ابنُ اسحاق ما هو أَحسَنُ من جميع ما تَقَدَّم . وهو أن صاحب الفيل أَبْرَهَةَ لما قدم لهدم الكعبة مَرَّ بالطائف فانْقَادَ له أَهْلُهَا ،

وبعثوا معه أبا زِغالٍ رَجُلاً منهم يَدُلُّهُ على مكة . فخرج أَبْرَهَةُ ومعه أَبو رِغَالٍ حتى أَنْزَلَهُ بالْمُغَمِّس ، فلما نزله مات أَبو رِغالٍ هناك فَرُجِمَ قَبْرُهُ ، فهو الْقَبْرُ الذي يُرْجَمُ بِالْمُغَمِّسِ .

وقال ياقوت أيضاً عن المُغَمِّسِ : موضع قرب مكة ، في طريق الطائف ، مات فيه أَبو رِغالٍ ، وقَبْرُهُ يُرْجَمُ ، لأنه كان دَليل صاحب الْفِيل — وبسط الحديث عن المُغَمِّس — وأورد خبراً أن رسول الله (ص) لما كان بمكة ، كان إذا أراد حاجة الإنسان خرج إلى المُغَمِّس وهو على ثلثي فَرْسخ من مكة .

٤ — وقبل ياقوت ابن اسحاق ، فقد نقل عنه ابن هشام في « السيرة النبوية » طبعة الحلبي — ج١ ص ٤٧ — في الكلام على مرور أبرهة صاحب الفِيل بثقيف في الطائف — قال ابن اسحاق : فَبَعَثُوا مَعَهُ أَبَا رِغَالٍ ، يَدُلُّهُ على الطريق إلى مكة ، فخرج أبرهة ، ومعه أبو رِغَالٍ حتى أَنْزَله الْمُغَمِّسَ ، فلما أنزله به مات أبو رِغَالٍ هُنَاك ، فرجمَتْ قَبْرَهُ العَرَبُ .

٥ — كُلُّ تلك النُّصُوص المُتَقَدِّمة تدل على أن قَبْرَ أبي رغالٍ دَلِيْل أَصْحَاب الْفِيْلِ يقع بين مكة والطائف .

وذات عِرْقٍ وما حَوْلَهَا لا تقع بَيْنَهُمَا ، بل شمال الطائف بمسافة بعيدة .

وطريق الطائف إلى مكة لا يَمُرُّ بنخلة الشامية التي أعلاها ذاتِ عرق وفيها الغُمَيْر الذي يقع القَبْر بينه وبين ذات عرق ، على ما ورد في النصِّ المتقدِّم ، ولكنَّه يَمُرُّ بنخلة اليمانية ، طريق الحج القديم وطريق القوافل .

وللطائف طريقان آخران كان سلوكها صَعْباً ، طريق الثَّنِيَّةِ ثَنِيَّةِ دَجْنًا وطريق جبل كَرَا الذي ينزل إلى عرفات ، وليس من المعقول أن يسلك أصحاب الفيل سوى الطريق الأسهل ، وهو الطريق الذي سلكه رسول الله (ص) بجيش المسلمين لغزو الطائف — كما سيأتي إيضاحه .

٦ — أَكْثَرَ أَقْوَال المؤرخينَ تدل على أن قبر أبي رِغَال في الْمُغَمَّسِ وهو الموضع الذي

ذَكَرُوا أنَّ الْفِيْلَ حُبِسَ فيه ، والْمُغَمَّسُ لا يزال مَعْرُوفاً ، وهو السَّهْلُ الْمُنْبَسِطُ الواقع شرق الأميال (حدود الحرم) وهو بَعِيْدٌ عن ذاتِ عِرْقٍ ، وعن وادي نخلة الشاميَّة .

٧ — والقول بأنَّ رسول الله (ص) سار إلى الطائف مَرَّ بقبر أبي رغال — الواقع بِقُرْبِ الْغُمَيْرِ في نخلة الشامية يعترضه بل يَرُدُّهُ أُمُورٌ :

١ — منها أنَّ المتقدمين من العلماء ، حَدَّدُوا ذلك الطريق تحديداً دقيقاً .

لقد وصف ابن اسحاق « السيرة النبوية » لابن هشام ج٢ ص ٤٨٢ — طبعة الحلبي وابنُ جَرِيرٍ في تاريخه — القسم الأول — ص ١٦٧ — طبعة أوربة — وَصَفَا طريق الرسول (ص) إلى الطائف هكذا : سلك إلى الطائف مِنْ حُنَيْنٍ على نَخْلَةَ اليمانيَّةِ ، ثم على قَرْنٍ ثم على الْمُلَيْح ، ثم على بَحْرَةِ الرَّغَاءِ مِنْ لِيَّةَ .

وابن اسحاقَ وابن جَرِيْرٍ من أقدم المؤرخين وأوثقهم فيما يتعلق بالسِّيْرة النَّبويَّةِ . وهذا الطريق هو الطريق المعروف ، المسلوك إلى الطائف ومنه إلى مكة ، منذ أقدم العصور ، حتى تغيَّرت الطرق بِتَغَيُّرِ وَسَائِلِ السَّفَرِ في عصرنا .

٨ — ولَعَلَّ ابْن كثير — رحمه الله — كَفَى الباحثِ مَشَقَّةَ التَّعَمُّقِ لمعرفة منزلة ذلك الحديث ، الذي ورد فيه أنَّ قبر أبي رِغَال بِقُرْبِ ذاتِ عِرْقٍ . — عند المحدِّثين ، وأن شيخه الحافظ الْمِزِّي (يوسف بن عبد الرحمن المتوفي سنة ٧٤٢هـ) قال : يحتمل أنه من الزَّاملَةِ أي مجموعة الصحف — التي وجَدَهَا ابنُ عَمْرٍو من أخبار بني اسرائيل .

كما أنَّ ما ذكر ابْنُ إسحاقَ وغَيْرُهُ مِنْ وصف طريق الرسول (ص) لغزو الطائف ينفي كونه سلك طريق نَخْلَةَ الشاميَّة .

٩ — وقد يقال : ألا يكون سلكه مَرَّة أخرى ، ويَرُدُّ هذا أنه لم يَرِدْ — فيما اطلعتُ عليه من كتب السِّيرة أنَّ الرَّسُول — صلى الله عليه وسلم — أَتَى الطائفَ بَعْدَ الهجرة إلا غازِياً مَرَّةً واحدةً ، أما قَبْلَ ذلك فقد ذهب إليها بعد البعثة داعياً أَهْلَها إلى الإسلام ، ولكنه كان وَحْدَهُ ، ويظهر أنه سلك طريق المشاة ، وهو طريق كَرَا إِذْ هو أقصر الطرق — فقد ورد في خبر عودته : « فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وأنا بِقَرْن الثَّعَالِبِ» وهذا جبل مُطِلٌّ على عرفات .

والحديث الذي رواه عبدالله بن عَمْرٍو جاء فيه : خرجنا مع رسول الله . والمسلمون خرجوا معه حين غزَا الطائف .

وَاذَنْ ينبغي أن يُبْحَث عن موقع القبر الوارد في خبر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم — في الطريق الذي ذكر متقدمو العلماء ، ومحققوهم في أخبار سيرته وهو الطريق المارُّ بِجُنَيْنٍ (الشرايع) ثم يَدْعان (جَدْعان) وادي حُنَيْن الذي نزلته هوازن ، ثم سَبُوحَةَ ، ثم وادي نَخْلَة اليمانيَّة ، ثم المُلَيْح (السَّيْل الصغير) ثم على بَحْرَةِ الرُّغاء من وادي لِيَّةَ .

١٠ — لقد كان في هذا الطريق — الذي تقدم وَصْفُهُ ، فيما بَيْنَ سَبُوحَةَ ووادي يَدعان (جدعان) تَلٌّ مُرْتَفِعٌ من الحِجارةِ يَدَعُهُ المتَّجِهُ إلى سَبُوحَةَ فنخلة اليمانية عن يمينه ، يَحُفُّ به الطريق ، وكان مُتَعَارفاً عند الناس الذين يَمرُّون بذلك الطَّريق أنه قَبْرٌ يُرْجَمُ ، مَرَرْتُ به أول مَرَّة عند قدومي للحج في ٧ ذي الحجة سنة ١٣٤٧ — مع رفقة ، وكنا خمسةً من أهل البرود ، على الإبل ، ثم شاهدته بعد ذلك مِراراً ، وعند إصلاح الطَّريق لأَوَّلِ مَرَّةٍ لمرور السَّيَّارات في عشر الستين من القرن الماضي أُزِيلَ قِسْمٌ من ذلك التلِّ لتوسعة الطريق ، وكانت آثاره باقية إلى عهد قريب .

١١ — ولكن هذا الموضع الذي ذكرته بَعِيْدٌ عن المُغَمَّسِ — الذي تكرر القول بأن قبر أبي رِغالٍ فيه ، ولكنه يقع على الطريق الذي سلكه رسول الله صلى الله عليه وسلم لِغَزْوِ الطائف وهو الطريق الذي يغلب على الظَّنِّ أنَّ أصحابَ الفِيْلِ سَلَكُوه .

١٢ — إنَّ من عادة العَرَب رَجْمَ قُبُورِ من يَكْرَهُونَ . كما رَجَمُوا قَبْرَ أبي رِغَالٍ في الجاهليَّةِ ، وقَبْرَ العَبَادِيِّ في طريق الحجِّ في الإسلام ، ولهذا يصح القول بأنه كان بقرب ذاتِ عِرْقٍ قَبْرٌ يُرْجَمُ ، فَظُنَّ أنه قَبْرُ أبي رُغَالٍ ، فقيل عنه في كتاب «المناسك» أو أحد المؤلفات قبله ما قيل ، وأصبح هذا القول مُتناقلاً منذ القرن الثالث الهجريِّ أَوْ قَبْلَه إلى عهدنا ، وحمِلَ عليه حَدِيثُ ابن عَمْرٍو ، الوارد في ذكر طريق الرسول صلى الله عليه وسلم — وهو طريق نَخْلَة اليمانية إلى الطائف ، لا نَخْلَةَ الشاميَّةَ التي لا تتَّصِلُ بطريق الطائف إلى مكة .

١٣ — ومُجْمَلُ القول استِبْعَادُ وقوع قبر أبي رِغال دليل أصحاب الفيل عن ذات عِرْق ، لعدم وقوعه بطريق القادم من الطائف إلى مكة ، ولأن أكثر الأقوال نَصَّتْ على أنه في المُغَمَّس الواقع بعيداً عن ذات عرق ، وأنَّ الرسول — صلى الله عليه وسلم — مَرَّ به في طريق غزوة الطائف ، وذلك الطريق يمرُّ بنخلة اليمانية ، لا نخلة الشامية التي يقع ذلك القبر فيها .

مع كثرة القُبُور التي كانت تُرْجم .

ولَئِنْ أطلت القول عن قبر أبي رِغَالٍ في غَيْرِ محَلِّ الإطالَةِ فإنَّما قَصَدت إيضاح جوانب من الخلط في تحديد بعض المواضع عند متقدمي العلماء ، مع إيراد بعض الأدلة في غير موضعها ، مما ينبغي معه إمعان النَّظَر في كثير من النصوص قبل الجزم بمدلولاتها .

١٣ — قول امرىء القيس لا يصح شاهداً على الغُمَيْر الواقع بقرب ذات عِرْق ، فهذا يقع في تهامة غربَ الحجاز ، وامرؤ القيس ذكر موضعين في نَجْدٍ هُمَا بِيْشَةَ المعروفة ، وغَضْوَرُ في جبل رَمَّان ، وقد أصْبَحَ قَرْيةً الآن .

واسم الْغُمَيْر من الأسماء التي تطلق على مواضع متباعدة ، ومنها ما لا يزال معروفاً الآن .

٣١ — ٣٧١ — :

وأَنْشَدَ في المَفْتُوح :

قَدرٌ أَحَلَّك ذَا النُّخَيْل وقد أرَى ... أَبِيْك مـالكَ ذُو الـنُّـخَيْلِ بِدَارِ

قال ابن سِيْدَه : هكذا أنشده بالفتح ، والوزْنُ يقبل الحركة والسكون انتهى .

لم يُخَرِّج المحقق الفاضل هذا البيت وأحال إلى « اللسان » والبيت أورده الْهَجَرِيُّ فِيْمَا نَقل عنه البكري في « معجم ما استعجم » ولم يصرح بالنقل ، ولكن السمهوديَّ في « وفاء الوفاء » صرَّح بذلك .

جاء في « معجم ما استعجم » ص ٦٣٤ — وأقربُ المِيَاه من أَسْوَدِ الْبَرم حَفَائِرُ

حفرها المَهْدِيُّ ، على مِلين منه ، تُدْعَى ذَا بَقَرٍ ، وقد ذكرها مُؤَرِّجٌ السُّلَمِيُّ ، فقال :

قَدَرٌ أَجَلَّكَ .ذَا النَّخْيْلِ وقَدْ أرَى   وأبيك مالك ذُو النُّخَيْلِ بِدَارِ
إِلَّا كَدَارِكُمُ بِذِيْ بَقَرِ الحِمَى   هَيْهَاتَ ذُوْ بَقَرٍ مِنَ الزُّوَّارِ؟!

٣٢ ــ ص : ٣٩٨ ــ :

(و) قُرَانُ ، في شِعْرِ أَبِي ذُؤَيْبٍ : (وَادٍ) : قيلَ : هو بِتهَامَةَ (بَيْنَ مَكَّةَ والمَدِينَةِ) شرَّفَها الله تَعالَى وعَلَّقَ على هذا المحقق قائلاً : يعني قوله في «شرح أشعار الهُذَلِيِّين» ــ ٥٤ ــ :

رَأَتْنِي صَرِيْعَ الْخَمْرِ يَوْماً فَسُؤْتُهَا   بِقُرَانَ إِنَّ الْخَمْرَ شُعْثٌ صِحَابُهَا

وأَقُوْلُ : أَصْوَبُ من ذلك القول في تَحْدِيدِ موقع قُرَّان ما جاء في «معجم البلدان» : وقُرَّان اسم وَادٍ قُرْبَ الطائفِ في شعر أبي ذُؤَيْبٍ قال ــ ويُرْوَى لِأَبِي جُنْدَبٍ ــ :

وحيٌّ بِالْمَنَاقِبِ قَدْ حَمَوْهَا   لَدَى قُرَّانَ ، حَتَّى بَطْنَ ضِيْمِ

كُلُّهَا بَيْنَ مكة والطائف ــ هذا كلام ياقوت وهو حَقٌّ في قُرَّان والْمَنَاقِبِ ، وأَمَّا ضِيْمُ فَلا ، لأنه وادٍ تِهاميٌّ جنوبَ مَكَّةَ .

الْمَنَاقِبُ هي الرِّيْعَانُ ــ جَمْعُ رِيْع ــ الثنايا التي يُنْزَلُ منها إلى قَرْنِ المنازل (السيل الكبير) .

وأَمَّا قُرَّانُ فهو وادٍ لا يزال معروفاً ، يجزعه طريق الطائف إلى مكة ، الطريق القديم ، الذي يَمرُّ بالسَّيْل (قرن المنازل) ثم بنخلة اليمانيَّة .

وقُرَّانُ على مقربة من بَلْدَةِ الْحَوِيَّةِ ، وسَيْلُهُ يَتَّجِهُ شمالاً حتَّى يجتمع بسيل وادي الْعَقِيْقِ الذي تقع فيه قرية عُشَيْرَةَ . وهذا الوادي ليس في تِهَامَةَ ، بل من أودية الحجاز الشَّرْقيَّة ، ولا يقع بين مكة والمدينة .

واسم قُرَّان يُطْلَقُ على مواضع أشهرها قُرَّان الذي في اليمامَةِ ، قُرْبَ بَلْدَةِ مَلْهَمَ ،

ويُعْرَفُ الآنَ باسم (القَرِيْنَةِ) وهُنَاكَ موضع قال عنه ياقوت : بين مكة والمدينة ، وهو الذي أراد صاحب «القاموس» ولكن صاحب «التاج» أراد أنْ يُغْرِبَ قوله فأَعْجَمَهُ ، حيث زاد على كلام صاحب «القاموس» : قيل هُوَ بِتِهامَةَ ، وذلك الوادي ليس في تِهَامَةَ ، قال عنه ياقوت بِلِصْقِ أَبْلَى ، وأَبْلَى جَبَلٌ يقع قُرْبَ مَعْدِنِ بني سُلَيْم من جبال نَجْدٍ ، شرقيَّ حَرَّة بني سُلَيْمٍ . قال فيه الشاعر ، على ما روى «الهجري» — ص ٢١٥ — وصاحب كتاب «بلاد العرب» — ص ٤٠٢ —:

أُحِبُّكِ ما دَامَتْ بِنَجْدٍ وَشِيْجَةٌ وما سُكِنَتْ أُبْلَى بِهَا وتِعَارُ

وأُبْلَى وتِعَارُ وقُرَّانُ الذي بقرب أُبْلَى كُلُّهَا معروفة الآن . وكلها في عالية نَجْدٍ شرق الحجاز الذي يفصل بين تهامة ونجد .

ولعلَّ الذي حمل صاحب «التاج» على القول بأنَّ قُرَّان في تِهَامَةَ ما فَهِمَهُ من جملة (بين مكة والمدينة) لأن طريق المدينة المشهورة تسلك تهامة ، وفاتَهُ أنَّ للمدينة طَرِيقاً أُخْرَى ، هو الطَّرِيقُ النَّجْدِيَّة . التي تَمُرُّ بقرب معدن بني سُلَيْم ، وتدع الجبالَ والْحِرَارَ غَرْبَها حتى تقابل فُرُوْعَ وَادِيَي النَّخْلَتَيْنِ ، فتقطع الْحِجَازَ إلى مَكَّة ، وهذه الطريق هي التي سَلَكَتْهَا سَرِيَّةُ عبدالله بن جَحْشٍ ، بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم ، إلى نَخْلَة اليمانية ، فقتلت ابن الْحضرميّ الذي نزلت بقتله الآيةُ الكريمةُ : (يَسْئَلُونَكَ عنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فيه) الآية .

وهي طريق كانت تسلكها القوافل إلى عصرنا ، وخاصّة حين يخشى أصحابُها أذى سكان الطريق التِّهامِيَّةِ .

٣٣ — ص : ٤٠٠ —:

(والقُرَاقِرُ : (فَرَسٌ لِعَامِرِ بن قيْسٍ) قال :

«وكان حَدَّاءً قُرَاقِرِيّاً»

تقدم من كلام صاحب «التاج» رسم — فرفر — ص ٣١٧ — أن اسم فرس عامر بن قيس الأشجعي (الفُرافِر) سُمِّيَتْ بِفَرْفَرَةِ اللِّجَامِ . وهذا الاسم — بدون التفسير —

يوافق ما في كتاب الخيل لابن الأعرابي ، وما جاء في كتاب «التكملة» ج٣ ص ١٥٢) للصاغاني — على أنَّ الصاغانيَّ أعاد الاسم مَرَّة أخرى بالقاف «التكملة» ج٣ ص ١٩٣ كما هنا .

وهذا يطابق ما ذكره الأَسْوَدُ الْغَنْدُجَانِيُّ في كتابه عن «خيل العرب وفرسانها» فقد ذكر في حرف القاف : الْقَرَاقِرُ من خَيْلِ أَشْجَعَ من غَطَفَانَ . ذكر ذلك أَبو النَّدَى . قال سَلَمَةُ بنُ الْخُرْشُبِ الأَنْمَارِي :

فَأَدْرَكَهُمْ شَرْقَ الْمَرَوْرَاةِ مُقْصِراً بَقِيَّةُ نَسْلٍ من بنات الْقُرَاقِرِ

وقال في موضع آخر : الْقُرَاقِرُ فَرَسُ عامِرِ بن قَيْسٍ الأشجعي انتهى .

وأرى أنَّ ما قاله الأسود الغندجانيُّ أَصْوَب لأنه يتلقَّى عن شيخه مشافهةً ، لا ينقل عن كُتُبٍ قد يعتريها التصحيف .

٣٤ — ص : ٤٠١ — :

(قُرَاقِر : (ع بِالسَّمَاوَةِ) في بادِيَةِ الشام لِبَني كَلْبٍ تَسِيْلُ إليهِ أَوْدِيَة مَا بَيْنَ الجَبَلَيْنِ في حقِّ أَسَدٍ وَطَيِّءٍ) انتهى .

صاحب «التاج» هُنَا لَفَّقَ بَيْنَ قَوْلَيْنِ قُصِدَ بِهِمَا مَوْضِعَان مُتَبَاعِدَانِ ، هٰذان القولان وَرَدَا في «معجم البلدان» بهٰذا النَّصِّ : وقُرَاقِرُ أَيْضاً : وادٍ لِكَلْبٍ بالسماوة ، من ناحية العراق ، نزله خالد بن الوليد عند قَصْدِهِ الشَّامَ — وبعد كلام طَوِيْلٍ قال ياقوت : وقُرَاقِرُ أيضاً : قاعٌ ينتهي إليه سَيْلُ حائل ، وتَسِيْلُ إليه أَوْدِيَةُ ما بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ ، في حقِّ أَسَدٍ وطَيِّءٍ — واسترسل في الكلام — فوادي كَلْبٍ يعرف الآن باسم (وادي السِّرْحَان) وهو الذي في السَّمَاوَةِ ، وكان من بلاد كَلْبٍ وسكانُهُ الآن قبيلة الشَّرَارَات بقايا قبيلة كَلْبٍ .

وهذا يبعد عن قُرَاقِر الذي تنتهي إليه سيول جبلي طَيِّءٍ مسيرة أَيَّامٍ وليالي بِسَيْرِ الإِبِل .

والاسم يطلق على مواضع أُخرَى غير هٰذَيْنِ الموضعين ، ذكر ياقوتُ بَعْضَهَا .

٣٥ ـــ ص : ٤٠١ :ـــ

(وقُرَاقِرُ : (قاعٌ) مُسْتَطِيلٌ (بالدَّهْنَاءِ) ، وقيلَ : هي مَفَازَةٌ في طَرِيقِ اليَمَامَةِ قَطَعَهَا خالِدُ بنُ الْوَلِيد . وقد جاءَ ذِكْرُهَا في الحَدِيث ، وهكذا فَسَّرَهُ ابنُ الأَثِيرِ) انتهى .

ووقع صاحب «التاج» أيضاً هنا في الْخَلْط بين موضعين مُتَبَاعِدَيْنِ ، فالمفازة التي قطعها خالد ليست في طريق اليمامة ، بل في طريق الشام ، وهي مفازة السَّمَاوَة ، وفيها قُرَاقِرُ الواردُ في خبر مسير خالدٍ ، وفيه قال الرَّاجِزُ :

لله دَرُّ خــالِــدٍ أَنَّى اهْـتَـدَى   فَوَّزَ مِنْ قُــرَاقِــرٍ إلى سُوَى

أَمَّا القاع المُسْتَطِيل فهو بقرب الدهنا وليس فيها ، وهو الذي تنتهي إليه سيول ما بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ .

وتقدم ذِكْرُ الموضِعَيْنِ .

٣٦ ـــ ص : ٤١٠ :ـــ

(وَقَرْقَرٌ ، كجَعْفَر : جَانِبٌ مِنْ الْقُرَيَّةِ ، بِهِ أَضاةٌ لِبَنِي سِنْبِس ، والْقُرَيَّةُ هذه بَلْدَةٌ بَيْنَ الفَلَج ونجْرَانَ) انتهى .

لو أَوْرَدَ صاحبُ «التاج» الكلام مَنْسُوباً إلى مَصْدَرِهِ لسَلِمَ مِنْ تَبِعَةِ ما فيه مِنَ الْخَلْطِ . وَنَصُّهُ ـــ كما في «معجم البلدان» : قَرْقَرٌ قال أَبو الْفَتْحِ : هو جَانِبٌ من الْقَرْيَةِ ، به أضاةٌ لبني سِنْبِس . قال : وأَظُنُّ الْقَرْيَةَ هذه بَيْنَ الْفَلَج ونَجْرَان انتهى ، قد عَلَّقْتُ على هذا في «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» قسم شمال المملكة ـــ ص ١٠٨٢ ـــ بما هذا نَصُّهُ :

ـــ بعد أنْ أوردت كلام أبي الفتح الذي هو نصر بن عبد الرحمن الاسكندري في كتابه الذي لا يزال مخطوطاً ، وهو نصٌّ ما أورد ياقوت في «المعجم» قلت : وهنا خَلْطٌ بين موضعين أحدهما : القُرَيَّة التي لبني سِنْبِس بقرب جبلهم أجا .

والموضع الثاني يقع بين الْفَلَج ونَجْران وهذا يُدْعَى قَرْية بدون تعريف ، ذكره

الأطباق الطائرة .

تَمَنَّيْتُ أثناء مطالعتي لهذا الكتاب الذي ألفه العالم الأستاذ الدكتور محمد عبده يماني — وزير الإعلام — بعنوان «الأطباق الطائرة ، حقيقة أم خيال» ؟ — تَمَنَّيْتُ أنْ يقرأ كثير من شبابنا مِمَّن خدِعُوا بمظاهر الحياة الغربية هذا الكتاب ، وأمثاله من الكتب التي أَلَّفَهَا علماءُ ذَوُو اختصاص فيما تصدَّوْا للتأليف فيه ، مِمَّنْ أدركوا ما لعلماء المسلمين من آثارٍ في وَضْع أُسُس الحضارة الحديثة ، يجهلها أولئك الشباب .

وكتاب الاستاذ الدكتور[1] محمد وإنْ تناول موضوعاً يعتبر ظاهرةً من ظواهر هذا الْعَصْرِ إلَّا أنه تَطَرَّق — بدراسة علمية — للبحث في وسائل تعليل هذه الظاهرة ، وتعمَّق في البحث في الظواهر الكونية العامَّةِ ، وأثر علماء المسلمين في دراسة تلك الظواهر . ومباحث ذلك الكتاب :—

١ — الكون الذي نعيش فيه .
٢ — العلوم الكونية في الإسلام .
٣ — دور أسلافنا في دراسة علم الفلك والفضاء .
٤ — شواهد من التاريخ (عن حضارة قديمة) .
٥ — الأطباق الطائرة حقيقة أم خيال ، وملخص الجواب أن من الصعب الإجابة بنفي أو إثبات (ص ١٦٠) والإنكار المطلق للأجسام الطائرة الموجودة لا يغيّر من الواقع

(١) الألقاب المبتذلة مما رمَى به الأعاجم ، فتلقفناه بعدهم . فما أحوجنا إلى نَبْذِها .

الهمداني وذكر أن فيه آثارا . وقد عثر على تلك الآثار بقربِهِ في (الفاو) .

ويظهر أنَّ قَرْقَرَ التي في بلاد بني سنبس تقع في شرقيٍّ مدينة حايل بقرب ما يعرف الآن باسم السُّوَيْفلة كما يفهم من شاهد تقدم ذكره في قراقر . انتهى .

(للبحث صلة) حمد الجاسر

الأطباق الطائرة .

تَمنَّيْتُ أثناء مطالعتي لهذا الكتاب الذي ألفه العالم الأستاذ الدكتور محمد عبده يماني — وزير الإعلام — بعنوان «الأطباق الطائرة ، حقيقة أم خيال» ؟ — تَمنَّيْتُ أنْ يقرأ كثير من شبابنا مِمَّن خدِعُوا بمظاهر الحياة الغربية هذا الكتاب ، وأمثاله من الكتب التي ألَّفَهَا علماءُ ذَوُو اختصاص فيما تصدَّوْا للتأليف فيه ، مِمَّنْ أدركوا ما لعلماء المسلمين من آثارٍ في وَضْع أُسُس الحضارة الحديثة ، يجهلها أولئك الشباب .

وكتاب الاستاذ الدكتور[1] محمد وإنْ تناول موضوعاً يعتبر ظاهرةً من ظواهر هذا الْعَصْرِ إلَّا أنه تَطرَّق — بدراسة علمية — للبحث في وسائل تعليل هذه الظاهرة ، وتعمَّق في البحث في الظواهر الكونية العامَّةِ ، وأثر علماء المسلمين في دراسة تلك الظواهر . ومباحث ذلك الكتاب :—

١ — الكون الذي نعيش فيه .
٢ — العلوم الكونية في الإسلام .
٣ — دور أسلافنا في دراسة علم الفلك والفضاء .
٤ — شواهد من التاريخ (عن حضارة قديمة) .
٥ — الأطباق الطائرة حقيقة أم خيال ، وملخص الجواب أن من الصعب الإجابة بنفي أو إثبات (ص ١٦٠) والإنكار المطلق للأجسام الطائرة الموجودة لا يغيِّر من الواقع

(١) الألقاب المبتذلة مما رمَى به الأعاجم ، فتلقفناه بعدهم . فما أحوجنا إلى نَبْذِها .

الهمداني وذكر أن فيه آثارا . وقد عثر على تلك الآثار بقربهِ في (الفاو) .

ويظهر أنَّ قَرْقَرَ التي في بلاد بني سنبس تقع في شرقيٍّ مدينة حايل بقرب ما يعرف الآن باسم السُّوَيْفلة كما يفهم من شاهد تقدم ذكره في قراقر . انتهى .

(للبحث صلة)   حمد الجاسر

شيئاً ، وستظل المجهولة ، وكل ما ينقصنا أن نعرف كنهها (ص ١٦٤) .

وصفحات الكتاب ١٩٢ ويحوي كثيراً من الصور الملوّنة ، والطباعة ممتازة ورقاً وحروفاً وصوراً — (المطابع الأهلية للأوفست) في الرياض . وقد صدر في العام الماضي (١٤٠٠هـ ١٩٨٠م) .

□ الشعر الإسلامي في صدر الإسلام :

عُني الدكتور عبدالله الحامد ، الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية ، في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، عُني بدراسة الشعر الإسلامي منذ زمن ، فقد صدر له في عام ١٣٩١ بعنوان «شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين» وهو كتاب جمع فيه طائفة من ذلك الشعر ، محاولاً تحقيقها .

ثم في عام ١٣٩٤ ألف هذا الكتاب «الشعر الإسلامي في صدر الإسلام» ليشفع ما سبق أن جمعه بدراسته ليلفت الأذهان إلى ذلك الشعر الذي بخسه أغلب الدارسين قَدْرَهُ ، واختلفوا في كثير من قضاياه — على ما قال المؤلف الفاضل في مقدمة الكتاب الذي تدور أغلب مباحثه حول الإسلام والشعر — مصادر الشعر الإسلامي — قضايا حول الشعر في صدر الإسلام — الأسلوب — المضمون — الشعراء وتحدث عن ثلاثة من مشاهير شعراء الصحابة في المدينة ، وخمسة من شعراء البادية في عهد الرسالة ، وعن شعر الخلفاء ، وشعر النساء ، وعَدَّ صفيَّةَ عَمَّة النبي صلى الله عليه وسلم الشاعرة الأولى في كَثْرَةِ شعرها الإسلامي .

ويقع الكتاب في ٣٢٠ صفحة من القطع الوسط ، والطباعة حسنة ، بمطابع الإشعاع التجارية في الرياض ، وصدر عام ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م) .

□ المقدمة في النَّحوْ :

علي بن فضَّال بن علي المجاشعي المتوفي سنة ٤٧٩ هـ عالم لغويٌّ ذو مؤلفات وصل إلينا منْها «المقدمة في النحو» وهو على إيجازه (خلاصة النحو ، قصره المؤلف على أيسر الموضوعات ، وأمَسِّها بحاجة المتعلم) على ما ذكر محققه الدكتور حسن شاذلي فرهود — أستاذ النحو والصرف في (كلية الآداب — جامعة الرياض) الذي صدر الكتاب

بترجمة وافية للمؤلف ، ووصف مخطوطة الكتاب ، كما أضاف إيضاحات ومعلومات في الهوامش ، بها تزداد قيمة الكتاب وتتضح كثير من عباراته . وقد بلغتْ صفحاته ٨٨ بطباعة حسنة (المطبعة العربية الحديثة) بمصر ، وصدر عام ١٤٠٠ (١٩٨٠م) .

☐ المقصور والممدود :

وحقّق الأستاذ الدكتور حسن شاذلي فرهود كتاب «المقصور والممدود» للعالم اللغوي نِفْطَوَيْهِ إبراهيم بن محمد (٢٤٤/ ٣٢٣هـ) مُصَدَّراً بترجمة له . والكتاب وإن كانت مباحثه تتعلق بعلم الإملاء إلا أنه يتطرق إلى كثير من المسائل النحوية ، وقد شرح بعض الكلمات شرحاً لُغَوياً . ويقع في ٦٤ صفحة ، مطبوعاً سنة ١٤٠٠ (١٩٨٠م) بمصر (المطبعة العربية الحديثة) .

☐ مختصر في ذكر الألفات :

محمد بن القاسم بن محمد المعروف بابن الأنباري (٣٢٨/٢٧١هـ) من أعلام علماء اللغة والأدب ، وكتابه عن الألِفات مما وصل إلينا من مؤلفاته التي نُشِر بعضها ، وفقد كثير منها ، وهو على إيجازه مما يستفيد به المعنيون بالمباحث اللغوية .

وقد حققه الدكتور حسن شاذلي فرهود ــ أستاذ النحو والصرف في كلية الآداب في جامعة الرياض ــ وصدر عام ١٤٠٠ (١٩٨٠م) مطبوعاً بمصر طباعة حسنة في (المطبعة العربية الحديثة) وبلغت صفحاته ٤٦ صفحة مصدرا بترجمة للمؤلف ، وبوصف المخطوطة التي اتخذت أصْلاً للتحقيق ، وهي في مكتبة (لا للي) في اصطنبول .

☐ الشعر في ظلال حركة الإمام محمد بن عبد الوهاب :

قال مؤلفه الدكتور عبدالله الحامد الأستاذ المساعد في كلية اللغة العربية في جامعة الإمام محمد بن سعود في المقدمة : (هذا الكُتَيِّب قسم مُسْتَلٌّ من رسالة تتناول الشعر في الجزيرة العربية ونجد والحجاز والأحساء والقطيف منذ قيام حركة الإمام محمد بن عبد الوهاب حتى منتصف القرن الرابع عشر ، وهي محاولة لتأريخ هذا الشعر ، والوقوف على

(١) نقل المحقق الفاضل عن كتاب «طبقات المفسّرين» للسيوطي أنه وُلِد بِهَجر ، على أن الأستاذ الزركلي ــ رحمه الله ــ ذكره من أهل القيروان .

أبرز سِمَاتِهِ وظواهره) .

ثم أشار المؤلف الفاضل إلى محاولته ليكشف جوانب مضيئة في هذا الشعر فيها قوة وجدَّة وسمات أخرى تدفع ما وصفه به بعض الباحثين من الضحالة والركاكة والضعف .

ويقع هذا الكتاب في أربعة فصول ، الأول : الموضوعات والثاني : الشعراء والثالث : سمات وخصائص عامة . والرابع الشعر في نجْد .

ويقع هذا الكتاب في ١٦٤ صفحة صغيرة وهو من منشورات (النادي الأدبي في الرياض) لعام ١٣٩٩ (١٩٧٩ م-) وقد طبع في (مطابع الجزيرة) في الرياض — بدون ذكر تاريخ .

□ الوحشيات والأوابد لشعراء في الجاهلية والإسلام :

اسم مؤلف حديث لشيخنا الأديب الشيخ حمد بن إبراهيم الْحُقَيْل ، رئيس محكمة الخرج سابقاً — جاء في مقدمته (اجتمع عندي حصيلة من الشعر المشهور ، والمقطعات الرائعة ، التي استشهد بها العلماء في فنون شتَّى ، في اللغة والأدب ، والمعاني والبيان والبديع والحكم وغير ذلك ، وهو شعر في وصف المعاني الوجدانية ، ووصف المرثيّات ، وما قيل عن هَوَى النفوس ونزعاتها من الحب والبغض والنبل ، والتعرض لما يقع لأهل المِهَنِ والرؤساء من الهنات والعورات) فهو كتاب أدب يتنقل القارىء بين صفحاته — بل بين سطوره — من موضوع إلى آخر ، مُنْطلِقاً مع لذة الاستمتاع بما يقرأ من مختار الشعر في مختلف الأغراض ، من حكم وأمثال ، وجدٌ وهَزْل وإحماض وغير ذلك من المعاني التي لا تتلاءم رِقَّتُها مع وصفها بالتوحش والأبود ، ولكن شيخنا المؤلف قد يجنح إلى الإغراب في أسماء مؤلفاته مثل «المعمعة في أخبار المجمعة» بل هو قدير على اقتناص الآبد المتوحِّش.

وقد صدر الكتاب عام ١٤٠٠ (١٩٨٠ م) مطبوعاً بمصر ، بمطابع سجل العرب ، ووقع في ٣٥٣ صفحة ، مصدرا بترجمة للمؤلف .

□ فهارس الخزانة الملكية :

هي خزانة صاحب الجلالة الحسن الثاني ملك المغرب التي تحوي من المخطوطات

زهاء خمسة عشر ألف مخطوطة ، منها من كتب التاريخ نحو ألف كتاب ، ومن نوادر مخطوطاتها السفر الخامس من «المقتبس» لابن حيَّان ، و«روضة الآس» للمقري . وفيها كثير من المخطوطات متعددة النسخ — على ما جاء في مقدمة الجزء الأول من «فهارس الخزانة» الذي وضعه الأستاذ محمد عبدالله عنان ، عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة ومؤلِّف «موسوعة التاريخ الأندلسي» .

وهذا الجزء من «فهارس الخزانة الملكية» هو (فهرس قسم التاريخ وكتب الرحلات) ويقع في ٤٨٠ صفحة ، وقد طبع في (مطبعة النجاح الجديدة) في الدار البيضاء عام ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) ورتبت أسماء الكتب على ترتيب الحروف ، وبعد ذكر الكتاب ومؤلفه يوصف بذكر ورقه وتاريخ نسخه وبيان موضوعه وتعداد النسخ المكررة منه إن وُجدت ، ويُشار أحياناً إلى طبع الكتاب إنْ سبق طبعه . وقد تأتي المعلومات ناقصة مثل : (تيجان الملوك وأخبار التابعة تأليف العالم المحدث محمد عبد الملك بن هشام الحميدي) ثم ذكر ورق النسخة وتاريخ نسخها (١٠٦٠ هـ) والقول بأنه (يتضمن حديث بدء الخليقة ، وسفينة نوح ... وقصه إرم ذات العماد ، ويختم بكتاب «التعليق في ذكر الصلوات الخمس — الخ — ثم رقم النسخة ٦٢٤٩ — ولا شيء غير هذا ومعروف أن كتاب «التيجان» في ملوك حمير لابن هشام صاحب «السيرة النبوية» وهو أبو محمد عبد الملك بن هشام الحِمْيَري المعروف ، وقد طبع الكتاب مرتين ، الأولى في حيدر آباد في الهند بتحقيق المستشرق الألماني ف كرنكو ، والثانية في صنعاء عن تلك الطبعة . أما كتاب «التعليق في ذكر الصلوات» فلا صلة له بكتاب «التيجان» وموضع ذكره فهرس كتب الفقه .

ويقال مثل هذا عن كتاب «الذهب الإبريز» — الذي شغل وصف نسخه أكثر من خمس صفحات ، محله كتب التَّصوُّف . ونقل مقدمات الكتب بدون الإشارة إلى مخالفتها لما هو مطبوع منها إن وُجِد اختلافٌ —

ومهما يكن فطالما تَطلَّعَ الْمُهتَمُّون بالمخطوطات لِمعرفة ما تحويه (المكتبة الملكية) في المغرب وفي هذا القسم من الفهرس ما قد يخفف شدة تطلعهم .

فهـــارس السنـــة الخامســـة عشــــرة

١ ـــ الكتـــاب والمعلقـــون والمؤلفـــون
٢ ـــ الموضوعـــات العامـــة
٣ ـــ الأعـــــــلام
٤ ـــ الأسر والقبائل والجماعـات
٥ ـــ الكتب والصحف والمجـلات
٦ ـــ المواضـــــع

أولًا:ـــ الكتاب والمؤلفين والمعلقون

ثانيًا: الموضوعات العامة

ثالثًا: الأعــــلام

رابعًا: الجماعات والقبائل والأسر

خامسًا: الكتب والصحف والمجلات

سادسًا : المواضـع